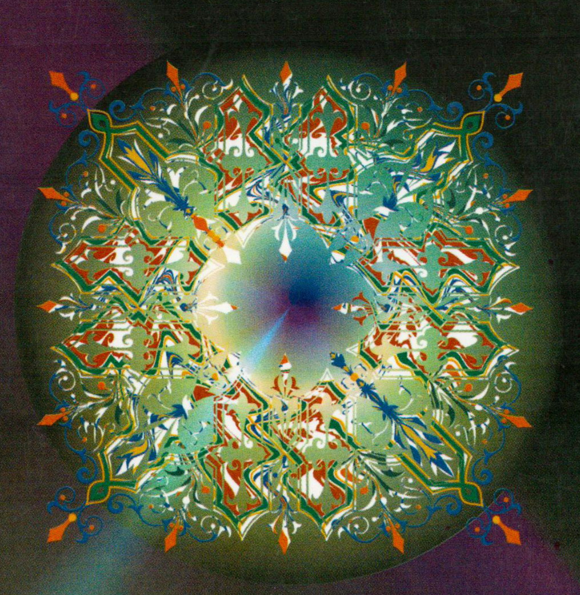
حسين سليمان سليمان

الشيطان في الفكر الاسلامي

من خلال القرآن الكريم والسُنة النبوية





للطباعة والنشر والتوزيع

الشيطـان
في الفكر الاسلامي


بسم الله الرحمن الرحيم



حسين سليمان سليمان

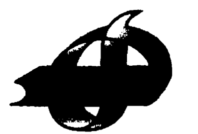
الشيطان في الفكر الاسلامي

من خلال القرآن الكريم والسُنة النبوية



الطبعة الثانية

١٤٢١هـ - ٢٠٠١م



دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع

هاتف: ٥٥٠٤٨٧/٠١ - ٨٩٦٣٢٩/٠٣ - فاكس: ٥٤١١٩٩ - ص. ب: ٢٨٦/٢٥ غبيري - بيروت - لبنان

E-Mail: daralhadi@daralhadi.com - URL: http: //www. daralhadi.com

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ألم أعهد إليكم يا بني آدم ألاّ تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين﴾.

(يس/ ٦٠)

الإهداء

ـ سيدي ومولاي ومولى المؤمنين، بقية الله في أرضه والمذخور لنشر عدله في بريته. . . الحجة بن الحسن المهدي ـ عجل الله فرجه الشريف ـ

أرفع إلى مقامك السّامي. . . بكل خشوع. . هذا المجهود المتواضع. . عسى أن يخدم ـ بما بذلت فيه من مجهود ـ قضيتك الكبرى التي كنت ولا زلت وستبقى الرائد الأول لرفع رايتها وغرس بذرتها وجني ثمارها.

وغاية أمله ـ يا سيدي ـ وفخره. . . أن يحظى منك بنظرة رحمة ولمسة دعاء. . وأن تراه عملاً خالصاً مخلصاً نقياً من شوائب الانحراف. . وخطوة موفقة لانتظار مستقبلك. . . مستقبل الإسلام . . حين تملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً. . .

حسين سليمان سليمان

شكر

وفي هذا المجال فإنني أتقدم بالشكر والتقدير والإمتنان والعرفان للإخوة العاملين في جمعية التعليم الديني الإسلامي لجهودهم الميمونة ومؤازرتهم لي ولجميع العاملين في حقل نشر الرسالة الإسلامية.

وندعو الله العلي القدير أن يثبّتنا على خط الرسالة الإسلامية وأن يشد بعضدنا ويشحذ الهمم في نفوسنا ويمنحنا العزم والصبر على مواصلة طريقنا الطويلة في مسيرتنا الإسلامية المباركة.

المقدمة

ـ الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين وصحبه المنتجبين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

عبر القرآن الكريم عن وجود الأعداء، وأن التغيير الجديد لا بدّ أن يُواجه بهم، عبر عن ذلك بتعبير غاية في الجمال والروعة وغاية في التعبير عن هذه الحقيقة، حيث قال عز من قائل: **﴿كذلك جعلنا لكلِّ نبيٍّ عدوّاً شياطين الإنس والجن﴾**[1].

إن معرفة العدو أمر في غاية الأهمية، وقد أكدت الآيات الكريمة على هذه الأهمية، معتبرة ذلك من صميم عمل المسلمين ومن مهمات النظام الإسلامي. كما أن بحث هذا الموضوع يعتبر من البحوث المهمة في القرآن الكريم. على أن الآيـات القـرآنيـة، وعبـر القصـص التـي أوردتهـا ومـن خـلال مفـردات هـذه القصص (رجال، رسائل، أسلحة، خنادق) اهتمت بكشف أهداف العدوالمختلفة ضد معسكر الحق.

لقد أكد المولى سبحانه ـ في كتابه المجيد ـ على أن عدو الإنسان الأول والدائم هو الشيطان، راسماً عبر النصوص المقدسة صور هذا العدو وألوانه وما يشكل به من أشكال وفي السياق ذاته واجهتنا الأحاديث المعصومة للرسول الأكرم ﷺ والأئمة المعصومين سلام الله عليهم، بالتأكيد على أهمية معرفة

---

(١) سورة الأنعام ـ الآية ١١٢.

العدو نذكر منها ما قاله النبي الأكرم ﷺ: «ألا وإنّ أعقل الناس عبدٌ عرف ربّه فأطاعه، وعرف عدوَّه فعصاه».

وعاد موضوع «إبليس» موضوعاً مبتذلاً عندنا لا يعبأ به دون أن نذكره أحياناً ونلعنه أو نتعوذ بالله منه أو نقبِّح بعض أفكارنا بأنها من الأفكار الشيطانية ووساوسه ونزعاته دون أن نتدبر فيحصل ما يعطيه القرآن الكريم في حقيقة هذا الموجود العجيب الغائب عن حواسنا، وماله من عجيب التصرف والولاية في العالم الإنساني. وكيف لا وهو يصاحب العالم الإنساني على سعة نطاقه العجيبة منذ ظهر في الوجود حتى ينقضي أجله أو ينقرض بانطواء بساط الدنيا ثم يلازمه بعد الممات ثم يكون قرينه حتى يورده النار الخالدة، وهو مع الواحد منا كما هو مع غيره هو معه في علانيته وسره يجاريه كما جرى حتى في أخفى خيال يتخيله في زاوية من زوايا ذهنه أو فكرة يواريها في مطاوي سريرته لا يحجبه عنه حاجب، ولا يغفل عنه بشغل شاغل. والقرآن الكريم تحدث عن الشيطان كقوّة مادية مخلوقة من النار، وصوَّره لنا في صورة الكائن المتمرد الذي يعيش في داخله زهو العظمة بالعنصر الذي خلق منه بازاء الإنسان الذي ينتمي إلى عنصر التراب، فإن النار تفني التراب وتحرقه، ولذا فإنها أعظم منه مما يجعل لما يتولد منها شر العظمة بالنسبة لما يتولد من الآخر.. وهذا هو الذي دفعه إلى التمرد على الله في موضوع الجو التكريمي الذي أحاط به الله خلق آدم ودوره في الأرض عندما أمر الملائكة بالسجود له، (وكان إبليس ملحقا بالجو الملائكي فيما يوحيه لنا القرآن)... وتتولى الصور القرآنية لتجسد لنا العقدة المرضية التي عاشها هذا الكائن ضد الإنسان فقد أراد من الله أن يمنحه الخلود في الدنيا ليتفرغ للإنسان ليهبط به عن الدرجة العليا التي وضعه الله فيها، وليثير في داخله الصراع بين الخير والشر ويحبب له الشر في أسلوب شيطاني دقيق خادع ليلبي في داخله العقيدة الحاقدة التي تريد أن تحطم في الإنسان روحه وموقعه من الله عز وجل...

.. والقرآن الكريم يصور لنا أن الله أعطاه هذا الطلب لحكمةٍ يعلمها سبحانه ولكنه شرح له ولنا، أنّ سلطته لا تتعدى دور الوسوسة التي تزين للإنسان المعصية، وتحسّن له الجريمة.. أمّا السلطة المباشرة التي تمثل الإكراه والقهر

والإلجاء فهذا مما لم يجعله الله له.. ولكن الإنسان الذي لا يستثير إيمانه، ولا يعيش الإحساس بعداوة الشيطان، هو الذي يسلطه على نفسه ويعطيه زمام قياده. وذلك هو الإنسان الكافر والفاسق. أمّا الإنسان المؤمن فلا يعطي الشيطان الفرصة للسيطرة عليه من خلال القوة الروحية التي تهزكل كيانه وتثير فيه روح الصراع الحق، ولذا فإن الشيطان لا يملك أمر تحقيق ذاته فيما يريده ويعمل له من إضلال الإنسان.. وقد تعرضنا في هذا البحث لعرض الملامح العامة لإبليس في إطار ذلك كله.

وأسئلة كثيرة وهامة لا تزال حائرة في أذهان الكثير من البشر إلى يومنا هذا منها: ما هي حقيقة الشيطان؟ وما علاقته بالإنسان؟ وما سبب عداوته له؟ وما هي أهدافه وخططه العدوانية ضد البشر؟ وما هي وسائله لتنفيذ هذه الأهداف والخطط؟ وكيف يمكن للإنسان التحصن ضدَّه؟.. إلى غيرها من الأسئلة..

وإذا ما وصلتنا بعض الآراء حول الشيطان من أصحاب المذاهب البشرية من هنا وهناك فإنها غالباً ما تكون مشوبة بالأوهام والخيالات، خاضعة لاتجاهات تلك المذاهب الفكرية واجتهاداتها المعرضة للخطأ.

بينما نعتقد نحن أتباع رسالات السماء بأن الرأي الأصوب والأحق بالإتباع هو ما جاءت به هذه الرسالات. وعلى رأسها رسالة الإسلام العظيم. والذي أفصح من خلال ثقافته الشاملة عن حقائق هذا الكون الواسع، وأجاب عما يجول في ذهن الإنسان من تساؤلات حول ما يحيط بحياته في الدارين بكل جلاء ووضوح. ومع أن الإسلام وقبله الرسالات السابقة أشارت باهتمام إلى موضوع الشيطان، وحذرت من خطره على بني الإنسان، ولكن هذا الموضوع مع أهميته بقي مغفلاً إلى درجة تكاد أن تصل إلى النسيان عند أغلب البشر. ونحن نخص بالذكر أتباع تلك الرسالات. ويمكننا ملاحظة هذه الغفلة ببساطة من خلال السلوك العام عند البشر، قديماً وحديثاً. وإذا ما كان الحديث عن الماضي في اختصاص كتب التاريخ ونحن لا يحوجنا الدليل من الماضي ففي الحاضر ألف دليل ودليل. فما نراه من عواصف الفساد التي تغزو عالم اليوم من أقصاه إلى أقصاه، وما نستشعره من إنزلاق رهيب في هوة الرذيلة والجريمة لدى الكثير من البشر وما نلاحظه من طلاق

مع القيم السليمة وحرب على الفضيلة بمختلف الوسائل والسبل، كل ذلك دليل قاطع على وجود أصابع الشيطان الخبيثة، متغلغلة في هذا العالم، وكأن الشيطان استطاع أن يخقق أمنيته الكبرى، وحلمه القديم في جعل هذا الكوكب الأزرق مملكة له ولذريته. بعد استرقاقه بني آدم واتخاذهم خولاً وعبيداً.

وإذا كان عموم البشر مستهدفون من الشيطان وجنده، فإن القسم المتدين منهم كانوا ولا زالوا غرضاً لسهامه وكيده. وهذا يبدو واضحاً اليوم في سلوك قسم كبير من هذه الفئة فما نراه بين فينة وأخرى من انشقاقات، وخصومات بين الإخوة في الدين الواحد وما نلاحظه من انصراف إلى الدنيا وغفلة عميقة عن الالتزام بمبادىء الإسلام، وعن أداء المسؤوليات والتقاعس عن القيام بالواجبات الدينية، وغيرها من المظاهر السلبية التي غزت مجتمعاتنا الإسلامية وتغلغلت في حياة المسلم المعاصر وهذا بلا ريب يعبر عن اتباع لخطوات الشيطان سواءً عن غفلة من هذه الفئة أو تغافل.

وبعد فإنه لا يستطيع أي إنسان أن يحارب عدوه حتى يعرف من يحارب وما هي نقاط الضعف فيه وما هي خططه وأنواع أسلحته وكميتها، وجنوده وعددهم، ونقاط الضعف فيهم... حينها يكون طريق النصر سهلاً نجري فيه ولا نتعثر واثقين من نهايته فإما نصر وإما شهادة. وللحصول على كل هذه المعلومات عن العدو بهذه الدقة فكانت المحاولة المتواضعة لإلقاء الضوء على جوانب عديدة ثم معالجتها في هذا البحث الذي استعنت فيه على مصادر ومراجع عديدة أهمها كتاب الله الكريم ومما جاء في الروايات الشريفة عن النبي وآل بيته الأطهار عليهم السلام واستعنت ببعض التفاسير كتفسير الميزان للسيد محمد حسين الطباطبائي وتفسير القمي والبيضاوي والهدى والمبين ومجمع البيان وغيرها من التفاسير.. واستعنت ببعض كتب الحديث ككتاب ميزان الحكمة ووسائل الشيعة والكافي بالاضافة إلى ما استطعت جمعه من آراء وأخبار حول هذا الموضوع من بعض ما كتب قديماً وحديثاً.. وكانت هناك عدة دوافع تضافرت جميعها على إخراج البحث فمن هذه الدوافع:

١ ـ أن موضوع الشيطان من الموضوعات الغيبية والانتزاعية التي لا يمكن

احساسها لكونها دون الحس. بل من جهة كونها فوق الحس، وأعظم من أن يناله الحس وتحيط به القوى المادية لتجردها. . ولا بد من دراسته من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية.

٢ ـ كثرة الأسئلة التي تدور حول وجود الشيطان وماهيته وبقائه ومداخله الشريفة وتعرضه في حياة الإنسان.

٣ ـ قلة الأبحاث والدراسات حول الشيطان وطرقه.

٤ ـ الفهم الخاطىء حول موضوع إبليس عند الماديين وغيرهم. . مما يشجع إلى البحث والدراسة عند الإنسان المؤمن الذي يرى في قصة إبليس صلة بعلم التفسير وعلم الفقه، وعلم أصول الفقه: صلته بعلم التفسير من حيث أنه يتناول نصاً قرآنياً، وصلته بعلم الفقه من حيث أنه يتناول ـ في النص القرآني ـ تكليفاً شرعياً بالسجود، تعلق بمخلوق معين هو إبليس، وصلته بعلم أصول الفقه من حيث أنه يحتاج إلى معرفة المصطلحات الخاصة بعلم الفقه والأدلة الشرعية ليستطاع التوصل إلى فهم صحيح للنص.

٥ ـ إن الشيطان. . هذا الموجود المتكبر المغرور يعتبر من أقدم أعداء الإنسان، يعمل بكل ما يستطيع لإضلال هذا الإنسان وجره إلى مهاوي الانحراف، وقد أطلق القرآن الكريم أوصاف الشيطان والتي أهمها المكر والخداع والتضليل لكي ينبه الإنسان على تلوّن هذا الموجود، وأهدافه للوقوف بوجه تكامل الإنسان وسُموِّه.

٦ ـ حين يقرأ أي إنسان القرآن الكريم ويمر بمواضع التعريف بالشيطان وأفعاله يعرف أن الشيطان إنما هو حاجز أمام التكامل والارتقاء الإنساني في طريق الوصول إلى حضرة القرب من الله، ولذا فإن تشخيص الشيطان من واجبات المؤمنين والسائرين في طريق الله سبحانه، والذين لا يرون أنفسهم إلا في الصراط المستقيم.

والموضوع أوسع بكثير من أن يلم به هذا البحث المتواضع، بل الموضوع بحاجة إلى كثير من البحوث. لهذه الدوافع وغيرها بدأت أكتب في هذا الموضوع،

ولكنني ترددت كثيراً قبل أن أكتب فيه ـ لأنه موضوع محاط بالمخاطر، ولكني استعنت بالله عز وجل وسلكت طريقاً لا يضل من سلكه، وهو الاعتماد على الدليل في كل ما أقول وأكتب مستعيناً بكتاب الله تعالى وأحاديث الأئمة الأطهار عليهم السلام، وأقوال المفكرين والباحثين المشهود لهم في حقل الفكر والمعرفة والتقوى ولقد جمعت في هذا البحث بين الناحية النظرية المستخرجة من بطون الكتب وبين الناحية العملية المستقاة من الممارسة والخبرة معتمداً في كل ما أقول على الكتاب والسُنة وكل ذلك بأسلوبٍ علمي تحليلي.

ولقد قسمّت البحث إلى خمسة عشرة فصلاً:

ـ **الفصل الأول**: لفظة الشيطان وحقيقته...

ـ **الفصل الثاني**: لفظة إبليس، وإبليس في الأديان، وأسماء وألقاب أخرى لإبليس.

ـ **الفصل الثالث**: الجن والشياطين وذكرهم في القرآن والروايات الشريفة.

ـ **الفصل الرابع**: فلسفة خلق الشيطان والانتقادات حول قصته والجواب عليها.

ـ **الفصل الخامس**: مناظرة الملائكة وابليس.

ـ **الفصل السادس**: طرق معرفة الشيطان.. وحقيقة السجود لآدم، وفصوله قصة ابليس.

ـ **الفصل السابع**: الشيطان والأنبياء عليهم السلام...

ـ **الفصل الثامن**: من صفات الشيطان..

ـ **الفصل التاسع**: أهداف الشيطان ووسائله..

ـ **الفصل العاشر**: العوامل والمداخل المساعدة للشيطان على الإنسان...

ـ **الفصل الحادي عشر**: من أعمال الشيطان وأحب الأشياء وللشيطان وما يؤلم الشيطان وأمور كان مؤسسها.

ـ **الفصل الثاني عشر**: ذرية إبليس وأبناؤه وعملهم ـ وأتباع إبليس.

ـ **الفصل الثالث عشر**: هل يمكننا مقاومة الشيطان؟.

ـ **الفصل الرابع عشر**: الانتصار على الشيطان ـ وشروط المواجهة.

ـ **الفصل الخامس عشر**: نهاية الشيطان والدنيا.

بالإضافة إلى قسم التعليقات حول عدد من الفصول المذكورة. ويجب التنبه إلى أن كل ما وجدتموه في كلامي هذا موافقاً للكتاب والسُنة النبوية الشريفة وأحاديث الأئمة الأطهار عليهم السلام فخذوه وكل ما وجدتموه مخالفاً لها فاضربوا بكلامي عرض الحائط وخذوا بالكتاب والسنة النبوية الشريفة وبأحاديث الأئمة الأطهار عليهم السلام وبعد ذلك كله لا أُبرىء نفسي من الخطأ والنقص والضعف وقلبي متفتح إن شاء الله لكل نقدٍ يستند إلى دليل شرعي من الكتاب والسُنّة.

وأسأل الله عز وجل أن يكون هذا العمل صحيحاً على ما جاء به الشرع خالصاً لوجهه الكريم وأن يكون نقياً من كل شائبة تعكر الإخلاص وأسأله تعالى الغفران على كل خطأ، والله المستعان.

والحمد لله رب العالمين.

حسين سليمان سليمان

يارون قضاء بنت جبيل

الأحد في ٥/ جمادي الثانية/ ١٤١٦ هجرية

الموافق ٢٩/ تشرين الأول/ ١٩٩٥ ميلادية

الفصل الأول

ـ الشيطان Satan

ـ لفظة الشيطان:

ـ ورد في القرآن الكريم ذكر الشيطان مرادفاً لإبليس في مواضع عديدة، سندرسها بشكل موجز.

يميل بعض العلماء إلى أن لفظة «شيطان» مشتقة من الأصل «شَطَن».

والشطن: حبل طويل ومحكم، يُستخرج الماء بواسطته من البئر بعد ربطه بظهور الدواب.

وسكان البادية من العرب يقولون عن الحصان الذي لم يُرَّوض بعد: «كأنه شيطان في أشطان». ورُوي عن الإمام علي عليه السلام أنه تحدث عن الثعابين فقال: «إن الله عز وجل جعل الموت لأشطانها». وقد استخدم عليه السلام الأشطان (الحبال) على سبيل الاستعارة، لأن الثعابين شبيهة بالحبال ذات الطول والامتداد.

وفي العربية «بئر شطون» هي البئر العميقة القعر، وفي هذا الاستعمال دلالة على بُعد قعر البئر. وقولهم «شطنت الدار» بعدت. ويسمي العرب الثعبان ذا الذيل «شيطان».

يستفاد من هذه الدراسة الوجيزة أن «نون» شيطان أصلية ومن أصل الكلمة، ويطلق العرب في محاوراتهم لفظة الشيطان على كل موجود متمرد مهما كان جنسه

ونوعه: الجن أو الانس أو الحيوان.

ويُرجع بعض العلماء اللفظة «شيطان» إلى «شاط يشيط» بمعنى هلك وفني واحترق. ولكن لا يمكن الاطمئنان إلى هذا الرأي بشكل كامل[1]. وقد فسَّر بعض المفسرين الآية: ﴿**كأنه رؤوس الشياطين**﴾[2]. بأنها أنوار (ج نَورَ) شجرة جهنم مثل رؤوس الثعابين، لأن العرب ـ كما لاحظت ـ يسمون نوعاً من الثعابين بالشيطان. وصفوة القول أن مفهوم «شطن وشيطان» الطول والامتداد والبعد والخبث والتمرد والسوء ووجه الغضب، والرقة والغموض.

وتنطبق هذه المعاني جميعاً تقريباً على الشيطان، فهو: خبيث، متمرد، ذو وجهِ قبيح، بعيد عن الخير والرحمة[3].

وورد أيضاً «أن الشياطين جمع شيطان وهو في اللغة الشرير غلب استعماله في إبليس الذي يصفه القرآن وذريته، والجن من الجَن بالفتح وهو الاستتار، وهو في عرف القرآن نوع من الموجودات ذوات الشعور والإرادة مستور عن حواسنا بحسب طبعها وهم غير الملائكة. يذكر القرآن أن إبليس الشيطان من سنخهم»[4].

ويحتمل أن تكون لفظة «شيطان» عبرانية الأصل «هاشتيطن» ومعناها المخالفة والعداوة، أو سريانية الأصل. ولقد اتصف إبليس بلفظة الشيطان بعد أن لعنه الله، وكان اسمه قبل اللعن «عزاريل» و «نائل».

ولابأس من الرجوع إلى كتب التفسير والحديث التي سنذكرها فيما يلي لمعرفة الألفاظ «إبليس، شيطان، جن، ملك، آدم».

يقول الذين لا يعتقدون بالمجرَّدات: الأجنة أجسام هوائية أو نارية، وهي

---

(١) انظر: لسان العرب: ١/٣١٦، ٣١٧.

(٢) سورة الصافات، الآية: ٦٥.

(٣) لسان العرب: ٢/٣١٦، ٣١٧ ـ النهاية في غريب الحديث ـ مادة «شطن» مجمع البيان: ١/١٨ ـ روض الجنان: ١/١٦.

(٤) تفسير الميزان: المجلد السابع ـ ص ٣٢١.

قادرة على الظهور بأشكال مختلفة كالثعبان والعقرب والكلب والجمل والخروف والبغل والأرنب والطائر والإنسان. وهي ذكية وعاقلة، وكثيرة التحمُّل، وهذا ما جعلها تقوم بالأعمال الضخمة في زمان سيدنا سليمان.

أما الذين يقولون بالمجردات فيعتقدون بأن الأجنة مجردات أرضية وسفلية، لأن المجردات ـ أي الموجودات التي لا تحتاج إلى حيِّز ومكان، ولا تحلُّ بمكان، أو أنها أعلى وأعظم من أن يتدبر أمورها شيء عبارة عن «الملائكة المقربون»، ويدعوها المشاؤون عقولاً، والإشراقيون «الأنوار العالية القاهرة»، أو أنها مرتبطة بتدبير الأجسام وتأثيرها، ذلك أن المشَّائين يعدّونها «النفوس السماوية»، والإشراقيين «الأنوار المدبرة» وإن أفضل الموجودات المجردة حملة العرش، وما زال عددها حتى الآن أربعة وسيبلغ عددها ثمانية يوم القيامة، وآنئذ سيتحلق بعض الملائكة حول العرش وبعضها حول الكرسي، وملائكة للسماوات، وملائكة لكرة الأثير والهواء. وفي الطبيعة نسيم وثمار ـ وملائكة كرة الزمهرير، وملائكة للبحار والجبال. إن للأرواح السفلية التي تؤثر في الأجسام النباتية والحيوانية مرتبة متميزة في نظام خلقها. ولبعض من هذه الأرواح السفلية نور وأعمال خيِّرة وهي أصلاً من أهل الخير، وتدعى «الأجنة الصالحة». وهي موجودات غير مرئية، وتقوم بالأعمال اللائقة والمعتبرة.

وفئة أخرى من الأرواح السفلية سوداء مظلمة، وسيئة وتقوم بالأعمال المُشينة. وهي عبارة عن الشياطين[١].

ويبدو أن الشياطين في القرآن والحديث هي نفسها إبليس وأعوانه وأنصاره، غير أن بعض الباحثين يعتقدون أن الشياطين هي كل موجود متمرد وعاص وضالّ عن الصراط المستقيم[٢]، كما قال تعالى: **﴿شياطين الإنس والجن﴾**[٣] وقد ورد «الشيطان» في سبعين موضعاً بصيغة المفرد، وثماني عشرة مرة بصيغة الجمع. وبشكل عام وردت ألفاظه في القرآن الكريم مائة وثمانين مرة. ومن هذه اللفظة

---

(١) إبليس في القرآن والحديث ـ ص ١٧.

(٢) روح البيان: ١/ ٤ و ٥ ـ أعلام القرآن: ٧٨.

(٣) سورة الأنعام الآية: ١١٢.

ـ مرادفة لإبليس وبصيغة النكرة ـ تعددت الأوصافِ «الرجيم، المريد، المارد» في سورة التكوير، والنساء، والصافات[١].

ـ حقيقة الشيطان:

ـ من هو الشيطان؟ ـ أكان من الجن أم من الملائكة؟.

ـ تعارضت آراء المفسرين حول هذا الموضوع واختلفت:

أ ـ أدلة القائلين بوحدة الجنس بين إبليس والملائكة:

١ ـ يستفاد من دراسة الروايات المتعددة، أن مقام إبليس مثل مقام الملائكة بل يفوقها. ويقولون: إن إبليس كان ـ قبل وقوعه في العصيان وتمرده ـ من جنس الملائكة، ومن سكان الأرض، ويفوق الملائكة جميعاً في المعرفة والاجتهاد وهذا هو سبب تعاليه وتكبره. ويقولون ـ إضافة إلى ذلك ـ إن إبليس كان من فصيلة الجن ورئيس ملائكة الأرض. وتعتبر فصيلة من أكبر فصائل الملائكة وأكثرها سطوة. من ذلك أنه كان خازن الجنة إضافة إلى سلطته على السماء الدنيا والأرض، وإليه أمر تدبير ما يلزمها. وهو ممن حظي بالأجنحة الأربعة مما يجعله ذا اقتدار في هذه السماوات. إلا أن مقام إبليس انحطّ في النهاية بعد تمرده، وحين أمر الله تعالى الملائكة أن تسجد لآدم اعتراه الاستكبار والخيلاء، فحوّله الله إلى صورة شيطان رجيم مريد[٢].

٢ ـ دليل آخر على وحدة الجنس بين إبليس والملائكة: المفسرون من أمثال قتادة وابن عباس وغيرهما في تفسير الآية **﴿وإذا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس﴾**[٣] كان إبليس واحداً من الملائكة وكان يطوف على الملائكة

---

(١) المعجم المفهرس: ٣٨٢ ـ ٣٨٣ ـ أعلام القرآن: ٨٣ و ٨٤.

(٢) جامع البيان: ١/ ١١٧ ـ الدر المنثور: ١/ ٥٠ ـ مجمع البيان: ١/ ٨٣ ـ التبيان للطوسي: ١/ ١٥٠ و ١٥١ روح الجنان: ١/ ٨٨ ـ الجامع لأحكام القرآن: ١/ ٣٩٤ ـ قصص القرآن: ٤١.

(٣) سورة البقرة: الآية: ٣٤.

التي كانت تسكن الأرض والتي تدعى الجن. وكلام الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة: «ليدخل الجنة بشراً بأمرٍ أخرج به ملكاً...» مؤيد أن الملك أُخرج من الجنة، وذلك أن ابن مسعود يروي كذلك أن إبليس كان مأموراً على السماوات ومن جملة الملائكة التي كانت تسمى جنّاً ويدل هذا الاسم على أن الجن كانوا خَزَنة الجنة. وكان إبليس ـ اضافة إلى كونه خازناً ـ يحكم السماء الدنيا.

وفي تفسير ابن عباس لقوله تعالى: **﴿إلا إبليس كان من الجن﴾**[1] قال: ولهذا السبب كانوا يسمون الفردوس «جناناً» وهذا يدل على أن إبليس كان من طائفة الجن وجانّاً. وقال أيضاً: لو لم يكن إبليس من جنس الملائكة لما أُمر بالسجود.

وجماعة أخرى من المفسرين ـ بعد ذكرهم هذا ـ أشاروا إلى أن محمد بن إسحاق كان يقول: الجن[2] نوع من الموجودات المخفيَّة التي لا يمكن رؤيتها، أما الآية: **﴿إلا إبليس كان من الجن﴾** فمعناها: أليس إبليس من الجن والمخلوقات المخفية والتي لا يمكن رؤيتها ومن جملة الملائكة؟ ذلك أن الملائكة أيضاً مخفية ولا يمكن رؤيتها، وقد قال تعالى: **﴿وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً ولقد علمت الجنةُ أنهم لمحضرون﴾**[3] مبنيّ على أن قريشاً كانت تقول: الملائكة بناتُ الله، ويردُّ الله تعالى عليهم: **﴿أم اتَّخذ ممّا يخلقُ بناتٍ وأصفاكم بالبنين﴾**[4] ولو أن الملائكة بنات الله لكان إبليس من جنسها.

وفي الواقع فإن العرب لم يستخدموا لفظ الجن قط إلا للتعبير عن الموجودات المخفية. والله تعالى دعاها جنّاً لأنها مخفية وغير مرئية، ودعا بني آدم إنساً لكونهم ظاهرين، والجن مأخوذ من الاجتنان بمعنى الستر، ولهذا دُعي الطفل في بطن أمه جنيناً. ولما كان الترس ساتراً، ويختفي المحارب وراءه فقد

---

(١) سورة الكهف: الآية: ٥٠.
(٢) انظر التعليقة رقم (١) ـ في قسم التعليقات (حول الجن).
(٣) سورة الصافات، الآية: ١٥٨.
(٤) سورة الزخرف، الآية: ١٦.

أسموه «جُنَّة» ولهذا يدعون الفردوس جنةً، لأن أرضها مغطاة بالأشجار. ويعبِّرون كذلك عن فاقد العقل بالمجنون، لأن عقله في حال الجنون مستتر لا يعمل.

فعلى هذا يمكننا أن نطلق لفظ الجن على الملائكة ـ بناء على المفهوم اللغوي ـ ولهذا يقول الطبرسي: للملائكة والجن حقيقة واحدة، مع مراعاة أن المختارين ملائكة والأقل مرتبة جنّاً، وهذا ينطبق على البشر، ففئة منهم ممتازون وهم الأنبياء والأئمة عليهم السلام، وسائر النوع الإنساني أقل مقاماً. في حواشي الأخبار وتفسير البيضاوي نرى: «وقسم من الملاكة غير معصومين فمع أن العصمة غالبة على الملائكة، ومع أن فئة من الناس معصومون فإن أكثرهم غير معصومين. ولعل صنفاً من الملائكة وهي لا تختلف عن الشياطين أصلاً، واختلافها في الأعراض والصفات.

وإبليس من الفئة غير المعصومة وهو يحسب من الملائكة. صحيح أن الملك خُلق من نور وإبليس من نار، فإن النور منبعث من جوهر الإشعاع والنار من هذا الجنس أيضاً. ومع كل هذا الاختلاف فإن ضياء النار وشعاعها ينجم عنها سحاب داكن وملوَّث، ويتجَّنب المرء النار لحرارتها خاصّية الاحتراق التي فيها. وفي حال كان هذا الشعاع خالياً من التلوث ونقياً من الشوائب كان محض نور ليس غير. وإن أعيدت النار إلى حالها الأول نراها خامدة ولكن دخانها مؤذٍ. يقول محمد رشيد رضا: «ليس بين أيدينا دليل يفصل بين جوهر الملائكة وجوهر الجن. فهما مخلوقان ممتازان، ولكن الاختلاف بينهما ناجمٌ عن الاختلاف الوصفي ليس غير»[1].

٣ ـ ومن الأدلة الأخرى على جنس إبليس والملائكة سياقُ تعبير الآيات المربوطة بالتمرد والاستكبار الذي يتصف به إبليس. دلَّ الله سبحانه ـ باستثناء أمره

---

(١) انظر: جامع البيان: ١/ ١٧٨، ١٧٩ ـ التبيان للطوسي: ١/ ١٥٢ ـ ١٥٣ ـ التفسير الكبير ١/ ٢١٣ ـ قصص الأنبياء لابن كثير: ١/ ٤١ ـ مجمع البيان: ١/ ٨٢ ـ الدر المنثور: ١/ ٥٠ ـ نهج البلاغة: ٢/ ١٦٢ ـ قاموس القرآن: ١/ ٢٢٧ ـ روح الجنان: ١/ ٨٧، ٨٨ الجامع لأحكام القرآن: ١/ ٢٩٤ ـ أنوار التنزيل: ١/ ١٤١ ـ البحار: ٦٠/ ١٧٨ و ٣٣٠ ـ تفسير المنار: ١/ ٢٥٦ و ٨/ ٣٢٨.

لإبليس والملائكة بالسجود لآدم ـ على أن أصلهما واحد، بمعنى أن إبليس كان مأموراً هو والملائكة، ندّاً لندٍّ، بأن يسجد لآدم. ويحسنُ أن نشير هنا إلى أن أي استثناء لم يحصل عليه من بين زمرة الملائكة، لكن الاستثناء حصل في الناحية الوصفية وهوأنه رفض أمر الله الصادر، ورفض طاعته. فالاستثناء جاء من الوصفية وليس من أصله مع الملائكة.

ونصل في النهاية إلى هذه النتيجة: هي أن إبليس لو لم يكن من جنس الملائكة لما شمله أمر ﴿**وإذ قلنا للملائكة اسجدوا**...﴾[1]. ولما نجم عن الإباء والاستكبار. وبما أننا نعلم أن إبليس ـ بسبب تركه السجود ـ مستكبر ويستحق اللوم فإننا نستنتج أنه تغاضى عن أمر ربه وأن شمول هذا الأمر نحو إبليس صحيح ويدل على أنه من جنس الملائكة ولا بد لنا من أن نذكر أن هذا الاستثناء هو استثناء متصل مبني على أن هذا المستثنى هو من جنس المستثنى منه.

ب ـ أدلة المنكرين لوحدة الجنس بين إبليس والملائكة:

ـ يقول الشيخ المفيد: لم يكن إبليس من جنس الملائكة، إنما هو من جنس الجن. والأخبار المتواترة عن الأئمة عليهم السلام تؤيد انعدام وحدة الجنس بينهما. ويؤيد علماء الشيعة هذه النقطة [ولدى علماء الشيعة عدد من الأدلة تثبت عدم وجود وحدة جنس بين إبليس والشيطان من جهة والملائكة من جهة أخرى].

١ ـ ففي الآية ﴿... **إلا إبليس كان من الجن**...﴾[2] دليل على أن إبليس من الجن وفي الآية: ﴿**لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون**﴾[3]. وصفهم وعرّف بهم. وظاهر هذه الآيات يدل على أن إبليس لم يكن من الملائكة[4]، وقد قال الإمام الصادق عليه السلام: «ظنت الملائكة أن إبليس من جنسها، لكن الله تعالى يعلم

(١) سورة البقرة الآية: ٣٤.
(٢) سورة الكهف، الآية: ٥٠.
(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٢٧.
(٤) تفسير الميزان: ٨/ ٢٢.

أنه غير ذلك»[١]. «لقد أمر الله الملائكة بالسجود، فدخل إبليس ضمن دائرة هذا الأمر مع الملائكة، لأن إبليس كان في معيّة ملائكة الله في السماء يُظهر عبوديته، وكانت الملائكة تظنُّ أنه من جنسها في حين أنه لم يكن كذلك. ولكن حين أصدر الله أمره بالسجود أظهر إبليس حسده الذي كان كامناً في قلبه غضباً وحمية. حينئذٍ أدركت الملائكة أن إبليس لم يكن من جنسها[٢]. ويقول جميل بن دراج: «سألت الإمام الصادق عليه السلام: أكان إبليس من الملائكة؟ وكان له تدبير محدد في السماء؟ فأجاب لم يكن من الملائكة، ولم يكن له أي صفة في السماء، لقد كان من الجن يطوف مع الملائكة».

كما أن الإمام عليه السلام قال: «تختلف الجن عن الملائكة من ناحية الخلقة»[٣] والجانُّ هي هذه الموجودات التي ذكرها الله في الآية: **﴿والجانَّ خلقناه من قبلُ من نار السَّموم﴾**[٤].

ولهذا يقول مؤيدو هذه النظرية: إذا ذكرت كلمة «الجن» بصورة مطلقة أو بدون قيد اضافي لم تُعتبر إلا جنساً خاصاً بها كجنس الإنس والملائكة، ليس غير[٥].

فإن علمنا أن إبليس من جنس الجن لا بد لنا أن نعلم أيضاً أنه لم يكن من زمرة الملائكة، لأن الله تعالى قال: **﴿ويوم تحشرُهُم جميعاً لم يقل للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك أنت ولُّينا من دونهم بل كانوا يعبُدون الجن. . .﴾**[٦].

---

(١) تفسير الميزان: ٨/ ٥٦.

(٢) البرهان للبحراني: ١/ ٧٦ و ٧٨ ـ الكافي (الروضة): ٨/ ١٤١ ـ سفينة البحار: ١/ ٩٨ ـ الميزان: ١٢/ ١٥٥.

(٣) البحراني ـ البرهان: ٢/ ٤٧١ ـ الكافي (الروضة): ٨/ ٢٧٤.

(٤) سورة الحجر، الآية: ٢٧.

(٥) التبيان للطوسي: ١/ ١٥٢ ـ مجمع البيان: ١/ ٨١ والجامع لأحكام القرآن: ١/ ٢٩٤.

(٦) سورة سبأ، الآية: ٤٠ ـ ٤١.

تبرز هاتان الآيتان التفاوت صريحاً بين «الجن» و «الملك»[1].

وكان الحسن البصري يقول: «لم يكن إبليس، حتى قدر غمضة عين، من الملائكة قط»[2] وكان شهر بنُ حوشب يقول: كان إبليس من الجن. وحين عاثت الأجنَّة في الأرض فساداً أرسل الله عليها جيشاً من الملائكة، فقاتلتها الملائكة وأبعدتها إلى جزر البحر النائية. وكان إبليس من جملة الأسرى، فساقته الملائكة إلى السماء، فمكث فيها، وفي ذلك الوقت أمر بالسجود وامتنع[3].

سئلِ الإمام الصادق عليه السلام: كيف شمل الأمر بالسجود إبليس، وكان المأمورون ملائكة وسجدوا ولم يشمل إبليس هذا الأمر؟ قال: «لقد كان إبليس مع الملائكة عن طريق الولاء وتحت الحماية، لكنه لم يكن من جنسها». وهذا يثبت أن الله خلق مخلوقات قبل آدم، وكان إبليس منهم وكان يحكم في الأرض. وفسدت هذه المخلوقات وتمردت وشُغلت بالقتل وسفك الدماء، فأمر الله الملائكة أن توقف سفك الدماء والقتل، فأسرت إبليس وقادته إلى السماء[4] جاء في بعض الروايات: «. . . أن إبليس حين أسرته الملائكة كان صغير السن، فانشغل معها بالعبادة، ولهذا شمله خطاب الله وأمره بالسجود ولا شك أنه اعتبر واحداً منها من هذه الناحية»[5].

٢ ـ والدليل الثاني على عدم تكافؤ الجنسين وعلى تفاوت العنصرين، أن إبليس والملائكة خلقت من عنصرين، ولا شك أن إبليس خُلق من نار، يؤكد هذا حين أبدى احتجاجه إلى الله: ﴿**خلقتني من نار وخلقته من طين**﴾[6]. وكنا رأينا آنفاً أن إبليس من جنس الجن، وذكر القرآن صراحة أن الله خلق الجن من النار،

(١) التفسير الكبير: ١/ ٢١٣.
(٢) إبليس في القرآن والحديث ـ ص ٢٤.
(٣) الجامع لأحكام القرآن: ١/ ٢٩٤ ـ قصص الأنبياء لابن كثير: ١/ ٤٠.
(٤) البرهان للبحراني: ١/ ٧٦.
(٥) مجمع البيان: ١/ ٨٣ ـ جامع البيان: ١/ ١٧٩ ـ تفسير القمي: ٣٢ ـ البحار ٦٠/ ٢٣٤ و ٢٧٣ الجامع لأحكام القرآن ١/ ٢٩٤.
(٦) سورة الأعراف: الآية: ١٢ ـ وفي مواضع أخرى.

قال تعالى: ﴿وخلق الجانَّ من مارج من نار﴾[1].

والمعلوم أن الملائكة لم تُخلق من نار، بل خلقت من نور أو روح أو ريح، وإبليس هو الشيطان نفسه وخُلق الشيطان من نار. فعلى هذا يتضح لنا أن مبدأ خلق إبليس والملائكة من جهة نظر القرآن والحديث، مختلف ومتمايز في أصله. قال ابن أبي حاتم عن محمد بن عامر المكي: «خلق الله الملائكة من نور، والجانَّ من نار، والبهائم من ماء، وآدم من تراب، وأقرَّ الله تعالى الطاعة في الملائكة والمعصية في الجن والإنس»[2]. والمشهور أن الملائكة مخلوقات روحانية لأنها خلقت من ريح أو روح. ولهذا عدَّت الملائكة صنفاً من الموجودات، هذه الموجودات التي يمكن تصنيفها إلى ثلاثة أنواع هي:

١ ـ الأخيار والمنتخبون، وهم الملائكة.

٢ ـ الأشرار، وهم الشياطين.

٣ ـ الأوساط، والذين بينهم الأخيار وبينهم الأشرار وهم الجن بدليل الآية: في قوله تعالى: ﴿وأنّا منّا المسلمون ومنّا القاسطون﴾[3] ويشكل إبليس والشياطين مع طائفة من الجن هذا النوع المنحرف[4].

٣ ـ ودليل ثالث هو أن إبليس ذو نسل وذرية وأصل، تتوالد مثله ومن جنسه. وكنا ذكرنا سابقاً ـ بناء على روايات متعددة ـ أنه يدعى أبا الجان، كما أن آدم عليه السلام يدعى أبا الانس أو أبا البشر في حين أن الملائكة لا تتناسل: لا تأكل ولا تشرب شيئاً[5].

ودليل هذا الأمر أن هذا التوالد والتناسل يمكن أن يجري عن طريق لقاح جنس الذكر مع جنس الأنثى، في حين أن الملائكة ليس بينها مذكر ومؤنث، لأن

---

(١) سورة الرحمن. الآية: ١٥.

(٢) الدر المنثور: ١/ ٥١.

(٣) سورة الجن: الآية: ١٤.

(٤) انظر التفسير الكبير: ١/ ٢١٤ ـ المنار: ٨/ ٢٤١ و ٣٢٩.

(٥) التبيان للطوسي: ١/ ١٥٢ ـ مجمع البيان: ١/ ٨٢.

الله تعالى يقول عن الملائكة ردّاً على من اعتقدوا أنّ الملائكة إناث: ﴿**وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً أشهدوا خلقهم...**﴾[1].

وحين تنتفي الأنوثة عن الملائكة ينتفي النسل من بينها حتماً[2].

٤ ـ يجب أن تعتبر عصمة الملائكة دليلاً آخر على اثبات اختلاف جنسها عن جنس إبليس بدليل قوله تعالى: ﴿**لا يعصون الله ما أمرهُم ويفعلون ما يؤمرون**﴾[3]. فالله تعالى نفى المعصية عن الملائكة، نفياً قاطعاً. أما إبليس فلم يكن معصوماً، بل إنه ليس له عمل ولا يصدر عنه عمل غير المعصية. إضافة إلى هذا فإن الله دعا الملائكة رُسله، قال تعالى: ﴿**جاعلِ الملائكة رُسُلاً أولي أجنحة**﴾[4] ومعلوم أن الكفر والفسوق ليس لهما طريق إلى رسل الله، ولو أن الكفر والفسوق وجدا طريقهما نحوهم لتسرب إليهم الكذب، لكن من المسلَّم به أن الكذب غير وارد عندهم أصلاً، وهذا الإبليس كان فيه وما زال يحمل الفسق والكذب والكفر[5]. فمحال على إبليس أن يكون ـ على هذا ـ من جنس الملائكة.

٥ ـ والاستثناء في ﴿**فسجدوا إلاّ إبليس**﴾[6] لا يعدُّ دليلاً قاطعاً على إثبات توافق جنسية إبليس مع جنسية الملائكة.

وإنما استثني إبليس من السجود لآدم ـ لأنه كان مع الملائكة: فهذا الاستثناء ـ كما أسلفنا على رأي بعض المفسرين ـ استثناء منقطع، بمعنى أن المستثنى يختلف قطعاً عن جنس المستثنى منه. وهذا الاستثناء المذكور في الآية المذكورة شبيه بالاستثناء المنقطع في الآيتين المذكورتين:

﴿**ما لهمُ به من علم إلا اتّباع الظنِّ**﴾[7].

---

(١) سورة الزخرف: الآية: ١٩.
(٢) التفسير الكبير: ١/ ٢١٤.
(٣) سورة التحريم، الآية: ٦.
(٤) سورة فاطر، الآية: ١.
(٥) انظر مجمع البيان: ١/ ٨٢ ـ التفسير الكبير: ١/ ٢١٤.
(٦) سورة البقرة، الآية: ٣٤.
(٧) سورة النساء، الآية: ١٥٧.

﴿فلا صريخ لهُم ولا هم يُنقذون إلا رحمةً منّا ومتاعاً إلى حين﴾[1] وإن الأدلة الأربعة السابقة تؤيد نوع الإستثناء في مثل هذه الآية والذي هو منقطع[2].

(١) سورة يس، الآية: ٤٣ و ٤٤.
(٢) مجمع البيان: ١/ ٨٣ ـ التبيان للطوسي: ١/ ١٥١ ـ الجامع لأحكام القرآن ١/ ٢٩٤.

الفصل الثاني

إبليس Diable

ـ لفظة إبليس:

يرى عدد من علماء اللغة أن «إبليس» لفظة أعجمية معرَّبة عن اللفظة اليونانية «ديـابـولـوس Diabolos، ويقـولـون: إن كلمـة Diable الفـرنسيـة وكلمـة Devil الانكليزية مأخوذتان من ذلك الجذر اليوناني.

كما أن مؤلفي معاجم اللغة العربية وعدداً من المفسرين يرجِّحون أعجميتها، أو أنها من الألفاظ الدخيلة على اللغة العربية[١].

ويقولون إن لفظة «ديابولوس» تعني في اللغة اليونانية: النّمام والمفتري[٢]. بينما ترى فئة أخرى من علماء اللغة والمفسرين، أن لفظة «إبليس» عربية مشتقة من الإبـلاس، ومعنـاهـا: اليـأس، الضـلال، الـدهشـة، السكـوت، الحـزن، و... ويوردون على ادعائهم هذا شواهد مختلفة. فإبليس يئس من رحمة الله، وفي النهاية تاه بسبب كبريائه واعتراهُ الخوف والحزن والصمت قال الله تعالى: ﴿ويوم

---

(١) انظر: القاموس المحيط: ١/٣١٣ ـ لسان العرب: المجلد الأول ـ الصفحة ٢٥٦ ـ دائرة المعارف للبستاني: المجلد الأول/ الصفحة ٣٣٧. روح المعاني: المجلد الأول/ الصفحة ٢٢٩ ـ وتفاسير أخرى ـ في ذيل تفسير الآية: ٣٤ من سورة البقرة.

(٢) لسان العرب ـ المصطلحات العلمية: المجلد الرابع/الصفحة ٦٩ ـ دائرة المعارف للبستاني: المجلد الأول الصفحة ٣٣٧ ـ دانشنامة ايران وإسلام: المجلد الثاني/ الصفحة ٣٧٨ ـ أعلام القرآن: الصفحة ٧٧.

تقومُ الساعةُ يُبلسُ المجرمون﴾[1].

كما ورد في الحديث: «أعوذ بك من شرِّ ما يبلسُ إبليسُ وجنوده».

... وأيضاً: «ألم ترَ الجنَّ إبلاسها؟»، وعن الإمام الرضا عليه السلام: إنه سمي إبليس لأنه أبلُس من رحمة الله»[2].

وكثيرة هي الأحاديث التي تدل على أن اسم إبليس مشتق من الإبلاس. كما أن كتّاب اللغة الذين يرجّحون اشتقاقها من العربية كثيرون، ويؤيدون ما ذهبوا إليه بشواهد عديدة[3].

ومع أن العلماء الذين يعدّون لفظة «إبليس» عربية، يعتبرونها ممنوعة من الصرف ويقولون: إن سبب عدم انصرافها ربّما يرجع إلى اشتغال حركة الجر في آخرها.

وإضافة إلى ذلك، فإن هذه اللفظة «إبليس» ليس لها نظير في العربية ولم يصدف أن تسمَّى بها أحد طوال الأزمنة الماضية، وهذا ما دفع العرب إلى اعتبارها شبيهة بالأسماء الأعجمية، واستخدموها بصيغة ما لا ينصرف[4].

وقد ورد ذكر لفظة إبليس مفردة في القرآن الكريم إحدى عشرة مرةً، تسعة مواضع منها متعلقة باستكبار إبليس وإبائه من السجود لآدم عليه السلام قال تعالى:

١ ـ ﴿وإذا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين﴾[5].

٢ ـ ﴿ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا

---

(١) سورة الروم الآية: (١٢).

(٢) روح المعاني ـ الميزان/ مجلد ٨ ـ ص ٦٠.

(٣) القاموس المحيط: ١/٣١٣ ـ مجمع البحرين: ٤/٥٤ ـ لسان العرب: ١/٢٥٦ ـ معاني الأخبار: ١٣٨ ـ مجمع البيان: ١/٨١ ـ البحار: ٦٠/٣٠٨ ـ الإتقان: ٤/٨٢ ـ سفينة البحار: ١/٢٩٩.

(٤) روح المعاني: المجلد الأول ـ الصفحة ٢٢٩.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٣٤.

إبليس لم يكن من الساجدين﴾[١].

٣ ـ و ٤ ـ **﴿إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين. قال يا إبليس مالك ألاّ تكون مع الساجدين﴾**[٢].

٥ ـ **﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلاّ إبليس قال ءَأسجد لمن خلقت طيناً﴾**[٣].

٦ ـ **﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلاّ إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدوٌّ بئس للظالمين بدلاً﴾**[٤].

٧ ـ **﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى﴾**[٥].

٨ ـ و ٩ ـ **﴿إلاّ إبليس استكبر وكان من الكافرين * قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيديَّ استكبرت أم كنت من العالين﴾**[٦].

في حين أن الموضعين الآخرين:

١٠ ـ **﴿وجنودُ إبليس أجمعون﴾**[٧].

١١ ـ **﴿ولقد صدَّق عليهم إبليسُ ظنهُ فاتبعوه إلاّ فريقاً من المؤمنين﴾**[٨].

وليس لمعانيهما علاقة بهذا الأمر.

كما ورد اسم إبليس في نهج البلاغة إحدى عشر مرة ـ كعددها في القرآن[٩].

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١١.
(٢) سورة الحجر، الآية ٣١ والآية ٣٢.
(٣) سورة الإسراء، الآية: ٦١.
(٤) سورة الكهف، الآية: ٥٠.
(٥) سورة طه، الآية: ١١٦.
(٦) سورة ص، الآية: ٧٤، والآية: ٧٥.
(٧) سورة الشعراء، الآية ٩٥.
(٨) سورة سبأ، الآية: ٢٠.
(٩) الكاشف: ٤٩.

ولم ترد كلمة «إبليس» بصيغة الجمع في القرآن الكريم مطلقاً، إلا أن الأخبار والأحاديث وسائر الكتب استخدمتها بصيغة الجمع «أبالسة»[1].

يقول المبيدي: «.. ومعنى إبليس: اليائس، يعني: أبلس من رحمة الله» وقبل أن يشتهر بهذا الاسم كان يدعى «عزازيل». وقالوا: الحارث، وكنيته «أبو كُردوس»[2].

إن كلمة «أبالسة» جمع «إبليس» ومعناها «الشياطين». ودعاه الكفعمي بأبي الجن وقال للجن طائفة ذكور وطائفة إناث، وهم يتوالدون ويموتون. ويذكر أن الأبالسة هم الشياطين ولا ينقسمون إلى ذكور وإناث، ولا يتناسلون، ولا يموتون وهم كإبليس مخلَّدون في الدنيا، في حين أن «الجانَّ» أبو الأجنَّة[3].

يعتقد بعضهم أن «الجن» مُسخ إلى «جان: ثعبان»، كما أن «الإنس» مُسخوا إلى قردة وخنازير. ولقد خُلق إبليس والشياطين والأجنة قبل خلق آدم بدليل قوله تعالى: ﴿.. **أفتتخذونه وذُريته أولياء من دوني**..﴾[4].

كما أن «جنود إبليس» وردت في القرآن الكريم، وفُسرت بأنهم نسله وأبناؤه[5].

ـ إبليس في الأديان الأخرى:

ـ لقد كان لكل شُعب من شعوب الأرض، أو مذهب من المذاهب رأيهم الخاص في إبليس أو الشيطان قد يتفقون فيه مع الشعوب والمذاهب الأخرى وقد

---

(١) انظر: مصباح المتهجد: ٣٤٠ و ٣٤١ ـ البحار: م ٦٠/ ص ٢٥٧ و ٢٦٦ و ٢٦٧.
(٢) كشف الأسرار: ١/ ١٤٥.
(٣) ابليس في القرآن والحديث: صفحة ٨ ـ المؤلف الدكتور محمد باقر حجتي ـ دار المجتبى.
(٤) سورة الكهف، الآية: ٥٠.
(٥) مجمع البحرين: ٢/ ٥٤ و ٥٥ ـ مجمع البيان: ١/ ٨٢ ـ التبيان: ١/ ١٥٢ والكافي (الأصول) الحديث: ١٥١٠.

يختلفون حسب ما وصلت إليه عقولهم وما انتقل إليهم من أسلافهم عبر التراث والتقاليد. وفيما يلي نورد جانباً من الآراء والأقوال حول الجن والشياطين قديماً وحديثاً.

ـ إبليس في الديانة الزرادشتية[1]:

ـ لم يؤمن (زارا)[2] بملائكة وشياطين ذات أشكال مختلفة مجنحة أو مريعة، أثيرية المادة. كان إيمانه: بالعقل والنور والخير والتقوى والخلود. ولكن بعد وفاته، أباح الكهنة لخيالهم الجنوح عن المعتقد الصحيح فنادوا بملائكة مجنحة، موآزرة ساهرة، وبشياطين كثر وسود»[3].

ـ إبليس عند شهود يهوه[4]:

ـ الشهود تعني: إن الإله «يهوه» الذي ظهر لموسي على طور سيناء وعبده الاسرائيليون، امتدت عبادته ـ عند غير إسرائيل ـ لما بعد المسيحية في فرق متعددة أهمها: شهود «يهوه». أنه الاسم العلَمْ لخالق السماء والأرض. تلك الديانة من جذور اسرائيلية وتطلعاتٍ مسيحية»[5].

ويعتقدون بإبليس كما جاء عن لسان النبي موسى في التوراة: «إن هناك عدداً من الملائكة (خلائق روحانية) تركوا السماء، ابتغاء شهوات الأرض، ففسدوا وعاثوا فيها، حتى حصل الطوفان، وبعده عادوا إلى الحيِّز الروحي في منطقة

---

(١) انظر التعليقة رقم (٢) للوقوف على الخطوط العامة للديانة الزرادشتية ـ في قسم التعليقات.

(٢) (زارا Zradsht) ـ تحقيق للمدعو (زرداشت)ـ انظر التعليقة رقم (١) ـ في قسم التعليقات.

(٣) موسوعة الأديان ـ سامي أبو شقرا ـ الجزء الأول ـ الصفحة ١٢٤.

(٤) شهود يهوه: آمنوا بالروح القدس كقوة فعالة للاله يهوه. اعتصموا بتعاليم وحرفية الكتاب المقدس، وبأن يسوع غير الله، مستشهدين بكلامه: «أبي أعظم مني» وهناك ثواب وعقاب ـ وتعمل هذه الفرقة على تشكيك الآخرين بعقائدهم ـ

(٥) موسوعة الأديان ـ الدكتور سامي أبو شقرا ـ الجزء الثاني ـ الصفحة ٤٦٦.

مظلمة في السماء، وحُجزوا فيها. لهم سلطة خطرة على الجنس البشري، يمارسونها حتى اليوم، بتوجيه أبيهم «إبليس» رئيس الشياطين: التّنين العظيم. وإن السحر والتنويم والعرافة كلها من هذه الخلائق الشريرة»[١].

وإبليس هو فوق الطبيعة البشرية، إنه روحاني. تكلم بلسان الحية التي أغوت حواء وأغرتها. وإن الرؤيا (١٢: ٩ ـ ٢)[٢] و ٢ كورنثوس (١١: ٣)[٣]، تفتح أمامنا نافذة نطل منها على يسوع، مُصرِّحاً بما خلاصته: «اعترف يسوع بوجود أرواح شريرة على رأسها إبليس أبو الكذب. تمرد ابليس على الله مدعياً الربوبية لنفسه، وساق حواء وآدم بواسطة الحية إلى أكل الثمرة المحرمة، وارتكاب الخطيئة. في رأي الشهود أن إبليس الشيطان هو ذاته «الحية القديمة» أي الشخص الذي أدخل التمرد إلى الكون. إنه يعمل جاهداً لتضليل الشعوب»[٤].

ـ الجن والشياطين في عقائد بوذا وكونفوشيوس:

ـ تنتشر العقيدة الكونفوشيوسية والبوذية في الصين واليابان والهند وبعض الدول الشرقية لآسيا. وتنسب العقيدتان إلى مؤسسيها كونفوشيوس وبوذا اللذان عاشا في القرن السادس قبل الميلاد، من الخرافات التي وصلت إلى حد التيقن عند الكونفوشيوسيين والبوذيين الاعتقاد في الشياطين والأرواح الشريرة المتمثلة في الجن. وتتمثل هذه الخرافات بربط وتوثيق الجن والشياطين في العواصف والرعد والبرق وغيرها.

وأن هناك أنواع سيئة جداً من الجن والشياطين يسكنون الجبال... وتُقص بعض الروايات حول أحد المؤمنين بتمكنه من قتل مردة الشياطين في الجبال وقد وصل الاعتقاد هذا إلى أمور عديدة.. منها الاعتقاد الذي كان يسود أغلب

---

(١) سفر التكوين (٦: ٢ و ٤).
(٢) العهد القديم: الرؤيا (١٢: ٩ ـ ٢).
(٣) العهد القديم: كورنثوس (١١ ـ ٣).
(٤) قصة الديانات ـ سليمان مظهر ـ ص ٣٢١.

الصينيين في النصف الأول من القرن التاسع عشر حيث كان رجال الأعمال لا يشغلون أي مبنى إلا بعد استشارة طاردي الشياطين.

وأيضاً لا يستطيع أي فلاح صيني أن يزرع أرضه قبل أن يتولى الكهنة طاردي الجن والشياطين طرد الجن والشياطين من الأرض مقابل تبرع يقدمه للمعبد. ولا يستطيع أن يجني محصوله قبل أن يطرد الرهبان مرة أخرى الجن والشياطين من الأرض مقابل تبرع جديد.

وكان الاعتقاد أيضاً يسود آراءهم بناطحات السحاب حيث لا يحب أحدهم العمل أو السكن في بناء ناطحات السحاب وذلك خوفاً من الشياطين والجن الذين سيعملون على ايذائهم بصورة خاصة.

واعتقاد آخر.. كانوا قد أنشأوا عادة خاصة خوفاً على موتاهم من إيذاء الجن والشياطين. فلكي لا يعبث الجن والشياطين بجثث الموتى الصينيين أو مضايقة أرواحهم في العالم الآخر، جرت العادة أن تحرق في الجنازات نماذج ورقية كبيرة الحجم، ومقارنة للأصل لبعض الأدوات والأشياء التي كان يستعملها الميت في الحياة الدنيا كعربة وحصان وكرسي، وبعض الثيران، وأحياناً نماذج للخدم...

وبذلك ترضى الجن والشياطين عن الميت لأن أرواح الأشياء المحروقة ستكون في خدمته..

أما الخمر فيعتبر وسيلة الجن والشياطين للايقاع بالبشر وإلحاق الأذى والاضرار بهم..

ومن وصايا كونفوشيوس وبوذا أن لا يشرب أحد خمراً في حياته، لأن الحكمة في ذلك: أن المخمور يفقد وعيه فيصبح عبداً للجن والشياطين، ويتصرف بإرادتهم كما يريدون.

ويتشاءمون أيضاً من التنقيب في باطن الأرض لأن ذلك فيه ازعاج للعالم السفلي عالم الجن والشياطين، وذلك لكي لا تغضب وتنتقم من البشر.. ولذلك فقد ظلت ثروات طبيعية هائلة في الصين والهند حتى عهد قريب لا يجرؤ أحد على

التنقيب عنها[1].

ـ الجن والشياطين في عقائد البابليين والأشوريين:

ـ انتشرت العقائد البابلية والأشورية في العراق وبلاد فارس ويتمثل اعتقادهم في الجن والشياطين في التصورات التالية:

فهم يتصورون العالم مليئاً بالجن والشياطين، ويتقي شرهم بالرقى والتمائم..

وهم مؤمنون إيماناً جازماً بوجود جحافل هائلة من الجن والشياطين القادرة على اغتيال الإنسان.. ولكن من هو الزعيم الأكبر للجن والشياطين... إنه ـ لابارتو ـ عدو الأطفال ومن ثم يتبعه سبعة عظماء يتولون أموراً أخرى... وقد اعتاد الشعب البابلي والأشوري بتلاوة رقية طويلة على المرضى لطرد هؤلاء بالقوة.

وإلى جانب الجن والشياطين في اعتقادهم كانت هناك كائنات نصفها شيطان، ونصفها إنسان وهي وليدة الأغوال الماصة للدماء.. غايتها الأساسية تدمير الإنسان بأي وسيلة كانت... وخوفاً من ذلك فقد كانت الكهنة تقوم على الدوام بإخراج الجني أو الشيطان من جسم شخص ما وذلك بتلاوة تعاويذ خاصة لمثل ذلك الأمر[2]...

ـ الجن والشياطين في العقائد الأفريقية:

ـ بحكم طبيعة القارة الأفريقية المتفاوتة في مناخها وسكانها، كان التفاوت في عادات شعوبها وثقافتهم وأديانهم كبير نسبياً. ولكنهم قد يتفقون في بعض الآراء والعقائد بحكم وحدة الأرض واللون فبالنسبة لعقائدهم في الجن والشياطين فإنها متقاربة نسبياً.

---

(١) الجن والشياطين بين العلم والدين ـ ص ٢٨.

(٢) الجن والشياطين بين العلم والدين ـ ص ٢٠٢.

الإنسان الافريقي. . لا يعرف إلا الخير المتمثل بقوة الخالق والشر المتمثل بالأرواح الشريرة ـ الجن والشياطين. . . والثعبان عندهم هو رمز القوة. . فهو مخلوق سخيف غامض رهيب(١).

وأيضاً بحكم الغابات الشاسعة في القارة الأفريقية فإن الكثير من الأساطير تدور حول وجود الأرواح الشريرة وسط الغابات، وهي متمثلة بالجن والشياطين الذين يحاولون السيطرة على الأجناس البشرية بكل وسيلة مهما كانت. . . وعلى هذا فإننا نرى الكهنة يمارسون عادات غريبة وطقوس عجيبة لطرد الجن والشياطين من فلان أو فلانة أو من منزل أو مكان أو غابة. . . وما على الشعب إلا الامتثال لأوامر الكهنة بكل ما تقتضيه شرائعهم(٢).

ـ الجن والشياطين في عقائد الجينية:

بالاطلاع على حياة وسيرة «مهاويرا» معلم العقيدة الجينية نستطيع أن نحدد موطن هذه العقيدة الأصلي هو الهند موطن العقائد الغريبة. وتعتمد هذه العقيدة التعري من الملابس في الدرجة الأولى من الالتزام بالتأمل والمراقبة.

ويعتقد اتباع هذا المنهج أن اتخاذ العري ما هو إلا وسيلة لمحاربة الشيطان ويستندون في ذلك إلى فلسفة قديمة ترتبط بآدم وحواء.

فالاعتقاد السائد لديهم هو أن آدم وحواء كانا في الجنة يعيشان فيها عاريين تماماً وبطهر كامل لا يعرفان هماً ولا غماً. . ولا يعرفان خيراً ولا شراً. . . حتى أراد عدوهما الشيطان أن يأكلا من شجرة العلم بالخير والشر فأخرجا من الجنة من أثر ذلك إذ أن إخراجهما من الجنة كان بسبب الشيطان، وهو الجني المارق الخبيث. . وظهورهما بعد ذلك عراة حفاة يبينون كل شيء للآخرين كان أيضاً بسبب الشيطان. . ذلك. . فإن فكرة العودة للعري وتطبيقها هي محاربة للشيطان. . ذلك الجني الخبيث. . الذي يريد بهما السوء بشكل دائم. . فالحياء

---

(١) الجن والشياطين بين العلم والدين ص ٢٠٦.

(٢) الجن والشياطين بين العلم والدين ـ ص ٢٠٦.

ضد الشيطان كان ذلك في الماضي القريب... وأما الماضي السحيق فقد كان العري هو ضد الشيطان لذلك فلا حياء أبداً وعدم الشعور بالحياء أفضل.. فالشعور بالحياء يتضمن تصور الأثم عندئذٍ يتدخل الشيطان في حياة الإنسان أما عدم الشعور بالحياء فالشيطان لا يمكنه أن يتدخل ما دامت نفس الإنسان قد أعدمت الحياء اعداماً تاماً، وما ذلك العمل إلا زيادة في النقاء الداخلي للنفس البشرية وطرد الشيطان الخبيث اللعين[1].

ولعلّ ما نراه من دعوات للتحلل والاباحية، والعودة إلى حياة الغاب والتشجيع على التعري، وانتشار نوادي العراة في بلاد الغرب مع ما أفرزته وتفرزه من صرعات جديدة تدعو إلى الخروج على جميع الأعراف الأخلاقية والدينية والاجتماعية كلها نتاج تلك العقائد وفلسفاتها القديمة بعد أن استخرجت من عمق التاريخ وأعيدت لها الحياة بصورة حديثة وديكور جديد ومسميات مختلفة وجذابة.

ـ الشيطان عند المجوس:

ـ هناك رأي يقول بأن المجوسية كانت في يوم من الأيام ديناً سماوياً ولكنها حرّفت وبدّلت وأضيف إليها كما حصل للأديان القديمة وهي اليوم شبه منقرضة، وموطن المجوسية الأصلي بلاد فارس.

ويرى المجوس أن الشيطان يمثل عنصر الشر في هذا العالم.

وقال المجوس: أن كل ما في العالم من الخيرات فهو من «يزدان» وكل ما فيه من الشرور من «أهرمن» وهو المسمى بابليس في شرعنا ثم اختلفوا، فالأكثرون منهم على أن «أهرمن» محدث، ولهم في كيفية حدوثه أقوال عجيبة، والأقلون منهم قالوا أنه قديم أزلي، وعلى القولين اتفقوا على أنه شريك الله في تدبير العالم، فخيرات هذاالعالم من الله، وشروره من ابليس[2].

---

(١) الجن والشياطين بين العلم والدين ـ ص ٢٠٨.

(٢) بحار الأنوار ـ ج ٦٣ ـ ص ٤٦.

ـ الشيطان عند إخوان الصفا وخلان الوفا:

ـ إنها جمعية أخوية خِلاّنية إشراقية، ما زال لغزاً اسم أول من قام بها. قيل: إنهم ثلاثة من الإخوان الاسماعيليين كلاهم يحمل اسم «محمد»، تمويهاً للأخصام.

كما قيل أن عدداً وافراً من الكُتَّاب ساهم في تدبيج رسائلهم.

يؤمنون بأن نور الله يشرق على مختاريه، فيصبح لهم دراية في معرفة المستقبل. ومن أشرق عليه النور، فهو إلهٌ بالاشراق دون أن ينقص من نور الله شيء.

قالوا إن لله وحيين: الفلسفة والشريعة. وإن الإمام من ذرية إسماعيل، وهو وارث علم النبوآت، خاصة الخفية الباطنية منها. وأنه العقلي الكلي «والكلمة». هو عين الحقيقة.

آمنوا بالسحر والتنجيم، وقبسوا الكثير من الروح الفيثاغورية الهرمسية. اعتقدوا بأن الشياطين هي أصحاب النفوس المعاندة التي تنكرت للحق واستمرت في نكرانها وضلالها، كذلك هم الجنّ على أنواعهم، كلهم أرواح شريرة. وإن إبليس مصدر الظلمات، وهو الذي سبَّب الخطيئة الأولى حُباباً بالمعاصي والشر[١].

ـ عبادة الشيطان:

.. إن عبادة الشيطان هي جزء من العبادات المختلفة التي كانت تؤمن بها شعوب آسيا وأفريقيا وأميركا الجنوبية. لعبت دوراً كبيراً في (التيبث) قبل ظهور اللاَّما وبعده. لها رقصات خاصة يمارسها أتباع العقيدة في أوقات معينة.

---

(١) موسوعة الأديان ـ الدكتور سامي أبو شقرا. المجلد الثالث ـ الصفحة ٨٧٤ ـ ٨٧٧.

أصحاب هذا المعتقد يؤمنون بأن للشر قوى توازي قوى الخير. والشيطان هو هذه القوة الشريرة في العالم. بوُسْعِهِ أن يؤذي أيَّ إنسان، متى شاء[1].

لذا فقد اتخذ منه أعوانه إلهاً يعيرونه كل القداسة للوقاية من أذيته.

وقيل أن بعض القبائل في سوريا الشمالية تحنُّ إلى هذا المعتقد وتمارس طقوسه حتى اليوم وهم قلائل جداً.

الشيطان وذكره في الانجيل:

ـ وردت لفظة إبليس بصفة الجمع في الإنجيل في مواضع عدة نذكر فيما يلي مصادرنا: ففي رسالة بولس الأولى إلى تيموتاوس[2]، ورسالته الثانية[3] والرسالة نفسها إلى تيتوس[4].

وقد وردت كلمة «إبليس» في الأصل اليوناني مجموعة، متضمنة المعنى الوصفي للّفظ. كما جاء ذكر إبليس في الإنجيل في مواضع أخرى وكذلك في بعض الرسائل: بصفة شيطان، والمذكور، و «يهوذا» في إنجيل يوحَّنا[5]، و «بطرس» في إنجيل متى[6] وسبب ذلك أن «يهوذا» ـ لمدة طويلة جداً ـ وبطرس ـ لمدة قصيرة نسبياً ـ كانا يقومان بأعمال تشبه أعمال إبليس[7]. وقد ذكر الشيطان في الإنجيل وأخذت هذا الفصل منه، وهو الآتي: .

«ثم اقتاد الروح القدس يسوع إلى البرية ليجربه إبليس فصام أربعين يوماً وأربعين ليلة، أخيراً جاع.

---

(١) موسوعة كتاب العالم (World Book Encyclopidia) ـ في جزئه الخامس ص ١٤١.
(٢) الإصحاح ٣، عدد ١٥.
(٣) الإصحاح ٢، عدد ٣.
(٤) الإصحاح ٢، عدد ٣.
(٥) الإصحاح ٦، عدد ٧٠.
(٦) الإصحاح ١٦، عدد ٢٣.
(٧) دائرة معارف البستاني: ١/ ٣٣٧ و ٣٣٨ ـ أعلام القرآن: ٧٨، و ٧٩.

١ ـ فدنا منه المجرب وقال له: إن كنت ابن.. فمر أن تصير هذه الحجارة أرغفة فأجابه مكتوب ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، بل بكل كلمة تخرج من فم الله.

٢ ـ فأخذه إبليس إلى المدينة المقدسة، وأقامه على شرفة الهيكل، وقال له: إن كنت ابن.. فألق بنفسك إلى الأسفل، فإنه مكتوب: يوصي بك ملائكته فيحملونك على أيديهم لئلا تصطدم رجلك بحجر، فقال له يسوع: مكتوب أيضاً لا تجرب الرب إلهك.

٣ ـ فأخذه أيضاً إبليس إلى جبل عال جداً وأراه جميع ممالك الدنيا ومجدها، وقال له: أعطيك هذا كله إن خررت وسجدت لي، فقال له يسوع: إليك عني يا شيطان، فإنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد، حينئذٍ تركه إبليس وإذا ملائكة قد دنوا منه وأخذوا يخدمونه[1].

وقد أثير من خلال الانجيل المقدس عدة روايات تؤكد على أن عيسى بن مريم قد شفى الناس من المس الشيطاني وما ذلك إلا بإذن ربه، والله أعلم وعلى هذا فإني أذكر منها ما يلي:

١ ـ المسيح يشفي رجلاً من المس الشيطاني بمجمع كفرناحوم:

وأتوا كفرناحوم. فلما أتى يوم السبت دخل المجمع وأخذ يعلم فدهشوا لتعليمه، لأنه كان يعلمهم مثل من له سلطان لا مثل الكتبة، وكان في المجمع رجل فيه روح نجس، فأخذ يصيح: ما لنا ومالك يا يسوع فأجابه يسوع قائلاً: اخرس واخرج من هذا الرجل.. فهذه الروح النجس وصاح بصوت جهيد وخرج منه، فدهشوا جميعاً وأخذوا يتساءلون ما هذا؟ إنه لتعليم جديد يلقي بسلطان، إنه يأمر حتى الأرواح النجسة فتطيعه، وفي الحال ذاع خبره في كل مكان في الجليل[2].

٢ ـ ولما غربت الشمس أخذ جمع الذين عندهم مرض على اختلاف العلل يأتون بهم، فكان يضع يديه على كل واحد منهم ويشفيهم، وكانت الشياطين أيضاً

---

(١) الجن والشياطين بين العلم والدين ص ١٨٢ ـ ١٨٣.

(٢) الإنسان والشيطان ـ محمد أمين البقشي ـ ص ١٧.

تخرج من أناس كثيرين، وهي تصيح: أنت ابن.. فكان ينتهرها ولا يدعها تتكلم، لأنها عرفت أنه المسيح[1].

وإبليس في نظر المسيحيين يتضمن معنى آخر، إنه روح عمدة الشر، فقد جاء في تعاليم آباء الكنيسة: إبليس رئيس العصيان ومُثيره بين الملائكة، وهو كذلك عدو الله، ومبدأ الجريمة، ومُنشىء الفتن والعصيان.

وتستند المسيحية في هذا الأمر إلى آيات من كتابهم، وترى أن إبليس سلطان هذا العالم، وأنه صانع عالم عبادة أوثان، إلا أن المسيح حدّ من شوكته، وقلّل من قدرته، وأضعف من جبروته، وهكذا تمكنت المسيحية من التغلب عليه.

ولإبليس المقام الأول بين السحرة، لأنه ملك «الأرواح السّفلية» عند المسيحيين وشعراء القرون الوسطى. ولقد نظم هؤلاء الشعراء منظومات خرافية حول إبليس، ووضّحوا بلوحات شعرية شكله وصفاته، مبنية على أن إبليس موجود، أسود البشرة، ذو عينين ينبعث منهما لهيب النار، وينشر في الفضاء رائحة الكبريت، وذو قرنين، وأظافر معقوصة، وحافر مشقوق[2].

ـ إبليس في ثقافة اليهود واليزيدين[3]:

ـ إبليس في نظر اليهود يتضمن معنى آخر، إنه روح عمدة الشر، فقد جاء في تعاليم آباء الكنيسة اليهودية: أن إبليس رئيس العصيان ومُثيره بين الملائكة، وهو كذلك عدو الله، ومبدأ الجريمة، ومُنشىء الفتن والعصيان.

وقد أفدنا من الحديث الذي أجراه إبليس مع حواء، وهو ما جاء في الإصحاح الثالث من سفر التكوين، فقد ذكر أن إبليس دخل في جوف الثعبان، وراح يخاطب حواء كذباً وميناً، ويحثّها على تناول ثمار الشجرة التي نهاهما الله

---

(١) الجن والشياطين بين العلم والدين/ ص ١٨٣.

(٢) إبليس في القرآن والحديث ـ الدكتور محمد باقر حجتي ص ١٠ ـ ١١.

(٣) انظر التعليقة رقم (٣) ـ في قسم التعليقات للوقوف على التعريف باليزيدية.

عنها، وافترى عليها فقال: «لقد ظلمك الله، إنه لا يهتم إلا بمصالحه ورغباته، ولا يعبأ بمصالح مخلوقاته، ولهذا حرمكما من أكل ثمار شجرة معرفة الخير والشر وقال إبليس بلسان الثعبان: لن تموتا إن أنتما (آدم وحواء) تناولتما هذه الثمرة، وستبقيان خالدين في الجنة.

والله يعلم أنه يوم تأكلان منها تنفتح أعينكما [وتزداد قوتكما وتتوسع] وتكونان كالله عارفين الخير والشرَّ»[١].

أما اليزيديون[٢]، في الوقت الحاضر، وهم المقيمون في مناطق: كردستان، وأرمينية، وفي قريتين حول «حلب» وتدعى إحداهما «جَلمَة». يبدو أن اليزيديين كانوا بادىء ذي بدء نصارى، ثم دخلهم الإسلام، وبعد ذلك دخلت عليهم عبادة إبليس وعلى الرغم من هذه العبادة فإنهم يعتقدون أن إبليس سيسقط بعد صراعه مع الله كما يعتقدون أن الصلح سيقع بينهما ليعود إبليس إلى مقامه السامي. ويهتم اليزيديون ـ ويعتمدون ـ على إبليس في نهاية الحياة أكثر من الاعتماد على الأنبياء في الديانات الأخرى[٣].

ـ الجن والشياطين عند العرب قبل الإسلام:

ـ قال جمهور العلماء: كانت العرب تزعم أن الغيلان في الفلوات. وهي جنس من الشياطين تتراءى للنّاس وتتغول تغولاً، أي تتلون تلوناً، فتضلهم عن الطريق وتهلكم فأبطل النبي ﷺ ذلك[٤].

وتزعم العرب أنه إذا انفرد الرجل في الصحراء ظهرت له في خلقة إنسان فلا يزال يتبعها حتى تضله عن الطريق وتدنو له وتتمثل له في صور مختلفة فتهلكه روعاً، وقالوا إذا أرادت أن تضل إنساناً أوقدت له ناراً فيقصدها[٥].

---

(١) دائرة المعارف للبستاني: ١/ ٣٣٨.

(٢) انظر التعليقة رقم (٣) ـ وانظر أيضاً تفصيلاً عنهم ـ أي اليزيدّيين ـ في كتاب «اليزيديون واقعهم ومعتقداتهم» ـ للدكتور محمد التونجي، طبعة الكويت.

(٣) دائرة معارف البستاني: ١/ ٣٣٨.

(٤) الجن والشياطين بين العلم والدين/ ص ١٨٣.

(٥) بحار الأنوار ـ الشيخ المجلسي ـ ج ٦٣ ـ ص ٣١٥.

وعن ربيع بن أنس في قوله تعالى: **﴿وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادهم رهقاً﴾** قال: كانوا يقولون فلان رب هذا الوادي من الجن، فكان أحدهم إذا دخل ذلك الوادي يعوذ برب الوادي من دون الله فيزيده بذلك رهقاً، أي خوفاً[1].

وعن ابن عباس قال: كانت الشياطين لهم مقاعد في السماء يسمعون فيها الوحي فإذا سمعوا الكلمة زادوا فيها تسعاً، فأما الكلمة فتكون حقاً، وأما ما زاد فيكون باطلاً[2].

وقال علي بن إبراهيم في قوله: **﴿وأنه كان رجال...﴾** الآية قال: كان الجن ينزلون على قوم من الإنس ويخبرونهم الأخبار التي يسمعونها في السماء من قبل مولد رسول الله ﷺ فكان الناس يكهنون بما أخبرهم الجن[3].

ـ أسماء وألقاب أخرى لإبليس:

١ ـ **عزازيلُ**: يقولون أن اللفظة عبرية معناها: عزيز الله، أو أنه اسم تيس يرمي عليه الخاطئون ذنوبهم، يرعى في وادي باير ليخفي ذنوب الناس في موضع لا يعرفه أحد، وتنتهي أخطاؤهم في ذلك المكان المجهول. وكان هذا الاسم خاصاً به قبل أن تحلَّ عليه اللعنة.

٢ ـ **الرجيم**: لأن إبراهيم عليه السلام رجمه في منى، أو لأن الملائكة رمته بالشهب السماوية.

٣ ـ ٨ ـ **الحارث**: أبو مُرَّة (أو أو قِتْرة أو فِتْرة)، أو كُردوس، أبو خلاف، أبو دوجانه.

٩ ـ **أبو لُبينَى**: لأن لُبينى اسم ابنة إبليس.

١٠ ـ و ١١ ـ **نائل**: أبو جان[4].

---

(١) بحار الأنوار ـ الشيخ المجلسي ـ ج ٦٣ ـ ص ٣١٥.
(٢) بحار الأنوار ـ الشيخ المجلسي ـ ج ٦٣ ـ ص ١٢١.
(٣) بحار الأنوار ـ الشيخ المجلسي ـ ج ٦٣ ـ ص ٩٩.
(٤) انظر لسان العرب: ٢٥٦/١ ـ قصص الأنبياء لابن كثير: ٤١/١ ـ كشف الأسرار: =

وقد شرح أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في نهج البلاغة ـ ولاسيما في الخطبة التاسعة ـ ضمن حديثه عن المتكبرين الذين يتّبعونه إبليس، أفعال إبليس والشيطان[1].

= ١٢/١٤٥ ـ معاني الأخبار: ١٣٨ ـ البحار: ٦٠/١٩٥، ٢٢٤، ٢٢٦، ٢٤١، ٢٥٥، ٣٠٨، ٣٣٧ ـ الإتقان: ٤/٨٢، ٨٣ ـ قاموس نفيسي: ٤/٢٣٦٤ ـ أعلام القرآن: ٧٨ ـ روح البيان: ١/٤٥ ـ روض الجنان: ١/١٦.

(١) نهج البلاغة، محمد عبده: ٣/٢٢٨ و ٤/٢٤٠ ـ البحار: ٦٠/٢١٤ ـ ٢١٥.

الفصل الثالث

الجن والشياطين وذكرهم في القرآن والروايات الشريفة

ـ ورد ذكر الجن[1] أكثر من ثلاثين مرة في القرآن الكريم. وقد أشار القرآن إلى طرف من أخبارهم وبعض الأحداث المهمة التي حصلت لهم، وبين أيضاً الهدف من خلقهم وعلاقتهم بجيرانهم البشر على هذا الكوكب. كما أشار إلى الشيطان ورابطته بالجن وأثر هذه الرابطة على المسيرة الكلية للجن والإنس في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

وفيما يلي نلقي نظرة سريعة على هذا الموضوع مستعينين فيه بكتاب الله وبعض الروايات الشريفة.

أ ـ الجن مخلوقون من نار:

يقول الله تعالى: ﴿**والجان خلقناه من قبل من نار السموم**﴾[2].

والسموم في اللغة الريح الحارة تكون بالنهار، وقد تكون بالليل، وعلى هذا فالريح الحارة فيها نار ولها لهيب، على ما ورد في الخبر أنها من فيح جهنم، قيل: سميت سموماً لأنها بلطفها تدخل مسام البدن.

قال ابن مسعود: هذا السموم جزءاً من سبعين جزءاً من السموم التي منها الجان وتلا هذه الآية[١].

وتشير هذه الآية إلى سبق وجود الجن في الأرض وروي عن النبي ﷺ: خلق الله الجن خمسة أصناف صنف كالريح في الهواء، وصنف حيات، وصنف عقارب وصنف حشرات الأرض، وصنف كبني آدم عليهم الحساب والعقاب[٢].

ب ـ كان للجن أُمَم وكان يبعث فيهم منذرون:

يقول تعالى: **﴿وحق عليهم القول في أمم خلت من قبلهم من الجن والإنس﴾**[٣].

وقال تعالى في بيان علة خلق الجن والإنس: **﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾**[٤]. فالجن مكلفون كالإنسان تماماً يثابون على الإحسان ويعاقبون على الإساءة.

يقول تعالى: **﴿ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾**[٥].

ج ـ كان الجن يمثلون عنصر الرعب والرهبة عند البشر ويثيرون الخوف في قلوبهم إما بسبب طبيعتهم المختلفة عن طبيعة البشر، أو بما يقومون به من أعمال غريبة وما يتراءون فيه من صور مختلفة مخيفة أمام البشر.

ففي قصة النبي موسى عليه السلام يقول الله تعالى: **﴿وألق عصاك فلما رآها**

---

(١) بحار الأنوار/ ج ٦٣ ـ ص ٥١.
(٢) بحار الأنوار/ ج ٦٣ ـ ص ٢٦٣.
(٣) سورة فصلت ـ الآية: ٢٥.
(٤) سورة الذاريات ـ الآية: ٥٦.
(٥) سورة السجدة ـ الآية: ١٣.

تهتز كأنها جان ولى مدبراً ولم يعقب. . .﴾[1].

مشيراً في هذه الآية إلى الخلفية الفكرية لدى الناس في ذلك الزمن عن الأمور الغريبة، ونسبتها إلى الجن دائماً.

د ـ استغلال بعض العناصر الشريرة من الجن هذه الظاهرة، وهذا الضعف لدى البشر أمام الأمور المبهمة والغريبة، فألقوا في روعهم أن الجن يمتلكون قوى جبارة وقدرات هائلة، وبالتالي فيهم يستحقون الخضوع من قبل البشر، فاتخذهم بعض البشر آله عبدوها من دون الله مقابل الحماية والعون والمساعدة. يقول تعالى: **﴿وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً﴾**[2].

وقال تعالى عن لسان الملائكة في اعتذارهم عن عبادة الانس من دون الله: **﴿قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون﴾**[3].

هـ ـ كانت بعض العناصر الشريرة من البشر أيضاً تسخر بعض عناصر الجن في أغراض خبيثة كالكهانة والسحر والشعوذة.

يقول تعالى: **﴿ويوم يحشرهم جميعاً يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس، وقال أولياؤهم من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض، وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا. . .﴾**[4].

والاستمتاع كان بالطبع في مجالات الشر والفساد، وإضلال غير الواعين من الناس عن رشدهم وصلاحهم.

و ـ وبلغ اعتقاد بعض البشر في الجن أن نسبوهم إلى الله سبحانه وتعالى وجعلوا منهم شركاء له. يقول تعالى: **﴿وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا**

---

(١) سورة النمل ـ الآية: ١٠.
(٢) سورة الجن ـ الآية: ٦.
(٣) سورة سبأ ـ الآية: ١٤.
(٤) سورة الأنعام ـ الآية: ١٢٨.

له بنين وبنات بغير علم. .﴾[1].

وقال تعالى: **﴿وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً﴾**[2].

ز ـ كان الاعتقاد السائد بين البشر قديماً ولا زال إلى يومنا عند الكثير من الناس أن أغلب الأمراض وخاصة النفسية والعقلية منها سببها الجن وتخليطاتها ومسهم. وقد أشار القرآن الكريم إلى بعض هذه الآثار الشيطانية على الإنسان فيقول تعالى في قصة أيوب وعلى لسانه:

﴿واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أني مسني الشيطان بنصب وعذاب﴾[3] وقال تعالى واصفاً حال المرابي حينما يقوم من مجلس الربا:

﴿لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس﴾[4].

ح ـ كان الجن (والشياطين) مسخرين لنبي الله سليمان عليه السلام يعملون في خدمته وكانت له سلطة عليهم بحيث يأمرهم وينهاهم ويعاقب المسيء منهم.

يقول تعالى: **﴿وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون﴾**[5].

ويقول تعالى: **﴿ومن الجن من يعمل بين يديه بأذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير﴾**[6].

ط ـ بين الله سبحانه للناس أن للجن قدرات محدودة فهم لا يعلمون الغيب، وليسوا بآلهة، وليس لديهم القدرة على اختراق السماء إلا بالقدر المأذون لهم فيه ولما منعوا من ذلك انقطعت صلتهم بالسماء تماماً فبذلك انتهى نشاط

---

(١) سورة الأنعام ـ الآية: ١٠٠.
(٢) سورة الصافات ـ الآية: ١٥٨.
(٣) سورة ص ـ الآية: ٤١.
(٤) سورة البقرة ـ الآية: ٤١.
(٥) سورة سبأ ـ الآية: ٨.
(٦) سورة سبأ ـ الآية: ١٢.

الكهانة في العالم.

ففي قصة موت سليمان عليه السلام يقول تعالى: **﴿فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين﴾**[١].

وبعد مولد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بث الله الشهب في سماء الدنيا لمنع الجن والشياطين من التنصت على أخبار وأسرار السماء.

يقول تعالى وعلى لسان الجن بعد قطع طرق السماء عليهم:

﴿وإنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً، وإنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً﴾[٢] وقد تحدى الله سبحانه معشر الجن والإنس أن يتخطوا الحدود التي جعلها لهم ضمن مقاييس معينة وبمفاتيح محددة حيث قال تعالى:

﴿يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا ولا تنفذون إلا بسلطان﴾[٣].

كما تحدى الله سبحانه جميع الجن والإنس في الإتيان بمثل هذا القرآن ولو اجتمعوا له بكل ما لديهم من قدرة وعلم وفن قال الله تعالى: **﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾**[٤].

ي ـ كما أن في البشر الخبيث والطيب والكافر والمؤمن كذلك في الجن وعلى طول التاريخ وقد نزلت سورة كاملة من سور القرآن تشرح موضوع إيمان قسم من الجن برسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وكفر القسم الآخر. حيث أن هذه الرسالة عامة وشاملة للإنس والجن وإلى يوم القيامة.

---

(١) سورة سبأ: الآية: ١٤.
(٢) سورة الجن: الآيتان: ٨ ـ ٩.
(٣) سورة الرحمن: الآية: ٣٣.
(٤) سورة الإسراء: الآية: ٨٨.

قال تعالى: **﴿قل أوحى إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا. . .﴾**[١]، ويقول هؤلاء الجن عن أنفسهم: **﴿وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا، وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا﴾**[٢].

وهذه نماذج من الروايات في هذا الموضوع فعن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام عن آبائه عليهم السلام في أجوبة أمير المؤمنين عليه السلام عن مسائل اليهودي في فضل رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم على جميع الأنبياء ـ إلى أن قال ـ قال له اليهودي: فإن سليمان سخرت له الشياطين يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل.

قال له الإمام علي عليه السلام: «لقد كان كذلك، ولقد أعطي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أفضل من هذا، الشياطين سخرة لسليمان وهي مقيمة على كفرها، ولقد سخره لنبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم الشياطين بالإيمان، فأقبل إليه الجن التسعة من أشرافهم، من جن نصيبين واليمن ومن بني عمرو بن عامر من الأحجة فهم «شصاه» و «مصاه» و «الهملكان» و «المزربان» و «المازمان» و «نضاه» و «هاصب» و «هاضب» وعمر، وهم الذين يقول الله تبارك اسمه فيهم: **﴿وإذا صرفنا إليك نفراً من الجن﴾** وهم تسعة «يستمعون القرآن» فأقبل إليه الجن، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم ببطن النخل، فاعتذروا بأنهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحداً. ولقد أقبل إليه أحد وسبعون ألفاً منهم فبايعوه على الصوم والصلاة والزكاة والحج والجهاد ونصح المسليمن واعتذروا بأنهم قالوا: على الله شططاً وهذا أفضل مما أعطي سليمان[٣].

وقد جاءت الروايات العديدة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وآل بيته عليهم السلام لتؤكد ما جاء به القرآن عن الجن وتثبت وجودهم واتصالهم بولي الأمر والخليفة الشرعي من قبل الله سبحانه لتوضيح ما أبهم عليهم من أمر الدين وأحكام الشريعة

---

(١) سورة الجن: الآيتان: ١ ـ ٢.

(٢) سورة الجن: الآيتان: ١٤ ـ ١٥.

(٣) البحار ـ ج ٦٣ ـ ص ٩٨.

الإسلامية وفي حلّ مشاكلهم ونزاعاتهم المستعصية.

فعن أبي عبدالله عليه السلام في حديث طويل ذكر فيه مرض النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأنه عاده الحسنان عليهما السلام فافتقدهما وطلبهما حتى أتى حديقة بني النجار، فإذا هما نائمان قد اعتنق كل واحد منهما صاحبه وقد اكتنفتهما حية لها شفرات كآجام القصب، وجناحان جناح قد غطت به الحسن عليه السلام، وجناح قد غطت به الحسين عليه السلام فلما أن أبصر بها النبي صلى الله عليه وآله وسلم تنحنح فانسابت الحية وهي تقول؛ اللهم إني أشهدك واشهد ملائكتك إن هذين شبلا نبيك قد حفظتهما عليه ودفعتهما إليه سالمين صحيحين.

فقال لها النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أيتها الحية فمن أنت؟ قالت: أنا رسول الجن إليك فقال: وأي جن؟ قالت: جن نصيبين نفر من بني مليح، نسينا آية من كتاب الله عز وجل، فبعثوني إليك لتعلمنا ما نسينا من كتاب الله[١] ....

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: بينما أمير المؤمنين عليه السلام على المنبر إذ أقبل ثعبان من ناحية باب من أبواب المسجد، فهم الناس أن يقتلوه فأرسل أمير المؤمنين عليه السلام أن كفوا فكفوا. وأقبل الثعبان ينساب حتى انتهى إلى المنبر، فتطاول فسلم على أمير المؤمنين فأشار أمير المؤمنين عليه السلام إليه: أن يقف حتى يفرغ من خطبته فلما فرغ من خطبته أقبل عليه، فقال: من أنت؟ فقال: أنا عمرو بن عثمان خليفتك على الجن، وإنّ أبي مات وأوصاني أن آتيك فأستطلع رأيك وقد أتيتك يا أمير المؤمنين فما تأمرني به؟ وما ترى؟.

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: أوصيك بتقوى الله، وأن تنصرف فتقوم مقام أبيك في الجن، فإنك خليفتي عليهم..[٢].

وجاء في خبر طويل عن إبراهيم بن وهب عن الإمام أبو الحسن عليه السلام إلى أن يسأله عن الجن فقال له: بأبي أنت وأمي ألكم عليهم طاعة؟ فقال: نعم والذي أكرم محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بالنبوة، وأعزّ علياً عليه السلام بالوصية والولاية، أنهم

---

(١) بحار الأنوار ـ ج ٦٣ ـ ص ٦٥.

(٢) بحار الأنوا ـ ج ٦٣ ـ ص ٦٦.

الأطوع لنا منكم يا معشر الانس[1]. . . والجن ينقسمون إلى الطيب والخبيث، فأما الخبيث فيسمى شيطاناً وجمعه شياطين. والشيطان في اللغة ـ كما أشرنا ـ: هو كل متمرد من الجن والإنس والدواب[2].

إذن فالجن إذا تمردوا ورفعوا شعار الشر وتسلحوا بالباطل يسمون بالشياطين وهم على عكس القسم الأول من الجن الذين آمنوا برسالات الله وسلكوا سبل الخير والصلاح وإذا ما تكلم القرآن عن الشيطان بالإفراد فقد يقصد إبليس غالباً أو أحد أعوانه من الجن.

أما إذا تكلم بصيغة الجمع فإنه يقصد جند إبليس الذين قد يكونون من الجن أو الإنس فهم مشمولين بهذا الاسم.

وفيما يلي نورد بعض الصور التي أشار فيها القرآن إلى شياطين الجن والإنس ونترك الحديث التفصيلي عن إبليس للفصل المقبل.

١ ـ كفر الشياطين:

ـ يقول الله تعالى: **﴿وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت﴾**[3].

فالشياطين حاولوا إلصاق تهمة الكفر إلى سليمان عليه السلام عبر اتهامه بالسحر وتلفيق الحجج الوهمية الأخرى ضده لصد الناس عن رسالته.

٢ ـ عداؤهم للأنبياء:

ـ يقول الله تعالى: **﴿وكذلك جعلنا لكلّ نبي عدوا شياطين الجن والإنس يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً﴾**[4].

وعن ابن عباس: (أن إبليس جعل جنده فريقين فبعث فريقاً منهم إلى الإنس، وفريقاً إلى الجن فشياطين الإنس والجن أعداء الرسل والمؤمنين فتلتقي شياطين الانس وشياطين الجن في كل حين فيقول بعضهم أضللت صاحبي بكذا فأضل صاحبك بمثلها، فكذلك يوحي بعضهم إلى بعض)[1].

٣ ـ الشياطين مسخرون لخدمة سليمان (ع):

ـ يقول تعالى: **﴿ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملاً دون ذلك وكنا لهم حافظين﴾**[2].

ويقول تعالى ـ أيضاً ـ **﴿والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين في الأصفاد﴾**[3].

٤ ـ الشياطين محجوبون عن السماء:

ـ قال الله تعالى: **﴿ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين﴾**[4].

٥ ـ صورة الشيطان في قمة البشاعة والقبح:

فحينما يشبه الله سبحانه ثمر أشجار النار فإنه يشبهها برؤوس الشياطين مبالغة في وصف شكلها البشع فكيف بطعمها ومذاقها قال تعالى: **﴿إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم طلعها كأنه رؤوس الشياطين﴾**[5].

---

(١) بحار الأنوار/ ج ٣ ص ١٤٩.
(٢) سورة الأنبياء: الآية: ٨٢.
(٣) سورة الأنبياء: الآية: ٨٢.
(٤) سورة الملك: الآيتان: ٣٧ ـ ٣٨.
(٥) سورة الصافات: الآيتان: ٦٤ ـ ٦٥.

٦ ـ عجز الشياطين على قوتهم الإتيان بمثل القرآن:

قال تعالى: **﴿وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون إنهم عن السمع لمعزولون﴾**[1].

٧ ـ رسالة الشياطين إلى الكهنة والمشعوذين والشعراء الضالين:

يقول تعالى: **﴿هل انبؤكم على من تنزل الشياطين، تنزل على كل أفاك أثيم، يلقون السمع وأكثرهم كاذبون والشعراء يتبعهم الغاوون﴾**[2].

إذا تأملنا في مضمون الآيات الكريمة التي ذكر الشيطان فيها فسنجدها تعطينا تصوراً شبه تفصيلي حول الشيطان منذ بداية احتكاكه بآدم أبي البشر عليه السلام مروراً بالأمم التي توالت على الأرض من نسل آدم وحتى اليوم المحدد والموعود لنهاية الشيطان ونشاطه التخريبي في الأرض وأخيراً عاقبة أمره في الآخرة، فالقرآن إذن يعطينا نظرة متكاملة وشاملة ودقيقة عن أصل الشيطان، تاريخه، امكاناته، أهدافه ويبين لنا طرفاً من أعماله الخبيثة وآثارها المدمرة على الأمم السالفة ثم يعطينا الدواء الناجع والسلاح النافع لمقاومته وبذلك يكون القرآن الكريم هو الكتاب السماوي الوحيد الذي عرى الشيطان تماماً أمام البشر وحذرهم من خطره بعد أن كشف جميع خططه وأحابيله وسيرته الملوثة ولا غرابة في ذلك فهو أي القرآن آخر كتب الله سبحانه إلى أهل الأرض ويتضمن آخر رسالاته إليهم.

وجاءت أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم وما ورد عن أهل بيته عليهم السلام لتوضح آيات الكتاب وتزيد على الرؤى والعبر والبصائر التي تكمن وراء تلك الآيات الكريمة.

وفيما يلي من أبواب هذا البحث ستتبين النظرة المتكاملة حول الشيطان إنشاء الله.

---

(١) سورة الشعراء: الآيتان: ٢١٠ ـ ٢١٢.

(٢) سورة الشعراء: الآيتان: ٢٢١ ـ ٢٢٤.

الفصل الرابع

فلسفة خلق الشيطان

ـ قد يدور هذا السؤال الحائر في أذهان الكثيرين، إبليس لماذا؟ وهل يحتاج الإنسان الضعيف إلى عدو خفي كإبليس يساهم في اضعافه واستنفاذ قوته عبر التضليل والمكر؟ ألم يكن من الأفضل جعل الحياة البشرية خالية من الشيطان ومكره كي تستقيم حياة الإنسان ويعيش في سلام وأمن واطمئنان بعيداً عن الشر والفساد؟ عن هذه الأسئلة وغيرها لا بد لنا أن نرجع فنتدبر في هدف إيجاد الإنسان والغرض في اعطائه فرصة الحياة الدنيا وتسخير جميع ما في هذا الكون من مخلوقات وامكانات، ونعم وسنن في خدمته وأخيراً فتح أبواب السماء بالهداية والتدبير والتخطيط لهذا الإنسان عبر رسالات الله المتعاقبة أليس كل ذلك لهدف مرسوم وغرض مقصود. أم أن كل ما سبق وليد العبث ونتاج اللعب واللهو؟.

ليس هناك عاقل يقول بذلك قطعاً فالهدفية واضحة في هذا الكون الواسع وقصد العبث واللهو مستبعد بل مستحيل.

قال تعالى: ﴿**أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون**﴾[1].

فالآية تصرح بأنه لو لم تكن القيامة لكان الخلق عبثاً، وهذا يعني أنها جعلت بمنزلة الغاية، وقد تكرر هذا المفهوم في القرآن الكريم كثيراً.

---

(١) سورة المؤمنون ـ الآية ١١٥.

«والعبث يطلق على الشيء الذي لا غاية حقيقية له في قبال الحكمة، فيأتي الإنكار بمعنى أنكم حسبتم أن لا حكمة في خلقكم، وأن ليس هناك غاية حكيمة ولذا فهذه الخلقة عبث وخواء، ثم يأتي عطف البيان «وأنكم إلينا لا ترجعون» وهذا يعني أنه لو لم يكن هناك رجوع إلى الله فالخلقة عبث»[١].

وإذا كان الإنسان يخضع لقانون الهدفية مثل غيره، كذلك الشيطان خاضع هو الآخر لهذا القانون ولا يشذ عنه قيد شعرة.

فعلة خلق الإنسان اظهار قدرة الله سبحانه وتعريف نفسه للإنسان ليعبده فينال كرامته في الدنيا والآخرة.

حيث يقول تعالى: ﴿**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**﴾[٢].

ونجد القرآن يكرر التقارن بين مسألة القيامة من جهة، ومسألة كون الخلق بالحق، وعدم الباطل واللغو واللعب فيه، وهو في الواقع نوع من الإستدلال. ذلك أن أحد أنماط الاستدلال القرآني على الآخرة هو الإستدلال اللمي[٣] ـ حسب المصطلح المنطقي ـ بمعنى أنه بعد الإيمان بوجود إلَهٍ لهذا العالم، وأنه لا يفعل عبثاً وأن عمله إنما هو بالحق ولا مجال للباطل واللعب فيه، نعم، بعد الإيمان بأن الخليقة لها خالق حكيم، يأتي الإيمان بالرجوع إلى الخالق، في الواقع القيامة والرجوع إلى الله هي التي تبرر خلق هذا العالم وهذا ما يركز عليه التعبير القرآني وأننا لن نعثر في القرآن الكريم على ما يوحي بأن الإنسان خلق ليعلم أكثر ويقدر أكثر لكي يصل إلى هدفه حين يعلم ويقدر، وإنما خلق الإنسان ليعبد الله، وأن عبادة الله هي الهدف، فلو أن الإنسان علم وعلم أكثر، وقدر وقدر أكثر، ولم تكن في البين معرفة الله التي هي مقدمة العبادة، ولم تكن هناك عبادة الله، فإن الإنسان لم يخط على طريق هدف الخلقة ولا يُعَدُّ من وجهة

---

(١) الهدف السامي للحياة الإنسانية ـ الشهيد مرتضى المطهري ـ ص ١٧ ـ ١٨.

(٢) سورة الذاريات ـ الآية ٥٦.

(٣) البرهان اللمي ما كان الأوسط فيه علة لثبوت الأكبر للأصغر ومعنى ذلك أنه علة للنتيجة وهذا على نحوين ـ انظر التعليقة رقم (٤) ـ في قسم التعليقات للوقوف على معرفة البرهان اللمي المطلق وغير المطلق ـ المنطق ـ الشيخ محمد رضا المظفر.

نظر القرآن إنساناً سعيداً. أما الأنبياء فقد جاؤوا ليوصلوا البشرية إلى السعادة وهي في نظرهم عبادة الله.

وبهذا المعنى فلن يكون الهدف الأصلي من الحياة في منطق الإسلام ـ بالطبع ـ شيئاً سوى المعبود، فالقرآن يريد صياغة الإنسان ويمنحه هدفه وغايته والهدف الذي يريد أن يوصل الإنسان إليه هو الله لا غير، وأي شيء غير ذلك ليس إلا مقدمة لا أصالة ولا استقلال، وليس هو الهدف الأصلي.

فالآيات التي تصف الإنسان الكامل، أو تتحدث على لسان هذا الإنسان، تعرف هذا الإنسان بأنه الذي حدد هدفه بوضوح واتجه نحوه وعمل لأجله.

يقول القرآن الكريم على لسان إبراهيم عليه السلام : ﴿**إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين**﴾[١].

ويقول أيضاً: ﴿**إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين**﴾[٢]. وتوحيد القرآن هذا ليس توحيداً فكرياً يعتقد الإنسان معه بأن مبدأ العالم واحد وخالقه واحد فحسب، وإنما هو توحيد في المرحلة الخاصة للإنسان أيضاً، بمعنى أن الإنسان من الجانب العقائدي يعتقد بأن خالق العالم واحد لا شريك له، ومن جانب الهدف يصل إلى الحد الذي لا يرى هدفاً يستحق أن يستهدف إلا الله لا غير، وبالطبع تكون الأهداف الأخرى منبعثة ونابعة من هذا الهدف، فلا استقلال لها ولا أصالة وإنما تستمد من هذا الهدف وجودها. فكل شيء في الإسلام يدور حول المحور الالهي سواء من حيث الهدف من بعثة الأنبياء، أو من حيث الهدف الحياتي للفرد.

وفي الحديث الشريف عن الإمام الحسن عليه السلام ـ قال: أيها الناس إن الله عز وجل ذكره ما خلق العباد إلا ليعرفوه فإذا عرفوه عبدوه فإذا عبدوه استغنوا بعبادته عن عبادة ما سواه[٣].

---

(١) سورة الأنعام ـ الآية ٧٩.

(٢) سورة الأنعام ـ الآية ١٦٢.

(٣) ميزان الحكمة: ـ ج ١ ـ ص ٣٦٣.

وعن الإمام الصادق عليه السلام فيما سأله الزنديق قال: فلذى علة خلق الخلق وهو غير محتاج إليهم ولا مضطر إلى خلقهم، ولا يليق به العبث بنا؟ قال: خلقهم لإظهار حكمته، وانفاذ علمه وامضاء تدبيره[(١)].

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: إن الله تبارك وتعالى لم يخلق خلقه عبثاً، ولم يتركهم سدى، بل خلقهم لإظهار قدرته، وليكلفهم طاعته فيستوجبوا بذلك رضوانه وما خلقهم ليجلب منهم منفعة ولا ليدفع بهم مضرة بل خلقهم لينفعهم ويوصلهم إلى نعيم الأبد[(٢)].

أما عن علة خلق الشيطان: فإن الشيطان بما يمثل من طبيعة الشر وبما هو موكل بالنفس الأمارة عند الإنسان فلكي تكون طبيعة الإنسان متعادلة في الخير والشر فليس هو بالخير المحض كي يكون ملكاً من الملائكة[(٣)]، وليس هو بالشر المحض فيكون شيطاناً من الشياطين بل يكون فيه من الطبيعتين وله الخيار في اتباع وتقوية إحداهما عنده.

قال تعالى: ﴿**وهديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً**﴾[(٤)].

لأن (شبيه الشيء منجذب إليه) كما في المثل فالشيطان يتبع طبيعة الشر في الإنسان كي يقويها وأما الملك الموكل بالإنسان فيتبع طبيعة الخير فيه كي يقويها ويدعمها.

فعن أبي عبدالله عليه السلام قال: إن للقلب أذنين فإذا هم العبد بذنب قال له روح الإيمان: لا تفعل، وقال له الشيطان: افعل.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: والشيطان موكل به ـ الإنسان ـ يزين له المعاصي ليركبها ويمنيه التوبة ليسوفها[(٥)].

---

(١) ميزان الحكمة ـ ج ١ ـ ص ٣٦٣.
(٢) نهج البلاغة ـ ص ٥٩.
(٣) انظر التعليقة رقم (٥) في قسم التعليقات لمعرفة الفضل بين الإنسان والملك.
(٤) سورة الإنسان ـ الآية ٣.
(٥) نهج البلاغة ص ٩٥.

وجاء في الدعاء: وجعلت لنا عدوا يكيدنا، سلّطته منّا على ما لم تسلّطنا عليه منه، أسكنته صدورنا، وأجريته مجاري دمائنا، لا يغفل إن غفلنا، ولا ينسى إن نسينا، يُؤمِنُنا عقابك، ويخوّفنا بغيرك، إن هممنا بفاحشةٍ شجّعنا عليها، وإن هممنا بعملٍ صالح ثبّطنا عنه، يتعرَّضُ لنا بالشهوات، وينصبُ لنا بالشبهات، إن وعدنا كذبنا، وإن منّانا أخلفنا، وإلاّ تصرف عنّا كيده يُضِلُّنا، وإلاّ تقنا خباله يستزلّنا[1]. بين هاتين الطبيعتين طبيعة الخير وطبيعة الشر يكون ابتلاء الإنسان وامتحانه.

فكلما كان اختيار الإنسان لطريق الخير أقوى كان اختياره للطريق الآخر ضعيفاً والعكس صحيح.

أجل فالشيطان لأجل الامتحان، ولكي يعلم من هو القوي ومن هو الضعيف من يؤمن بالله ويوم القيامة، ومن هو في شك من ذلك كما جاء التصريح بذلك في القرآن الكريم: **﴿وما كان له عليهم من سلطان إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة ومن هو منها في شك﴾**[2].

فالشيطان إذن وسيلة من وسائل الامتحان العديدة التي أعدها الله سبحانه للإنسان في مسيرته الحياتية في الدنيا وإذا ما انتهى دوره وانقضت مهمته فسينتهي من هذا العالم وهذا لا يمنع اختياره أيضاً وعدم اجباره على هذا الدور. لأنه يختلف عن الملائكة في أنه خلق مختاراً... وهو لا يستطيع أن يتمرد على أمر الله وإن أُعطي حق الاختيار، وإنما يستطيع بماله من اختيار.. أن يتمرد على (الطاعة) لهذا كان خروج إبليس عن طاعة الله، ليس تمرداً على أمر الله، ولكنه عدم طاعة الله بمشيئة الله سبحانه وتعالى التي شاءت أن يخلقه مختاراً، قادراً على الطاعة، وقادراً على المعصية.

«هذه المشيئة التي نفذ منها إبليس، وينفذ منها كل عاص بعدم طاعة الله عز وجل وهذه نقطة لا بد أن نفهمها، قبل أن نمضي في الحديث عن الإنسان

---

(١) الصحيفة السجادية ـ الإمام علي بن الحسين (ع) ـ دعاؤه لولده (ع) رقم الدعاء (٢٥) ـ ص ١٠٦.

(٢) الإستعاذة ـ السيد عبد الحسين دستغيب رحمه الله تعالى ـ ص ٨٨.

والشيطان، فلا شيء في كون خلق الله عز وجل، يتمرد على أمر الله، ولكن الله خلق خلقاً مقهورين على الطاعة (هم الملائكة). وخلقاً مختارين في أن يطيعوا أو يعصوا (الإنس والجن) ومن خلال هذه الإرادة. إرادة الله سبحانه وتعالى في أن يخلق خلقاً قادرين على الطاعة، وقادرين على المعصية، جاءت المعصية على الأرض)[1].

ورد في الحديث القدسي الشريف: «الظالم سيفي أنتقم به وأنتقم منه»[2].

---

(١) الشيطان والإنسان ـ محمد متولي الشعراوي ـ ص ٦ ـ ٧.

(٢) كلمة الله ـ السيد حسن الشيرازي ـ ص ١٨٠.

ـ انتقادات حول قصة إبليس والجواب عليها:

ـ وردت انتقادات كثيرة حول قصة إبليس منها: لِمَ خلق الله إبليس وهو يعلم من هو؟ لِمَ أدخله في جمع الملائكة وليس منهم؟ لِمَ أمره السجود وهو يعلم أنه لا يأتمر؟ لِمَ لم يوفقه للسجده وأغواه؟ لِمَ لمَ يهلكه حين لم يسجد؟ لِمَ أنظره إلى يوم يبعثون أو إلى يوم الوقت المعلوم؟ لِمَ مكنه من بني آدم هذا التمكين العجيب الذي به يجري منهم مجرى الدم؟ لِمَ أيده بالجنود من خيل ورجل وسلطة على جميع ما للحياة الإنسانية به مساس؟ لِمَ لم يظهره على حول الإنسان ليحترز مساسه؟ لِمَ لم يؤيد الإنسان بمثل ما أيده به؟ ولِمَ لم يكتم أسرار خلقة آدم وبنيه من إبليس حتى لا يطمع في إغوائهم؟.

وكيف جازت المشافهة بينه وبين الله سبحانه وهو أبعد الخليقة منه وأبغضهم إليه ولم يكن بنبي ولا ملك؟ فقيل بمعجزة وقيل: بإيجاد آثار تدل على المراد، ولا دليل على شيء من ذلك.

ثم كيف دخل إبليس الجنة؟ وكيف جاز وقوع الوسوسة والكذب والمعصية هناك وهي مكان الطهارة، والقدس؟ وكيف صدقه آدم وكان قوله مخالفاً لخبر الله؟ وكيف طمع في الملك والخلود وذلك يخالف اعتقاد المعاد؟ وكيف جازت منه المعصية وهو نبي معصوم؟ وكيف قبلت توبته ولم يرد إلى مكانه الأول والتائب من الذنب كمن لا ذنب له؟ وكيف...؟ وكيف؟.

وقد بلغ من إهمال الباحثين في البحث الحقيقي واسترسالهم في الجدال إشكالاً وجواباً أن ذهب الذاهب منهم إلى أن المراد بآدم هذا آدم النوعي والقصة تخيلية محضة واختار آخرون أن إبليس الذي يخبر عنه القرآن الكريم هو القوة الداعية إلى الشر من الإنسان!.

وذهب آخرون إلى جواز انتساب القبائح والشنائع إليه تعالى وأن جميع المعاصي من فعله، وأنه يخلق الشر والقبح فيفسد ما يصلحه، وأن الحسن هو الذي أمر به والقبيح هو الذي نهى عنه، وآخرون: إلى أن آدم لم يكن نبياً، وآخرون: إلى أن الأنبياء غير معصومين مطلقاً، وآخرون: إلى أنهم غير معصومين قبل البعثة وقصة الجنة قبل بعثة آدم، وآخرون: إلى أن ذلك كله من الامتحان والاختبار ولم يبينوا ما هو الملاك الحقيقي في هذا الامتحان الذي يضل به كثيرون ويهلك به الأكثرون، ولولا وجود ملاك يحسم مادة الإشكال لعادت الإشكالات بأجمعهم.

والذي يمنع نجاح السعي في هذه الأبحاث ويختل به نتائجها هو أنهم لم يفرقوا في هذه المباحث جهاتها الحقيقية من جهاتها الاعتبارية، ولم يفصلوا التكوين عن التشريع فاختل بذلك نظام البحث، وحكموا في ناحية التكوين غالباً الأصول الوضعية الاعتبارية الحاكمة في التشريعيات والاجتماعيات.

والذي يجب تحريره وتنقيحه على الحر الباحث عن هذه الحقائق الدينية المرتبطة بجهات التكوين أن يحرر جهات:

الأولى: أن وجود شيء من الأشياء التي يتعلق بها الخلق والإيجاد في نفسه ـ أعني وجوده النفسي من غير اضافة ـ لا يكون إلا خيراً ولا يقع إلا حسناً، فلو فرض محالاً تعلق الخلقة بما فرض شراً في نفسه عاد أمراً موجوداً له آثار وجودية يبتدىء من الله ويرتزق برزقه ثم ينتهي إليه فحاله حال سائر الخليقة ليس فيه أثر من الشر والقبح إلا أن يرتبط وجوده بغيره فيفسد نظاماً عادلاً في الوجود أو يوجب حرمان جمع من الموجودات من خيرها وسعادتها، وهذه هي الإضافة المذكورة.

ولذلك كان من الواجب في الحكمة الإلهية أن ينتفع من هذه الموجودات المضرة الوجود بها يربو على مضرتها وذلك قوله تعالى: ﴿**الذي أحسن كل شيء خلقه**﴾[1] وقوله: ﴿**تبارك الله رب العالمين**﴾[2]، وقوله: «وإن من شيء إلا

(١) سورة السجدة، الآية ٧.

(٢) سورة الأعراف، الآية ٥٤.

يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم»[1].

والثانية: أن عالم الصنع والإيجاد على كثرة أجزائه وسعة عرضه مرتبط بعضه ببعض معطوف آخره إلى أوله فإيجاد بعضه إنما هو بإيجاد الجميع، وإصلاح الجزء إنما هو بإصلاح الكل فالاختلاف الموجود بين أجزاء العالم في الوجود وهو الذي صيَّر العالم عالماً ثم ارتباطها يستلزم استلزاماً ضرورياً في الحكمة الإلهية نسبة بعضها إلى بعض بالتنافي والتضاد أو بالكمال والنقص والوجدان والفقدان والنيل والحرمان، ولولا ذلك عاد جميع الأشياء إلى شيء واحد لا تميز فيه ولا اختلاف ويبطل بذلك الوجود قال تعالى: ﴿**وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر**﴾[2].

فلولا الشر والفساد والتعب والفقدان والنقص والضعف وأمثالها في هذا العالم لما كان للخير والصحة والراحة والوجدان والكمال والقوة مصداق، ولا عقل منها معنى لأنَّا إنما نأخذ المعاني من مصاديقها.

ولولا الشقاء لم تكن سعادة ولولا المعصية لم تتحقق طاعة، ولولا القبح والذم لم توجد حسن ولا مدح، ولولا العقاب لم يحصل ثواب، ولولا الدنيا لم تتكون آخرة.

فالطاعة مثلاً امتثال الأمر المولوي فلو لم يمكن عدم الإمتثال الذي هو المعصية لكان الفعل ضرورياً لازماً، ومع لزوم الفعل لا معنى للأمر المولوي لامتناع تحصيل الحاصل ومع عدم الأمر المولوي لا مصداق للطاعة ولا مفهوم لها كما عرفت.

ومع (بطلان الطاعة والمعصية يبطل المدح والذم المتعلق بهما والثواب والعقاب والوعد والوعيد والإنذار والتبشير ثم الدين والشريعة والدعوة ثم النبوة والرسالة ثم الاجتماع والمدينة ثم الإنسانية ثم كل شيء، وعلى هذا القياس جميع الأمور المتقابلة في النظام)[3].

---

(١) سورة الإسراء، الآية ٤٤.

(٢) سورة القمر، الآية ٥٠.

(٣) تفسير الميزان ـ المجلد الثامن ـ ص ٣٧.

ومن هنا ينكشف أن وجود الشيطان الدّاعي إلى الشر والمعصية من أركان نظام العالم الإنساني الذي إنما يجري على سنة الاختيار ويقصد سعادة النوع. وهو كالحاشية المكتنفة بالصراط المستقيم الذي في طبع هذا النوع أن يسلكه كادحاً إلى ربه ليلاقيه، ومن المعلوم أن الصراط إنما يتعين بمتنه صراطاً بالحاشية الخارجة عنه الحافة به فلولا الطرف لم يكن وسط، فقال تعالى: **﴿قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم﴾**[1].

وقال تعالى: **﴿قال هذا صراط علي مستقيم إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين﴾**[2].

إذا تأملت في هاتين الجهتين ثم تدبرت آيات قصة السجدة وجدتها صورة منبئة عن الروابط الواقعية التي بين النوع الإنساني والملائكة وإبليس عبر عنها بالأمر والامتثال والاستكبار والطرد والرجم والسؤال والجواب، وأن جميع الإشكالات الموردة فيها ناشئة من التفريط في تدبر القصة حتى أن بعض[3] من تنبه لوجه الصواب وأنها تشير إلى ما عليه طبائع الإنسان والملك والشيطان ذكر أن الأمر والنهي ـ يريد أمر إبليس بالسجدة ونهي آدم عن أكل الشجرة ـ تكوينيان فأفسد بذلك ما قد كان أصلحه، وذهل عن أن الأمر والنهي التكوينيين لا يقبلان التخلف والمخالفة، وقد خالف إبليس الأمر وخالف آدم النهي.

والثالثة: أن قصة الجنة مدلولها ـ على ما ورد في سورة البقرة ينبىء عن أن الله سبحانه خلق جنة برزخية سماوية، وأدخل آدم فيها قبل أن يستقر عليه الحياة الأرضية، ويغشاه التكليف المولوي ليختبر بذلك الطباع الإنساني فيظهر به أن الإنسان لا يسعه إلا أن يعيش على الأرض، ويتربى في حجر الأمر والنهي فيستحق السعادة والجنة بالطاعة، وإن كان دون ذلك فدون ذلك ولا يستطيع الإنسان أن يقف في موقف القرب وينزل في منزل السعادة إلا بقطع هذا الطريق.

وبذلك ينكشف أن لا شيء من الاشكالات التي أوردوها في قصة الجنة

---

(١) سورة الأعراف، الآية ١٦.

(٢) سورة الحجر، الآية ٤٢.

(٣) تفسير المنار ـ المجلد الثامن ـ تحت عنوان: «الإشكالات في القصة».

فلا الجنة كانت جنة الخلد التي لا يدخلها إلا ولي من أولياء الله تعالى دخولاً لا خروج بعده أبداً، ولا الدار كانت داراً دنيوية يعاش فيها عيشة دنيوية يديرها التشريع ويحكم فيها الأمر والنهي المولويان بل كانت داراً يظهر فيها حكم السجية الإنسانية لا سجية آدم عليه السلام بما هو شخص آدم إذ لم يؤمر بالسجدة له ولا أُدخل الجنة إلا لأنه إنسان كما تقدّم بيانه[1].

لم يصف الله سبحانه من ذات هذا المخلوق الشرير الذي سمّاه إبليس إلا يسيراً وهو قوله تعالى: **﴿كان من الجن ففسق عن أمر ربه﴾**[2].

وما حكاه عنه في كلامه: «خلقتني من نار» فبيّن أن بدء خلقته كان من نار من سنخ الجن وأما ما الذي آل إليه أمره فلم يذكره صريحاً كما أنه لم يذكر تفصيل خلقته كما فصل القول في خلقة الإنسان.

وهناك آيات واصفة لصنفه وعمله يمكن أن يستفاد منها ما ينفع في هذا الباب قال تعالى حكاية عنه: **﴿لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن إيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين﴾**[3].

فأخبر أنه يتصرف فيهم من جهة العواطف النفسانية من خوف ورجاء وأُمنية وأمل وشهوة وغضب ثم في أفكارهم وإرادتهم المنبعثة منها[4].

كما يقارنه في المعنى قوله: **﴿قال ربّ بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض﴾**[5] أي لأزيننّ لهم الأمور الباطلة الرديئة الشوهاء بزخارف وزينات مهيأة من تعلق العواطف الداعية نحو اتباعها ولأغوينهم بذلك كالزنا مثلاً يتصوره الإنسان وتزينه في نظره الشهوة ويضعف بقوتها ما يخطر بباله من المحذور في اقترافه فيصدق به فيقترفه، ونظير ذلك قوله: **﴿يعدهم ويمنيهم وما يعدهم**

---

(١) تفسير الميزان ـ المجلد الثامن ـ ص ٣٩.
(٢) سورة الكهف ـ الآية ٥٠.
(٣) سورة الأعراف ـ الآية ١٧.
(٤) تفسير الميزان ـ المجلد الثامن ـ ص ٤٠.
(٥) سورة الحجر ـ الآية ٣٩.

الشيطان إلا غروراً﴾[1].

وقوله: ﴿**فزين لهم الشيطان أعمالهم**﴾[2] كل ذلك يدل على أن ميدان عمله هو الإدراك الإنساني ووسيلة عمله العواطف والإحساسات الداخلة فهو الذي يلقي هذه الأوهام الكاذبة والأفكار الباطلة في النفس الإنسانية كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿**الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس**﴾[3].

لكن الإنسان مع ذلك لا يشك في أن هذه الأفكار والأوهام المسماة وساوس شيطانية أفكار لنفسه يوجدها هو في نفسه من غير أن يشعر بأحد سواه يلقيها إليه أو يتسبب إلى ذلك بشيء كما في سائر أفكاره وآرائه التي لا تتعلق بعمل وغيره كقولنا: «الواحد نصف الاثنين والأربعة زوج وأمثال ذلك. فالإنسان هو الذي يوجد هذه الأفكار والأوهام في نفسه كما أن الشيطان هو الذي يلقيها إليه ويخطرها بباله من غير تزاحم، ولو كان تسببه فيها نظير التسببات الدائرة فيما بيننا لمن ألقى إلينا خبراً أو حكماً أو ما يشبه ذلك لكان إلقاؤه إلينا لا يجامع استقلالنا في التفكير، ولانتفت الفعل الاختياري إلينا لكون العلم والترجيح والإرادة له لا لنا، ولم يترتب على الفعل لوم ولا ذم ولا غيره، وقد نسبه الشيطان نفسه إلى الإنسان فيما حكاه الله من قوله يوم القيامة: ﴿**وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي إني كفرت بما أشركتمون من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم**﴾[4].

فنسب الفعل والظلم واللوم إليهم وسلبها عن نفسه، ونفى عن نفسه كل سلطان إلا السلطان على الدعوة والوعد الكاذب كما قال تعالى: ﴿**إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين**﴾[5].

---

(١) سورة النساء ـ الآية ١٢٠.
(٢) سورة النحل ـ الآية ٦٣.
(٣) سورة الناس ـ الآية ٥.
(٤) سورة إبراهيم ـ الآية ٢٢.
(٥) سورة الحجر ـ الآية ٤٢.

فنفى سبحانه سلطانه إلا في ظرف الاتباع ونظيره[1] قوله تعالى: **﴿قال قرينه ربنا ما أطغيته ولكن كان في ضلال بعيد﴾**[2]. وبالجملة فإن تصرفه في إدراك الإنسان تصرف طولي لا ينافي قيامه بالإنسان وانتسابه إليه انتساب الفعل إلى فاعله لا عرضي ينافي ذلك.

فله أن يتصرف في الإدراك الإنساني بما يتعلق بالحياة الدنيا في جميع جهاتها بالغرور والتزيين فيضع الباطل مكان الحق ويظهره في صورته فلا يرتبط الإنسان بشيء إلا من وجهه الباطل الذي يغره ويصرفه عن الحق، وهذا هو الإستقلال الذي يراه الإنسان لنفسه أولاً ثم لسائر الأسباب التي يرتبط بها في حياته فيحجبه ذلك عن الحق ويلهوه عن الحياة الحقيقية كما تقدم استفادة ذلك من قوله المحكيّ: **﴿فبما أغويتني لأقعدن لهم﴾**[3].

وقوله: **﴿رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض﴾**[4].

ويؤدي ذلك إلى الغفلة عن مقام الحق، وهو الأصل الذي ينتهي ويحلل إليه كل ذنب، قال تعالى: **﴿ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الإنس والجن لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون﴾**[5].

فاستقلال الإنسان بنفسه وغفلته عن ربه وجميع ما يتفرع عليه من سيء الاعتقاد ورديء الأوهام والأفكار التي يرتضع عنها كل شرك وظلم إنما هي من تصرف الشيطان في حين أن الإنسان يخيل إليه أنه هو الموجد لها القائم بها لما يراه من استقلال نفسه فقد صبغ نفسه صبغة لا يأتيه اعتقاد ولا عمل إلا صبغه بها[6].

---

(١) تفسير الميزان ـ المجلد الثامن ـ ص ٤١.
(٢) سورة ق ـ الآية ٢٧.
(٣) تفسير الميزان ـ المجلد الثامن ـ ص ٤١.
(٤) سورة الحجر ـ الآية ٣٩.
(٥) سورة الأعراف ـ الآية ١٧٩.
(٦) تفسير الميزان ـ المجلد الثامن ـ ص ٤٢.

وهذا هو دخوله تحت ولاية[1] الشيطان وتدبيره وتصرفه من غير أن يتنبه لشيء أو يشعر بشيء وراء نفسه قال تعالى: **﴿إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم إنّا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون﴾**[2].

وولاية الشيطان على الإنسان في المعاصي والمظالم على هذا النمط نظير ولاية الملائكة عليه في الطاعات والقربات، قال تعالى: **﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن أولياءكم في الحياة الدنيا﴾**[3]. والله من ورائهم محيط وهو الولي لا ولي سواه قال تعالى: ﴿ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع﴾[4].

وهذا هو الإحتناك أي الإلجام الذي ذكره فيما حكاه الله تعالى عنه بقوله: **﴿قال أرأيتك هذا الذي كرمت... لأحتنكن ذريته إلا قليلاً قال اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفوراً واستفزز من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً﴾**[5].

أي لألجمنهم فأتسلط عليهم تسلط راكب الدابة الملجم لها عليها يطيعونني فيما آمرهم ويتوجهون إلى حيث أشير لهم إليه من غير أي عصيان وجماح.

---

(١) الولاية في اللغة: الولاية التي هي القرب تُعد في اللغة من المفاهيم الإضافية. لو وضع شيء جانب شيء يقال «وَليه» أي اقترب منه. وبما أنه لو كان شيء قريباً من شخص أو شيء ما فذلك الشيء والشخص سيقتربان من ذلك الشيء أيضاً، فبناءً عليه الولاية كمثل الأخوة، إضافة متوافقة الأطراف لأن طرفي هذه الإضافة متساويان بخلاف الأبوة والنبوة ونظائرها، إذ حيث أن طرفيها مختلفان مع بعضهما تسمى متخالفة الأطراف.
على هذا الأساس فإذا صار الإنسان وليَّ الله فالله أيضاً وليُّه، كما أنه إذا كان الله وليَّ شخص أي كان قريباً منه أيضاً سيكون وليَّ الله. وهذا مقتضى الإضافة المتوافقة الطرفين ـ انظر كتاب ولاية الإنسان في القرآن ـ الشيخ جواد آملي. دار الصفوة.

(٢) سورة الأعراف ـ الآية ٢٧.

(٣) سورة حم السجدة ـ الآية ٣١.

(٤) سورة السجدة ـ الآية ٤.

(٥) سورة الإسراء ـ الآية ٦٤.

ويظهر من الآيات أن له جنداً يعينونه فيما يأمر به ويساعدونه على ما يريد وهو القبيل الذي ذكر في الآية السابقة: «إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم» وهؤلاء وإن بلغوا من كثرة العدد وتفنن العمل ما بلغوا فإنما صنعهم صنع نفس إبليس ووسوستهم نفس وسوسته كما يدل عليه قوله: ﴿**لأغوينهم أجمعين**﴾[١].

وغيره مما حكته الآيات نظير ما يأتي به أعوان الملائكة العظام من الأعمال فتنسب إلى رئيسهم المستعمل لهم في ما يريده، قال تعالى في ملك الموت: ﴿**قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكلَّ بكم**﴾[٢]. ثم قال ﴿**حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون**﴾[٣].

وتدل الآية: ﴿**الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس**﴾[٤] على أن في جنده اختلافاً من حيث كون بعضهم من الجنة وبعضهم من الإنس ويدل قوله: ﴿**أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو**﴾[٥] أن له ذرية هم من أعوانه وجنوده لكن لم يفصل كيفية انتشاء ذريته منه ـ وهذا ما سوف نشير إليه ـ.

كما أن هناك نوعاً آخر من الاختلاف يدل عليه قوله: ﴿**واجلب عليهم بخيلك ورجلك**﴾ وفي الآية المتقدمة، وهو الاختلاف من جهة الشدة والضعف وسرعة العمل وبطؤه فإن الفارق بين الخيل والرجل هو السرعة في اللحوق والإدراك وعدمها.

وهناك نوع آخر من الاختلاف في العمل، وهو الاجتماع عليه والإنفراد كما يدل عليه أيضاً قوله تعالى: ﴿**وقل ربِّ أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك ربِّ أن يحضرون**﴾[٦].

---

(١) سورة الحجر ـ الآية ٣٩.
(٢) سورة السجدة الآية ١١.
(٣) سورة الأنعام الآية ٦١.
(٤) سورة الناس، الآية ٦.
(٥) سورة الكهف، الآية ٥٠.
(٦) سورة المؤمنون، الآية ٩٨.

ولعل قوله تعالى: **﴿هل أُنبؤكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفّاك أثيم يلقون السمع وأكثرهم كاذبون﴾**[1].

---

(١) سورة الشعراء، الآية ٢٢٣.

الفصل الخامس

مناظرة الملائكة وإبليس

ـ قال في روح المعاني: وقد ذكر الشهرستاني عن شارح الأناجيل الأربعة صورة مناظرة جرت بين الملائكة وبين إبليس بعد هذه الحادثة، وقد ذكرت في التوراة، وهي أن اللعين قال للملائكة: إني أُسلِّم أن لي إلهاً هو خالقي وموجدي لكن لي على حكمه أسئلة:

الأول: ما الحكمة في الخلق لا سيما وقد كان عالماً أن الكافر لا يستوجب عند خلقه إلا النار؟.

الثاني: ما الفائدة في التكليف مع أنه لا يعود إليه منه نفع ولا ضرر، وكل ما يعود إلى المكلفين فهو قادر على تحصيله لهم من غير واسطة التكليف؟.

الثالث: هب أنه كلفني بمعرفته وطاعته فلماذا كلفني بالسجود لآدم؟.

الرابع: لمّا عصيته في ترك السجود فلِمَ لعنني وأوجب عقابي مع أنه لا فائدة له ولا لغيره فيه ولي فيه أعظم الضرر؟.

الخامس: أنه لما فعل ذلك لِمَ سلطني على أولاده ومكنني من إغوائهم وإضلالهم؟.

السادس: لما استمهلته المدة الطويلة في ذلك فلِمَ أمهلني ومعلوم أنه لو كان العالم خالياً من الشر لكان ذلك خيراً؟.

قال شارح الأناجيل: فأوصى الله تعالى إليه من سرادق العظمة والكبرياء: يا إبليس أنت ما عرفتني، ولو عرفتني لعلمت أنه لا اعتراض علي في شيء من أفعالي فإني أنا الله لا إله إلا أنا لا أُسأل عما أفعل، ما مر معنا من البيان يصلح لدفع هذه الشبهات الستة على آخرها ويكفي مؤنثها من غير أن يحتاج إلى اجتماع الأولين والآخرين كما قال الرازي: «إنه لو اجتمع الأولون والآخرون من الخلائق وحكموا بتحسين العقل وتقبيحه لم يجدوا من هذه الشبهات مخلصاً، وكان الكل لازماً»[1] ثم لا ينفعهم اجتماعهم على ما ادعاه الإمام الرازي فليست بذاك الذي يحسب.

ولتوضيح الأمر لا بد من دحض الشبهات بما يلي:

أما الشبهة الأولى:

فالمراد بالحكمة ـ وهي جهة الخير والصلاح الذي يدعو الفاعل إلى الفعل في الخلق ـ إما الحكمة في مطلق الخلق وهو ما سوى الله سبحانه من العالم، وإما الحكمة في خلق الإنسان خاصة فإن كان سؤالاً عن الحكمة في مطلق الخلق والإيجاد فمن المبرهن عليه أنه فاعل تام لمجموع ما سواه غير مفتقر في ذلك إلى متمم يتمم فاعليته ويصلح له أُلوهيته فهو مبدأ لما سواه منبع لكل خير ورحمة بذاته، واقتضاء المبدأ لما هو مبدأ له ضروري، والسؤال عن الضروري لغو كما أن ملكة الجود تقتضي بذاتها أن ينتشر أثرها وتظهر بركاتها لا لاستدعاء أمر آخر وراء نفسها يوجب لها ظهور الأثر وإلا لم تكن ملكة، فظهور أثرها ضروري لها وهو أن يتنعم بها كل مستحق على حسب استعداده واستحقاقه، واختلاف المستحقين في النيل بحسب اختلاف استحقاقهم أمر عائد إليهم لا إلى الملكة التي هي مبدأ الخير.

وأما حديث الحكمة في الخلق. والإيجاد بمعنى الغاية وجهة الخير المقصودة للفاعل في فعله فإنما يحكم العقل بوجوب الغاية الزائدة على الفاعل

---

(١) تفسير الميزان ـ المجلد الثامن ـ ص ٤٥.

في الفاعل الناقص الذي يستكمل بفعله ويكتسب به تماماً وكمالاً، وأما الفاعل الذي عنده كل خير وكمال فغايته نفس ذاته من غير حاجة إلى غاية زائدة كما عرفت في مثال ملكة الجود، نعم يترتب على فعله فوائد ومنافع كثيرة لا تحصى ونعم إلهية لا تنقطع وهي غير مقصودة إلا ثانياً وبالعرض، هذا في أصل الإيجاد.

وإن كان السؤال عن الحكمة في خلق الإنسان كما يشعر به قوله بعد: لا سيما وقد كان عالماً أن الكافر لا يستوجبه عند خلقه إلا النار فالحكمة بمعنى غاية الفاعل والفائدة العائدة إليه غير موجودة لما عرفت أنه تعالى غني بذاته لا يفتقر إلى شيء مما سواه حتى يتم أو يكمل به، وأما الحكمة بمعنى الغاية الكمالية التي ينتمي إليها الفعل وتحرز فائدته فهو أن يخلق من المادة الأرضية الخسيسة تركيب خاص ينتهي بسلوكه في مسلك الكمال إلى جوهر علوي شريف كريم يفوق بكمال وجوده كل موجود سواه، ويتقرب إلى ربه تقرباً كمالياً لا يناله شيء غيره فهذه غاية النوعية الإنسانية.

غير أن من المعلوم أن مركباً أرضياً مؤلفاً من الأضداد واقعاً في عالم التزاحم والتنافي محفوفاً بالعلل وأسباب موافقة ومخالفة لا ينجو منها بكله، ولا يخلص من إفسادها بآثارها المنافية جميع أفراده فلا محالة لا يفوز بالسعادة المطلوبة منه إلا بعض أفراده، ولا ينجح في سلوكه نحو الكمال إلا شطر من مصاديقه لا جميعها.

وليست هذه الخصيصة أعني فوز البعض بالكمال والسعادة، وحرمان البعض مما يختص به الإنسان بل جميع الأنواع المتعلقة الوجود بالمادة الموجودة في هذه النشأة كأنواع الحيوان والنبات وجميع التركيبات المعدنية وغيرها كذلك فشيء من هذه الأنواع الموجودة وهي أُلوف وأُلوف ـ لا يخلو عن غاية نوعية هي كمال وجوده، وهي مع ذلك لا تنال الكمال إلى بنوعيته، وأما الأفراد والأشخاص فكثير منها تبطل دون البلوغ إلى الكمال، وتفسد في طريق الاستكمال بعمل العلل والأسباب المخالفة لأنها محفوفة بها ولا بد لها من العمل فيها جرياً على مقتضى عليتها وسببيتها.

ولو فرض شيء من هذه الأنواع غير متأثر من شيء من العوامل المخالفة كالنبات مثلاً غير متأثر من حرارة وبرودة ونور وظلمة ورطوبة ويبوسة والسمومات والمواد المنافية لتركيبه كان في هذا الفرض إبطال تركيبه الخاص أولاً، وإبطال الأسباب والعلل ثانياً، وفيه إبطال نظام الكون.

ولا ضير في بطلان مساعي بعض الأفراد أو التركيبات إذا أدى ذلك إلى فوز بعض آخر بالكمال والغاية الشريفة المقصودة التي هي كمال النوع وغايته فإن الخلقة المادية لاتسع أزيد من ذلك، وصرف الكثير من المادة الخسيسة التي لا قيمة لها في تحصيل القليل من الجوهر الشريف العالي استرباح حقيقي بلا تبذير أو جزاف.

فالعلة الموجبة لوجود النوع الإنساني لا تريد بفعلها إلا الإنسان الكامل السائر إلى أوج السعادة في دنياه وآخرته إلا أن الإتيان لا يوجد إلا بتركيب مادي، وهذا التركيب لا يوجد إلا إذا وقع تحت هذا النظام المادي المنبسط على هذه الأجزاء الموجودة في العالم المرتبطة بعضها ببعض المتفاعلة فيما بينها جميعاً بتأثيراتها وتأثراتها المختلفة، ولازم ذلك سقوط بعض أفراد الإنسان دون الوصول إلى كمال الإنسانية فعلّة وجود الإنسان تريد السعادة الإنسانية أولاً وبالذات، وأما سقوط بعض الأفراد فإنما هو مقصود ثانياً وبالعرض ليس بالقصد الأولي»[١].

فخلقه تعالى الإنسان حكمته بلوغ الإنسان إلى غايته الكمالية، وأما علمه بأن كثيرين من أفراده يكونون كفاراً مصيرهم إلى النار لا يوجب أن يختل مراده من خلقه النوع الإنساني، ولا أنه يوجب أن يكون خلقه الإنسان الذي سيكون كافراً علة تامة لكفره أو لصيرورته إلى النار، كيف؟ وعلة كفره التامة بعد وجوده علل وعوامل خارجية كثيرة جداً، وآخرها اختياره الذي لا يدع الفعل ينتسب إلا إليه فالعلة التي أوجدت وجوده لم توجد إلا جزء من أجزائه علة كفره، وأما تعلق القضاء الإلهي بكفره فإنما تعلق به عن طريق الإختيار لا بأن يبطل اختياره وإرادته ويضطر إلى قبول الكفر كسقوط الحجر المرمي إلى فوق نحو الأرض

---

(١) تفسير الميزان ـ الطباطبائي ـ المجلد الثامن ـ ص ٤٧.

بعامل التنقل اضطراراً.

وأما الشبهة الثانية:

فقوله: «ما الفائدة في التكليف مع أنه لا يعود إليه منه نفع ولا ضرر؟» مغالطة من باب إسراء حكم الفاعل الناقص الفقير إلى الفاعل التام الغني في ذاته فحكم العقل بوجوب رجوع فائدة من الفعل إلى الفاعل إنما هو في الفاعل الناقص المستكمل يفعله المنتفع به دون الفاعل المفروض غنياً في ذاته»[1]. فلا حكم من العقل أن كل فاعل حتى ما هو غني في ذاته لا جهة نقص فيه يجب أن يكون له في فعله فائدة عائدة إليه، ولا أن الموجود الذي هو غني في ذاته لا جهة نقص فيه حتى يستكمل بشيء فهو يمتنع صدور فعل عنه.

والتكليف وإن كان في نفسه أمراً وضعياً اعتبارياً لا يجري في متنه الأحكام الحقيقية إلا أنه في المكلفين واسطة ترتبط بها الكمالات اللاحقة الحقيقية بسابقتها فهي وصلة بين حقيقتين:

توضيح ذلك ملخصاً: أنّا لسنا نشك عن المشاهدة المتكررة والبرهان أن ما بين أيدينا من الأنواع الموجودة التي نسميها بما فيها من النظام الجاري عالماً مادياً واقعة تحت الحركة التي ترسم لكل منها بقاء بحسب حاله، ووجوداً ممتداً يبتدي من حالة النقص وينتهي إلى حالة الكمال، وبين أجزاء هذا الامتداد الوجودي المسمى بالبقاء ارتباطاً وجودياً حقيقياً يؤدي به كل سابق إلى لاحقه، ويتوجه به النوع من منزل من هاتيك المنازل إلى ما يليه بل هو قصد من أول حين يشرع في الحركة آخر مرحلة من شأن حركته أن ينتهي إليه.

فالحبة من القمح من أول ما تنشق للنمو قاصدة نحو شجرة الحنطة الكاملة نشوء وعليها سنابلها، والنطفة من الحيوان متوجهة إلى فرد كامل من نوعه واجد لجميع كمالاته النوعية وهكذا، وليس النوع الإنساني بمستثنى من هذه الكلية البتة فهو أيضاً من أول ما يأخذ فرد منه في التكون عازم نحو غايته متوجه إلى مرتبة

---

(١) تفسير الميزان ـ الطباطبائي ـ المجلد الثامن ـ ص ٤٨.

إنسان كامل واجد لحقيقة سعادته سواء بلغ في مسير حياته إلى ذلك المبلغ أم حالت دونه الموانع.

والإنسان لما اضطر بحسب سنخ وجوده إلى أن يعيش عيشة اجتماعية، والعيشة الاجتماعية إنما تتحقق تحت قوانين وسنن جارية بين أفراد المجتمع وهي عقائد وأحكام وضعية اعتبارية ـ التكاليف الدينية أو غير الدينية ـ تتكون بالعمل بها في الإنسان عقائد وأخلاق وملكات هي الملاك في سعادة الإنسان في دنياه وكذا في آخرته وهي لوازم الأعمال المسماة بالثواب والعقاب.

فالتكليف يستبطن سيراً تدريجياً للإنسان بحسب حالاته وملكاته النفسانية نحو كماله وسعادته، يستكمل بطيّ هذا الطريق والعمل بما فيه طوراً بعد طور حتى ينتهي إلى ما هو خير له وأبقى، ويخيب مسعاده إن لم يعمل به كالفرد من سائر الأنواع الذي يسير نحو كمال فينتهي إليه إن ساعدته موافقة الأسباب، ويفسد فيه مسيره نحو الكمال إن خذلته ومنعته.

فقول القائل «وما الفائدة في التكليف؟» كقوله: «ما الفائدة في تغذي النبات؟» أو ما الفائدة في تناسل الحيوان من غير نفع عائد؟.

وأما قوله: «وكل ما يعود إلى المكلفين فهو قادر على تحصيله لهم من غير واسطة التكليف» مغالطة أُخرى عرفت أن التكليف في الإنسان أو أيّ موجود سواه يجري في حقه التكليف واقع في طريق السعادة متوسط بين كماله ونقصه في وجوده الذي إنما يتم ويكمل له بالتدريج، فإن كان المراد بتحصيل ما يعود من التكليف إلى المكلفين من غير واسطة التكليف تعيين طريق آخر لهم بدلاً من طريق التكليف ووضع ذاك الطريق موضع هذا الطريق وحال الطريقتين في طريقيَّتهما واحد عاد السؤال في الثاني كالأول: لِمَ عين هذا الطريق وهو قادر على تحصيل ما يعود منه إليهم بغيره؟ والجواب أن العلل والأسباب التي تجمعت على الإنسان مثلاً على ما نجدها تقتضي أن يكون مستكملاً بالعمل بتكاليف مصلحة لباطنه مطهرة لسره من طريق العادة.

وإن كان المراد بتحصيله من غير واسطة التكليف تحصيله لهم من غير واسطة أصلاً وإفاضة جميع مراحل الكمال ومراتب السعادة لهم في أول وجودهم

من تدريج بسلوك طريق فلازمه بطلان الحركات الوجودية وانتفاء المادة والقوة وجميع شؤون الإمكان والموجود المخلوق الذي هذا شأنه مجرد في بدء وجوده تام كامل سعيد في أصل نشأته، وليس هو الإنسان المخلوق من الأرض الناقص أولاً المستكمل تدريجاً ففي الفرض خلف)[1].

وأما الشبهة الثالثة:

فقوله: هب أنه كلفني بمعرفته وطاعته فلماذا كلفني بالسجود لآدم؟.

فجوابه ظاهر فإن هذا التكليف يتم بالإيتمار به صفة العبودية لله سبحانه، ويظهر بالتمرد عنه صفة الإستكبار ففيه على أي حال تكميل من الله واستكمال من إبليس إما في جانب السعادة وإما في جانب الشقاوة، وقد اختار الثاني.

على أن في تكليفه وتكليف الملائكة بالسجدة تعييناً للخط الذي خط لآدم فإن الصراط المستقيم الذي قدر لآدم وذريته أن يسلكوه لا يتمّ أمره إلا بمسدد معين يدعو الإنسان إلى هداه وهو الملائكة، وعدو مضل يدعوه إلى الإنحراف عنه والغواية فيه وهو إبليس وجنوده كما ذكر سابقاً.

وأما الشبهة الرابعة:

فقوله «لماذا الغني وأوجب عقابي بعد المعصية ولا فائدة له فيه؟ إلخ».

جوابه أن اللعن والعقاب أعني ما يشتملان عليه من الحقيقة من لوازم الإستكبار على الله الذي هو الأصل المولد لكل معصية، وليس الفعل الإلهي مما يجر إليه نفعاً أو فائدة حتى يمتنع فيما لا نفع فيه يعود إليه كما تقدمت الإشارة إليه. وليس قوله هذا إلا كقول من يقول فيمن استقى سماً وشربه فهلك به: لِمَ لم يجعله الله شفاءً وليس له في إماتته به نفع وله فيه أعظم الضرر؟ هلا جعله رزقاً طيباً للمسموم يدفع عطشه وينمو به بدنه؟ فهذا كله من الجهل بمواقع العلل والأسباب التي أثبتها الله في عالم الصنع والإيجاد فكل حادث من حوادث الكون

(١) تفسير الميزان ـ المجلد الثامن ـ ص ٥٠.

يرتبط إلى علل وعوامل خاصة من غير تخلف واختلاف قانوناً كلياً.

فالمعصية إنما تستتبع العقاب على النفس المتقذرة بها إلا أن تتطهر بشفاعة أو توبة أو حسنة تستدعي المغفرة، وابطال العقاب من غير وجود شيء من أسبابه هدم لقانون العلية العام، وفي إنهدامه انهدام كل شيء.

وأما الشبهة الخامسة:

أعني قوله: «إنه لما فعل ذلك لم سلطني على أولاده ومكنني من إغوائهم وإضلالهم؟» ـ فقد ظهر جوابه مما تقدم فإن الهدى والحق العملي والطاعة وأمثالها إنما تتحقق مع تحقق الضلال والباطل والمعصية وأمثالها، والدعوة إلى الحق إنما تتم إذا كان هناك دعوة إلى باطل، والصراط المستقيم إنما يكون صراطاً لو كان هناك سبل غير مستقيمة تسلك بسالكها إلى غاية غير غايته. فمن الضروري أن يكون هناك داع إلى الباطل يهدي إلى عذاب السعيد ما دامت النشأة الإنسانية قائمة على ساقها، والإنسانية محفوظة ببقائها النوعي بتعاقب أفرادها فوجود إبليس من خدم النوع الإنساني، ولم يمكنه الله منهم ولا سلّطه عليهم إلا بمقدار الدعوة كما صرح به القرآن الكريم **﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين﴾**[1].

وبما حكاه الشيطان عن نفسه: **﴿وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم﴾**[2]. وهذا طبعاً فيما يخاطب به الناس يوم القيامة.

وأما الشبهة السادسة:

فأما قوله: «لما استمهلته المدة الطويلة في ذلك فلِمَ أمهلني؟» ـ فقد ظهر جوابه كما تقدم آنفاً.

وأما قوله: «ومعلوم أن العالم لو كان خالياً من الشر لكان ذلك خيراً».

---

(١) سورة الحجر ـ الآية ٤٢.

(٢) سورة إبراهيم ـ الآية ٢٢.

فمعنى أن يكون العالم خالياً من الشر مأموناً من الفساد كونه مجرداً غير مادي، ولا معنى محصّل لعالم مادي يوجد فيه الفعل من غيره قوة والخير من غير شر والنفع من غير ضر والثبات من غير تغير والطاعة من غير معصية والثواب من غير عقاب.

وأما ذكره من جوابه تعالى عن شبهات إبليس بقوله: «يا إبليس أنت ما عرفتني ولو عرفتني لعلمت أنه لا اعتراض عليّ في شيء من أفعالي فإني أنا الله الذي لا إله إلا أنا لا أسأل عما أفعل».

فجواب يوافق ما في التنزيل الكريم، قال تعالى: **﴿لا يسأل عما يفعل وهم يسألون﴾**[1] وظاهر المنقول من قوله تعالى أنه جواب إجمالي عن شبهاته لعنه الله لا جواب تفصيلي عن كل واحد واحد.

ومحصّله: أن هذه الشبهات جميعاً سؤال واعتراض عليه تعالى: ولا يتوجه إليه اعتراض لأنه الله لا إله إلا هو لا يسأل عما يفعل. وظاهر قوله تعالى أن قوله **﴿لا يسأل﴾** متفرع على قوله: **﴿فإني﴾** إلخ.

فمفاد الكلام أن الله تعالى لما كان بإنّيته الثابتة بذاته الغنية لذاته هو الإله المبدىء المعيد الذي يبتدىء منه كل شيء وينتهي إليه كل شيء فلا يتعلق في فعل يفعله بسبب فاعلي آخر دونه، ولا يحكم عليه سبب غائي آخر يبعثه نحو الفعل بل هو الفاعل فوق كل فاعل، والغاية وراء كل غاية فكل فاعل يفعل بقوة فيه وإن القوة لله جميعاً، وكل غاية إنما تقصد وتطلب لكمال ما فيه وخير ما عنده وبيده الخير كله.

ويتفرع عليه أنه تعالى لا يسأل في فعله عن السبب فإن سبب الفعل إما فاعل وإما غاية وهو فاعل كل فاعل وغاية كل غاية، وأما غيره تعالى فلما كان ما عنده من قوة الفعل موهوباً له من عند الله، وما يكتسبه من جهة الخير والمصلحة بإفاضة منه تعالى بتسبب الأسباب وتنظيم العوامل والشرائط فإنه مسؤول عن فعله لِمَ فعله؟ وأكثر ما يسأل عنه إنما هو الغاية وجهة الخير والمصلحة، وخاصة في

(١) سورة الأنبياء ـ الآية ٢٣.

الأفعال التي يجري فيه الحسن والقبح والمدح والذم من الأفعال الاجتماعية في ظرف الاجتماع فإنها المتكئة على مصالحه، فهذا بيان تام يتوافق فيه البرهان والوحي.

وأما المتكلمون فإنهم بما لهم من الاختلاف العميق في مسألة:

أن أفعال الله هل تعلل بالأغراض؟ وما يرتبط بها من المسائل اختلفوا في تفسير أن الله لا يسأل عن فعله فالأشاعرة لتجويزهم الإرادة الجزافية واستناد الشرور والقبائح إليه تعالى ذكروا أن له أن يفعل ما يشاء من غير لزوم أن يشتمل فعله على غرض فتنطبق عليه مصلحة محسّنة وليس للعقل أن يحكم عليه كما يحكم على غيره بوجوب اشتمال فعله على غرض وهو ترتب مصلحة محسنة على الفعل.

والمعتزلة يحيلون الفعل غير المشتمل على غرض وغاية لاستلزامه اللغو والجزاف المنفي عنه تعالى فيفسرون عدم كونه تعالى مسؤولاً في فعله بأنه حكيم والحكيم هو الذي يعطي كل ذي حق حقه فلا يفعل قبيحاً ولا لغواً ولا جزافاً، والذي لا يسأل عن فعله هو من يمكن في حقه إتيان القبيح واللغو والجزاف فهو تعالى غير مسؤول عما يفعل وهم يسألون.

والبحث طويل الذيل وقد تعارك فيه أُلوف الباحثين من الطائفتين ومن وافقهم من غيرهم قروناً متمادية[1].

(١) تفسير الميزان ـ المجلد الثامن، ـ ص ٤٤ ـ ٥٣.

الفصل السادس

طرق معرفة الشيطان

ـ للتعرف على الشيطان لا بد من طريقتين أساسيتين هما:

أولاً: ما جاء عن الشيطان من طريق القرآن وروايات أهل البيت عليهم السلام وبعض الأخبار الموثوقة.

ثانياً: الآثار التي يتركها الشيطان علينا ونحسها داخل أنفسنا والتي تمثل نوازع الشر والضلالة.

وسنتبين فيما يلي هاتين الطريقتين بشيء من التفصيل:

أ ـ صفحات سوداء من تاريخ الشيطان:

لا تجد في القرآن الكريم قصة أكثر إثارة ولا أشد غرابة من قصة الشيطان مع الإنسان والمتمثلة في قصة آدم وإبليس وتسأل: أين مورد الغرابة؟.

الجواب: في بطلي القصة التاريخيين أولاً.

وفي مكان وزمان وقوع حوادث هذه القصة ثانياً.

لعلنا لا نستغرب كثيراً إذا سمعنا بقصة يكون طرفا الصراع فيها متشابهين في جنسهما إنسان مقابل إنسان، أو شيطان مقابل شيطان على سبيل المثال.

أما في قصتنا هذه فالوضع مختلف الطرفان مختلفان اختلافاً كبيراً فالأول جني والآخر إنسي، الأول مخلوق ناري، والآخر طيني. الأول يرى ولا يمكن رؤيته والآخر لا يملك هذه القابلية.. و ..و.

إذن الفوارق كثيرة ومع ذلك وقعت القصة على مسرح الوجود.. وحدث ما حدث أما بالنسبة للمورد الآخر. وهو المكان فقد تعدد فالبداية كانت على الأرض، ثم انتقلت الحوادث إلى السماء ومن ثم إلى الجنة وأخيراً عادت إلى الأرض مرة أخرى، وكذلك كان الزمان فالبداية كانت خلق آدم ثم استمرت الحوادث إلى يومنا هذا وستبقى إلى يوم الوقت المعلوم.

ب ـ فصول القصة:

١ ـ إبليس على الأرض:

كان ابليس يعيش على الأرض حاكماً في قومه، الذين كانوا يسكنون الأرض ويكثر فيهم الفساد والقتل والظلم، وكما يحصل عادة للأمم التي تزيغ عن منهج السماء فتركن إلى الأرض وتبتعد عن القيم فتقترب من نهايتها الحتمية ويحل عليها العقاب العادل لتترك مكانها لمن يأتي بعدها ويكون أفضل منها.

فالسنة في هذا الكون تنص على أن البقاء للأصلح دائماً.

وهذا ما حصل لقوم ابليس حيث حلت عليهم النقمة والعذاب وبقي إبليس وحيداً في الأرض ولعل سبب بقائه أنه كان أفضلهم.

فعن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أن الله خلق خلقاً قبل آدم وكان إبليس فيهم حاكماً في الأرض فعثوا وأفسدوا وسفكوا الدماء، فبعث الله الملائكة، فقتلوهم وأسروا إبليس، ورفعوه إلى السماء، فكان مع الملائكة يعبد الله إلى أن خلق الله تبارك وتعالى آدم»[1].

---

(١) بحار الأنوار ـ ج ٦٣ ـ ص ٢٣٤.

٢ ـ إبليس في السماء:

صار إبليس يعبد الله في السماء مع الملائكة الأبرار جنباً إلى جنب والملائكة تظن أنه أحدها. فعن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ لما سئل: أكان إبليس من الملائكة؟ أو هل كان يلي شيئاً في السماء؟ قال: لم يكن من الملائكة ولم يكن يلي شيئاً من أمر السماء، وكان من الجن، وكان مع الملائكة وكانت الملائكة ترى أنه منها وكان الله يعلم أنه ليس منها[١].

٣ ـ إبليس مع آدم في السماء:

استمر إبليس في عبادته مدة طويلة لا يعلمها إلا الله فعن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ قال:

«.. وكان قد عبدالله ستة آلاف سنة لا يدري أمن سني الدنيا أم من سني الآخرة»[٢].

ـ الإخبار بخلق جديد:

عندما شاءت الحكمة الإلهية أن تجعل على هذا الكوكب الأرضي خليفة ليعبد الله، قال الله تعالى للملائكة: ﴿**إني جاعل في الأرض خليفة**﴾[٣].

ولكن لعدم علم الملائكة بأسرار الحكمة الإلهية وراء خلق هذا الخليفة ﴿**قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبّح بحمدك ونقدس لك**﴾[٤] فرد عليهم تعالى: ﴿**قال إني أعلم ما لا تعلمون**﴾[٥].

---

(١) بحار الأنوار ـ ج ٦٣ ـ ص ٢١٨.
(٢) نهج البلاغة.
(٣) سورة البقرة الآية ٣٠.
(٤) نفس المصدر.
(٥) نفس المصدر.

ولكي يريهم أن هذا المخلوق الجديد يتميز عنهم بأشياء منها ميزة المعرفة **﴿علمَّ آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين﴾**(١).

وأمام هذا العرض وهذا السؤال اعترفوا بضعفهم أمام مولاهم وقالوا بخضوع وإجلال **﴿سبحانك لا علم لنا إلاّ ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم﴾**(٢).

وعندما أمر آدم عليه السلام أن يريهم هذه الميزة التي يمتاز بها عنهم فقال له: **﴿يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون﴾**(٣).

وما أن خلق الله تعالى آدم عليه السلام(٤) وعلم إبليس بذلك حتى بدأت الشكوك تراوده حول هذا الخلق الجديد وماذا سيكون مستقبله.

فقد جاء عن الإمام علي عليه السلام في وصف هذه المرحلة: لما أراد الله تعالى خلق آدم بعث جبرائيل فأخذ من الأرض قبضة، فعجنه بالماء العذب والمالح، وركب فيه الطبائع قبل أن ينفخ فيه الروح... وكان إبليس.. يدخل في منخر آدم ثم يخرج من دبره ثم يضرب على بطنه فيقول: لأي أمر خلقت؟ لئن جعلت فوقي لا أطعتك ولئن جعلت أسفل مني لا أبقيتك(٥).. فإبليس كان يرى نفسه المخلوق الوحيد الذي يستحق التقدير والإكبار دون مخلوقات الأرض جميعاً ولم يتصور اليوم الذي يرى فيه منافساً له في المقام والحظوة أما وقد جاء المنافس ومن نفس الأرض التي هاجر إبليس منها... اذن فالموقف حرج،

---

(١) سورة البقرة الآية ٣١.

(٢) سورة البقرة الآية ٣٢.

(٣) سورة البقرة الآية ٣٣.

(٤) انظر التعليقة رقم (٦) ـ في قسم التعليقات للوقوف على معرفة قصة آدم وحواء في الأديان.

(٥) بحار الأنوار ـ ج ٦٣ ـ ص ١٩٨.

والوضع خطير، والمقام والشخصية والذات تتعرض كلها للخطر فهي مهددة من هذا القادم الغريب، لذا فالحذر، الحذر.

ـ الإمتحان العسير:

ـ ويبدو من التأمل في مجموع ما ورد في شأن إبليس من آيات القرآن أنه كان مقرباً إلى الله كالملائكة، ولم يمنعه كونه من عنصر ناري[1] غير ملائكي أن يصل عن طريق الطاعة لله إلى أعلى مراتب القرب والقداسة.

ولقد كان من الممكن أن يستمر الأمر على هذه الصورة إلى النهاية.

إلا أن خلق الإنسان أدخل عنصراً جديداً، فقد وضع الملائكة، وإبليس معهم في تجربة من تجارب الطاعة جديدة عليهم: لقد أمر الله سبحانه وتعالى ملائكته بالسجود لآدم[2] تكريماً وإعظاماً للمخلوق الجديد الذي صنعه الله سبحانه بقدرته وجعل فيه الكفاءات والاستعدادات ما سيجعله مؤهلاً ليصبح خليفة الله الجديد في الأرض.

قال تعالى: **﴿وإذ قال ربّك للملائكة إني خالقٌ بشراً من صلصال من حمإٍ مسنُون. فإذا سَوّيتُهُ ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين﴾**[3].

وقال تعالى: **﴿وإذا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس﴾**[4].

وقال تعالى: **﴿إذ قال رَبّك للملائكة إني خالقٌ بشراً من طين. فإذا سوّيته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين﴾**[5].

---

(١) قال تعالى: **﴿خلق الإنسان من صلصالٍ كالفخار وخلق الجانَّ من مارجٍ من نار﴾** ـ سورة الرحمن الآية ١٥.

(٢) انظر التعليقة رقم (٥) في قسم التعليقات لمعرفة الفضل بين الإنسان والملك.

(٣) سورة الحجر الآية ٢٨ ـ ٢٩.

(٤) سورة البقرة ـ الآية ٣٤.

(٥) سورة الحجر الآية ٧١ ـ ٧٢.

وسجد الملائكة أجمعون إلا إبليس فقد عصى أمر الله سبحانه ولم يسجد قال تعالى: ﴿**ولقد خلقناكم، ثم صورّناكم، ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من السّاجدين**﴾[1].

جاء في التفسير: من هم الملائكة المأمورون بالسجود لآدم؟ وما هو دور إبليس بينهم؟.

الملائكة[2] المأمورون بالسجود هم الموكلون بقوى الطبيعة من مطر، ونبات و. . . والشيطان (إبليس) كان موكلاً بطبيعة الإنسان أي نفسه.

(وبما أن لكل جانب من قوى الطبيعة ملكاً موكلاً به والملائكة كلهم سجدوا لآدم، ومن خلالهم سخرت قوى الطبيعة كلها للإنسان (بالعلم) ولكن هناك ما وكل بقوة طبيعته لم يسجد للإنسان وعلى الإنسان أن يخضعه وليضمن سجوده فمن هو؟ وماذا يمثل من الطبيعة؟ إنه إبليس الموكل بطبيعة الإنسان ذاته، النفس الأمارة بالسوء)[3].

قال تعالى: ﴿**وإذا قال ربك للملائكة إني جاعلٌ في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء، ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال: إني أعلم ما لا تعلمون**﴾[4].

وقال تعالى: ﴿قال يا إبليس مالك ألا تكون من الساجدين قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال[5] من حمأٍ

---

(١) سورة الأعراف ـ الآية ١١.

(٢) انظر التعليقة رقم (٧) في قسم التعليقات للوقوف على معرفة أصناف الملائكة وأعمالها.

(٣) من هدى القرآن/ ج ١ ـ ص ١٣٣.

(٤) سورة البقرة ـ الآية ٣٠.

(٥) صلصال: طين يابس/ ـ التفسير المبين ـ محمد جواد مغنية ـ ص ٣٤٠ ـ وقيل طين يابس إذا نقر صلصل أي صوت/ ـ تفسير شبر ـ السيد عبدالله شبر ـ ص ٢٦٣ ـ انظر مجمع البيان مجلد ٦ ـ ص ٥١٦.
الحمأ: طين يميل إلى السواد، والمسنون طين يتكيف بسهولة، والطين بشتى أنواعه =

مسنون﴾[1].

وقال تعالى: ﴿قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين﴾[2].

نرى في الآيات السابقة الملائكة وهم يقارنون المخلوق الجديد بالمخلوقات القديمة البائدة في الأرض قبل خلق آدم.

فحكمت عليه بنفس الحكم المسبق لديها وهو الإفساد في الأرض وسفك الدماء فبين الله سبحانه لهم الاختلاف بين آدم وبين تلك المخلوقات، وأظهر لهم المميزات التي أودعها فيه، وأظهر فضله على الملائكة أنفسهم بتلك المميزات والكفاءات[3].

وأخيراً أمرهم بالسجود له اعظاماً وتكريماً وسجد الملائكة ما عدا إبليس الذي امتنع عن السجود مبرراً فعله مرة بعدم استحقاق هذا المخلوق الترابي بهذا المقام الشريف، ومرة بابراز ذاته وتفضيل عنصره على عنصر آدم، فلماذا لا يكون السجود له ويكون لآدم؟.

قال تعالى: ﴿.. فَسَجَدُوا إلاّ إبليس أبي واستكبر وكان من الكافرين﴾[4] هناك ظهرت حقيقة إبليس للملائكة حين أخرج ما في قلبه من حسد وكبرياء وبان للجميع حقيقة تلك العبادة التي قام بها وصرف عمره فيها وذلك حينما بيّن

وصنوفه، ماء وتراب وأصل الإنسان تراب وماء خلقه الله منهما ومنحه الحياة. / ـ التفسير المبين ـ محمد جواد مغنية ص ـ ٣٤ ـ/ التفسير المعين للواعظين والمتعظين ـ محمد هويدي ص ٢٦٣. مسنون: مصبوب أي أفرغ صورة كما يفرغ الجواهر المذابة ـ/ تفسير شبر ـ السيد عبدالله شبر ـ ص ٢٦٣ والمسنون: أي مصبوب كأنه أفرغ حتى صار صورة كما يصب الذهب والفضة وقيل أنه الرطب.
مجمع البيان ـ مجلد ٦ ـ صفحة ٥١٦.

(١) سورة الحجر ـ الآية ٣٣.
(٢) سورة الأعراف ـ الآية ١٢.
(٣) انظر التعليقة رقم (٨) ـ في قسم التعليقات لمعرفة سبب أفضلية آدم عليه السلام على الملائكة من الناحية العلميّة.
(٤) سورة البقرة ـ الآية ٣٤.

غايته وهدفه.

قال تعالى: ﴿. . قال يا إبليس مالك ألاّ تكون مع الساجدين؟ قال: لم أكن لأسجُد لبشَر خلقته من صلصالٍ من حمأ مسنون﴾[1].

وقال تعالى على لسان إبليس: ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فَسَجَدوا إلاّ إبليس قال: أأسجُدُ لمن خلقت طيناً﴾[2].

وتبرز «الأنا» عند إبليس في مقابل الذات الإلهية:

﴿قال: ما منعك ألاّ تسجد إذ أمرتك؟ قال: أنا خيرٌ منه خلقتني من نارٍ وخلقته من طين﴾[3].

﴿فسَجَد الملائكةُ كُلّهم أجمعون إلاّ إبليس استكْبرَ وكان من الكَافرين قال: يا إبليس ما منعك أن تسجُدَ لما خَلَقتُ بيدي استكبرت أم كنُت من العالين؟ قال: أنا خيرٌ منه خلقتني من نارٍ وخلقته من طين﴾[4].

فقد وصف أمير المؤمنين عليه السلام هذا الموقف الخطير لإبليس: اعترضته الحمية فافتخر على آدم بخلقه، وتعصب عليه لأصله، فعدو الله إمام المتعصبين، وسلف المستكبرين الذي وضع أساس العصبية ونازع الله رداء الجبرية وأدرع لباس التعزز وخلع قناع التذلل[5].

ـ موقفان:

ـ إذن، ثمة موقفان لإبليس نتجا عن هذه التجربة، وكلاهما سلبيان:

ـ **أحدهما**: موقفه من آدم، وهو موقف احتقار، لأنه لاحظ أن آدم ـ في نظره من عنصر منحط: «طين، صلصال من حمأٍ مسنون».

---

(١) سورة الحجر الآية ٣٢ ـ ٣٣.
(٢) سورة الإسراء ـ الآية ٦١.
(٣) سورة الأعراف ـ الآية ١٢.
(٤) سورة الأعراف الآية ٧٥ ـ ٧٦.
(٥) نهج البلاغة ـ ص ٢٨٦.

وثانيهما: موقفه من الله تعالى، وهو موقف التكبر، فقد رفض امتثال الأمر الإلهي تكبراً منه: ﴿**لم أكن لأسجد لبشرٍ. . . أنا خير منه**﴾.

ـ الحرية وشبهة الإغواء:

ـ وهذان الموقفان قد اتخذهما إبليس بحريته، ولم تتدخل الإرادة الإلهية التكوينية[1] في حمله على اتخاذ موقف اتخذه. يدلنا على ذلك ـ مضافاً إلى المبدأ العام الذي قدمناه في مطلع هذا الحديث ـ يدلنا ذلك أيضاً أن إبليس علل موقفه السلبي من السجود بأنه خير من آدم، فهو لأنه خير من آدم ـ في زعمه ـ يكن عاطفة الاحتقار له، من هنا تكبر على الله فرفض امتثال أمره القاضي بالسجود لآدم.

قد يقال هنا استناداً إلى النص القرآني: أن إبليس كان مسيراً في موقفه، وأنه لم يتخذ قرار الرفض بحرية. والنص القرآني هو قوله تعالى: ﴿**قال: رَبِّ بما أغويتني لأزُيّننّ لهم في الأرض ولأغوينّهُم أجمعين**﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿. . . **قال فبما أغويتني لأقعُدنّ لهم صراطك المُستقيم**﴾[3].

إن هذا الوهم ناشىء من تصور أن المراد الغواية بعصيان الأمر بالسجود، فيكون امتناع إبليس من السجود مستنداً إلى اغواء الله له ولكن هذا خطأ، فإن المعنيّ في الآيتين بـ «أغويتني» ليس الإمتناع عن طاعة الأمر بالسجود كما توهم بعض الماديين[4]. إذ لا توجد علاقة سببية بين معصية مخلوق ومعصية مخلوق آخر، فلا علاقة سببية بين رفض إبليس للسجود وبين صدور المعاصي للأوامر الإلهية من أفراد النوع الإنساني. وإنما المراد بـ «أغويتني» الغواية والهلاك

---

(١) انظر التعليقة رقم (٩) ـ في قسم التعليقات للوقوف على معرفة الحرية الداخلية والإرادة التكوينية.

(٢) سورة الحجر ـ الآية ٣٩.

(٣) سورة الأعراف ـ الآية ١٤.

(٤) نقد الفكر الديني ـ صادق جلال العظم ـ ص ١٠٧ وغيرها من الكتاب.

والخيبة والبعد الناتجة عن عصيان الأمر بالسجود. فقرار رفض إطاعة الأمر بالسجود اتخذه إبليس بحرية، وقد نتج عن هذا القرار ابعاد الله له، وطرده من منزلته التي كان فيها:

﴿قال: فاخرج منها فإنّك رجيم، وإنّ عليك اللّعنة إلى يوم الدّين.. قال: ربّ بما أغويتني﴾[1].

فالغواية هنا طرده، ورجمه، وجعله ملعوناً:

﴿.. قال: فاهبط منها فما يكُونُ لك أن تتكبّر فيها فاخرج إنّك من الصاغرين.. قال فبما أغويتني..﴾[2].

فالغواية هنا إهباطه عن منزلته، واخراجه عن مجتمع الملائكة ووصمه بالصغار[3].

هذه النتائج التي ترتبت ونشأت من قرار عدم السجود الذي اتخذ بحرية هي الغواية، فهي نتيجة لقرار إبليس الذي اتخذه بحرية وعليه أن يتحمل مسؤولية ما ينتج عن قراره من نتائج.

والتحليل اللغوي للآية يعطي أيضاً النتيجة التي ذكرناها: «... فَبِما أغويتني...» فإن الباء للسببية، و«ما» مصدرية، ومعنى الجملة: (بسبب إغوائك لي سأُغوي عبادك)، فإنه لما حلت عليه اللعنة، وطرد عن منزلته غدا شريراً، وكونه شريراً سبب لنشره الشر بين الناس.

ولكن هذه النتيجة: جعله شريراً تبحث عن اختياره الحر، وهو رفض السجود، ومعصية الأمر الإلهي.

وهذا هو معنى الاغواء في الآيتين. إذن إبليس لم يكن مسيراً في موقفه الذي اتخذه وإنما تصرف بحرية مطلقة. فإبليس ليس «بطلاً

(١) سورة الحجر الآية ٣٥ ـ ٣٩.
(٢) سورة الأعراف الآية ١٣ ـ ١٦.
(٣) مطارحات في الفكر المادي والفكر الديني ـ الشيخ محمد مهدي شمس الدين ـ ص ١٤٢ ـ ١٤٣.

مأساوياً»[1] ـ كما يصوره البعض، وإنما هو متكبر سخيف قاده تكبره الأجوف إلى عاقبة وخيمة. بسبب وضعه الجديد غدا إبليس قوة شريرة في العالم الإنساني.

قال تعالى: **﴿قال: فاهبط منها، فما يكون لك أن تتكبَّر فيها، فاخرج إنك من الصاغرين﴾**[2] قال: **﴿انظرني إلى يوم يُبعثون﴾** قال: **﴿إنّك من المُنظرين﴾** قال: **﴿فبما أغويتني لأقعُدنَّ لهَمُ صراطك المستقيم ثم لآتينّهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجدُ أكثرهم شاكرين﴾**[3].

﴿قال: فاخرُج منها فإنّك رجيم. وأنّ عليك اللّعنة إلى يوم الدّين﴾.

قال: **﴿رَبِّ فانظرني إلى يوم يبعثون﴾**. قال: **﴿فإنّك من المُنظرين﴾**. **﴿إلى يوم الوقت المعلوم﴾**. قال: **﴿رَبِّ بما أغويتني لأُزيّننّ لهم في الأرض ولأغويّنهم أجمعين إلاّ عبادك منهم المخلصين﴾**[4].

وقال تعالى أيضاً: قال: **﴿فبِعّزتك لأغويّنهم أجمعين﴾**. **﴿إلا عبادك منهم المُخلصين﴾**[5].

قال: **﴿أرأيتك هذا الذي كرّمت عليَّ لئن أخرّتن إلى يوم القيامة لأحتنكنَّ ذُرِّيته إلاّ قليلاً﴾**[6].

ـ نلاحظ من هذه الآيات في حوار الشيطان مع الله، أنه يعلن عن عزمه بالإنحراف بهم عن الخط المستقيم، وذلك بالإحاطة بهم من كل جوانبهم، وبإثارة الأماني المعسولة الكاذبة فيما ينتظرهم من خير إذا انحرفوا عن الله، ويمنحه الله ما يريد من ذلك ولكنه يحذره من الاستغراق في أوهامه وأحلامه فهو

---

(١) نقد الفكر الديني ـ صادق جلال العظم ص ١٠٨ ـ ١١٠.
(٢) فاخرج إنّك من الصاغرين = الأذلاء، فالتواضع رفعة والتكبر ضعة ـ تفسير شبر ـ ص ١٧٠.
(٣) سورة الأعراف الآية ١٣ ـ ١٧.
(٤) سورة الحجر ـ الآية ٣٤ ـ ٤٠.
(٥) سورة ص ـ الآية ٨٢ ـ ٨٣.
(٦) سورة الإسراء ـ الآية ٦٢.

لا يملك السلطة المباشرة على الإضلال فلا يستطيع إضلال من يريد الهدى ويعمل في سبيله ولا يقدر على اغواء من يريد الرشد ويسير على هداه.

إذن ـ غدا الشيطان عاملاً شريراً في العالم الإنساني، ومن خلال الصراع مع إغوائه وإضلاله يمارس الإنسان حرية الاختيار بين الحق والباطل وبين الهدى والضلال.

ولم يترك الإنسان معزولاً أمام قوّة الشر الجديدة التي نشأت بسبب موقف إبليس. وإنما عزز موقف الإنسان في مقابل قوة الشر: عزز بالفطرة المستقيمة التي فطر عليها والتي بها يدرك وبها يميز بين الحق والباطل، وهذه الفطرة قوة داخلية تعين الإنسان الذي يختار طريق الحق على التمييز وعلى إدراك المواقف الصالحة. وعزز بعامل خارجي هو قوى خيّرة سخرها الله تعالى لتعزز موقف الإنسان أمام اغراءات الشر وتثبته، وقد عبر الله عنها في قوله تعالى: **﴿إنَّ الذين قالوا رَبُّنا الله ثم استقاموا تَتَنزَّلُ عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنّة التي كنتم توعدون. نحن أوليائكم في الحياة الدنيا﴾**[1] والله سبحانه وتعالى قبل كل شيء وفوق كل شيء يمنح المعونة والتسديد والهداية والتوفيق لمن يؤثر الإستقامة والصلاح. قال تعالى: **﴿والّذين جاهدوا فينا لنَهدينّهم سُبُلنا وإن الله لمع المُحسنين﴾**[2].

إذن.. أثار القرآن الكريم أمامنا ـ في تصويره لشخصية الشيطان ودوره في إضلال الإنسان ـ الشعور بقوّة الإنسان المؤمن على مواجهة كل قوى الشر، بما يملك من عقل وإيمان، إذا استعمل تلك القوى في عملية الصراع... أمّا الذين يخضعون له، فهم الذين لا يخضعون نتيجة ضعف ذاتي، بل بسبب تجميد القوى التي يملكونها وتعطيلها عن الحركة والامتداد، فيواجهونه بدون سلاح، فيقعون صرعى أحابيله ومخططاته.

وعلى ضوء ذلك كله نعرف كيف يكون خلود الشيطان مع الإنسان ـ الذي يملك كل الأسلحة القوية في الصراع ـ علامةً على الثقة بالإنسان، ليختار مصيره

---

(١) سورة السجدة ـ الآية ٣٠ ـ ٣١.

(٢) سورة العنكبوت ـ الآية ٦٩.

على أساسٍ من إرادته وقدرته، لا على أساس من الجبرية والقهر الذي يجعله كمية مهملة تتقاذفها الأقدار مع الرياح إلى مكان سحيق... إنه الفرق بين الذي ينفعل بالأحداث ويخضع لها وبين الذي يصنع قدره ويُخضع الأحداث لإرادته واختياره.

حقيقة سجود الملائكة وإبليس لآدم (ع)

ـ حاول بعض المتفلسفين[1] الذين يريدون أن يمنحوا دور المأساة لإبليس في قضية إيمانه، فصوره بصورة الموّحد الخالص في توحيده المؤمن العميق في إيمانه، الذي رفض السجود لآدم، انطلاقاً من رغبته في توحيد العبادة لله، فلا يشرك أحداً في السجود لله... حتى إذا كان ذلك بأمر من الله... فهو مستعد لتقبل عذاب الله في سبيل الإخلاص لمحبته له وإيمانه به.. ولكن القضية التي حاولوها لا تخضع لأي أساس ديني أو منطقي... لأمرين:

١ ـ إن فكرة إبليس كموجود حيّ، ليست من الأفكار التي تخضع للتجربة لنملك أمر التصرف في تفاصيلها من خلال تجاربنا الذاتية، بل هي من الغيب الذي عرفنا الله إياه، فيما عرّفه لأنبيائه من أمور الغيب[2]... وفي هذا الإطار لا بد لنا من أن نأخذ ملامحها وتفاصيلها من النصوص الدينية فيما أوحاه الله من الكتب السماوية وقد رأينا في الآيات التي مرت معنا، أن امتناع إبليس من السجود لآدم كان بفعل الكبرياء، لا بفعل التوحيد والمحبة لله، وسنجد ـ فيما يأتي من حديث ـ في شخصيته، صفة الحاقد الذي يدفعه حقده أن يمارس كل ما يستطيع من الأعمال في سبيل تحطيم هذا الكائن في ذاته وفي ذريته كسبيل من

---

(١) انظر كتاب نقد الفكر الديني ـ صادق جلال العظم ـ ص ٨٩.

(٢) الغيب: يعني الخفاء، ما وراء الستار، أي هو الشيء الذي غاب عن الحواس وخرج عن دائرة الإدراك الحسي ـ الإمداد الغيبي في حياة البشر ـ الشهيد مرتضى المطهري ـ.
الغيب: ما غاب عن الحواس، فلا طريق حسي إليه بلا فرق بين القريب والبعيد ومن هنا كان الإخبار عما في الأرحام من الغيب وذلك في مثل قوله تعالى: **﴿إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيب ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير﴾** ـ سورة لقمان، الآية ٣٤.
ـ ملاحم القرآن.. دراسة في أخبار الغيب في القرآن الشيخ إبراهيم الأنصاري.

سُبُل التنفيس عن حقده المكبوت في أعماقه.. ولذا فإنه يطلب الخلود من أجل تحقيق هذه الغاية الشريرة في نفسه.. وإذا كانت الصورة القرآنية هي هذه الصورة، فمن أين أتى لنا بصورة الموحد المحبّ لله الفاني في ذاته الذي يريد أن يحرق نفسه في سبيل الاحتفاظ بصفاء حبّه وإيمانه، هل نستطيع أن نضع ذلك في غير أجواء الخيال الشعرية التي تعيش في آفاق الشعراء الحالمين الذين يحاولون أن يمنحوا جوّ المأساة للمجرمين انطلاقاً من الاستغراق الذاتي في مشاعر المجرم أمام مصيره بعيداً عن دوافع الجريمة ونتائجها الشريرة في تأثيرها على البلاد والعباد، تماماً، كالكثيرين الذين يشجبون قانون القصاص للقاتل على أساس المشاعر العاطفية الساذجة، بعيداً عن التخطيط الواعي للتشريع في حياة الإنسان.

وقد نجد في بعض الأحاديث المأثورة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام بعضاً من الملامح التفصيلية للصورة، ولكن في اتجاه آخر..

فقد ورد عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام حيث قال: «أُمر إبليس بالسجود لآدم فقال: يا رب وعزتك إن أعفيتني من السجود لآدم لأعبدنّك عبادة ما عبدك أحد قط مثلها، قال الله عز وجل: إني أحب أن أُطاع من حيث أُريد»[1].

فقد نجد في هذا الحديث بعضاً من ملامح الفكرة التي نقلناها، ولكنها لا تسير في الإتجاه الذي يحاوله هذا البعض، بل تسير في جوّ المساومة الساذج الذي يريد إبليس أن يرضي كبرياءه بالامتناع عن السجود لآدم وذلك بالطلب إلى الله أن يقبل تعويضاً عنه بعبادة لم يعبده مثلها أحد.. ولكن الجواب يضع القضية في إطارها الصحيح لأن موضوع عبادة الله ليس عمليةً شكلية تتمثل في أوضاع معينة من أعمال الإنسان بل هي الخضوع لله في كل ما يريده بالطريقة التي يريدها بعيداً عن كل نوازع النفس ودوافعها الذاتية. ولعل من أوضح مظاهر ذلك أن يكتب الإنسان رغباته الشخصية أمام إرادة الله.

٢ ـ إن قضية السجود لآدم لا تمثل شكلاً من أشكال عبادة آدم ليتعارض مع الإيمان بالله وتوحيده وعبادته، وكيف يأمر الله عباده بالإشراك به، وهو الذي

(١) الحوار في القرآن ـ السيد محمد حسين فضل الله ص ٤١١ ـ والميزان في تفسير القرآن ـ ج ١ ـ ص ١٣٦.

لا يغفر أن يشرك به، ولكنها تحية وتكرمة لآدم من جهة كما حدث من يعقوب لولده يوسف في قوله تعالى: ﴿. . . **وَرَفَعَ أبويه على العرش وَخَرُّوا لهُ سُجَّداً وقال يا أبت هذا تأويلُ رؤياي من قبل قد جعلها ربّي حقّاً**﴾[١].

وهي من جهة أخرى، طاعة لله في امتثال أمره، وفي تعظيم خلقه كمظهر من مظاهر عظمته. .

وهناك نقطة أساسية في هذا المجال وهي أن اعتبار أيَّ عمل من أعمال الإنسان عبادة لأي شخص، يخضع للنية الدافعة له نحو العمل، فإذا كان السجود خضوعاً للإنسان أو للصنم كان عبادة لهما وأما إذا كان خضوعاً لله كما إذا كان بأمر الله، فهو عبادة لله وإن كان موجهاً لإنسان أو لشيء آخر، لأن النية تكون القصد إلى الفعل متعبداً به باضافته إلى الله تعالى إضافة تذللية فيكفي أن يكون الباعث إليه أمر الله تعالى[٢]. ويكفي الإرادة الإجمالية المنبعثة عن أمر الله تعالى، المؤثرة في وجود الفعل كسائر الأفعال الاختيارية الصادرة عن المختار، المقابل للساهي والغافل[٣] ويعتبر في النية الإخلاص فإذا انضم إلى أمر الله تعالى الرياء بطل والرياء هو الإتيان بالفعل من أجل كسب ثناء الناس واعجابهم وهذا حرام في العبادات[٤].

وبهذا لا يعتبر تقبيل الحجر الأسود، عبادة له لأن ذلك لا يتصل بالعظمة الذاتية له، بل للأمر الإلهي الذي اعتبره رمزاً من رموز القداسة وشعيرة من شعائر العبادة. . . إنه أسلوب من أساليب عبادة الله التي شرّع لنا فيها شعائر العبادة التي لا تملك أمر تغييرها ولكنها مهما اختلفت، فهي موجهة إليه وحده.

وقد أكدت هذا المعنى بعض الأحاديث المأثورة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام قال: إن السجود من الملائكة

---

(١) سورة يوسف ـ الآية ١٠٠.

(٢) منهاج الصالحين ـ قسم العبادات ـ كتاب الصلاة ـ ص ١٩٥ ـ السيد علي الحسيني السيستاني.

(٣) منهاج الصالحين ـ العبادات ـ باب النية ص ١٥٨ ـ السيد أبو القاسم الخوئي (قدس سره).

(٤) الفتاوى الواضحة ـ أحكام العبادات ـ ص ١٣٩ ـ السيد محمد باقر الصدر (قدس سره).

لآدم إنما كان ذلك طاعة لله ومحبة منهم لآدم[1].

وعن أبي بصير قال لأبي عبدالله (جعفر الصادق عليه السلام): سجدت الملائكة ووضعوا جباههم على الأرض قال: نعم تكرمة لله تعالى[2].

وعن الإمام علي عليه السلام: إن سجودهم لم يكن سجود طاعة أنهم عبدوا آدم من دون الله عز وجل ولكن اعترافاً لآدم بالفضيلة ورحمة له[3].

وفي جواب الإمام الصادق عليه السلام للزنديق، عندما سئل أيصلح السجود لغير الله؟ قال عليه السلام: لا، قال: فكيف أمر الله الملائكة بالسجود لآدم؟ فقال عليه السلام: إن من سجد بأمر الله فكان سجوده إذ كان عند أمر الله»[4].

وفي حديث آخر عنه عليه السلام: سجدت الملائكة لآدم ووضعوا جباههم على الأرض تكرمة من الله»[5].

وعن الإمام الرضا عليه السلام: «إن السجود من الملائكة لآدم لم يكن لآدم وإنما كان لله ومحبة منهم لآدم»[6].

ـ وهناك أمور لا بد من البحث فيها وهي:

١ ـ إن إبليس أُمر بالسجود فلمن السجود؟.

٢ ـ أن معنى السجود ما هو؟.

٣ ـ وما هو مغزى السجود؟.

---

(١) تحف العقول عن آل الرسول (ص) ـ الحرّاني.

(٢) الحوار في القرآن ـ ص ٤١٢ ـ السيد محمد حسين فضل الله.

(٣) الاحتجاج ـ ص ٢١١ ـ أحمد بن علي الطبرسي.

(٤) النور المبين في قصص الأنبياء والمرسلين ـ ص ٣٩ ـ السيد نعمة الله الجزائري (قدس سره).

(٥) نفس المصدر.

(٦) نفس المصدر.

١ ـ لمن السجود؟

إن الآيات التي ورد فيها أمر الملائكة وإبليس بالسجود كثيرة منها: قال تعالى: **﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين﴾**[(١)].

٢ ـ **﴿ولقد خلقناكم ثم صوّرناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلاّ إبليس لم يكن من السَّاجدين﴾**[(٢)].

٣ ـ **﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلاّ إبليس قال ءَأسجد لمن خلقت طيناً﴾**[(٣)].

٤ ـ **﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلاّ إبليس كان من الجنّ فَفَسَق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريّته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلاً﴾**[(٤)].

٥ ـ **﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلاّ إبليس أبى﴾**[(٥)].

ورد فيها الأمر بالسجود لآدم، ففي هذه الآيات يرد هذا النص: **﴿قُلنا للملائكة اسجدوا لآدم..﴾**. ولكن الأمر بالسجود ورد في سورة «ص» بالصورة التالية: **﴿... إنّي خالقٌ بشراً من طينٍ، فإذا سوّيتهُ ونفخت فيه من رُوحي فقعوا له ساجدين﴾**[(٦)].

وفي موضع آخر ورد قوله تعالى: **﴿... إنّي خالقٌ بشراً من صلصالٍ من حمإٍ مسنون فإذا سوّيتهُ ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين﴾**[(٧)].

---

(١) سورة البقرة ـ الآية ٣٤.

(٢) سورة الأعراف ـ الآية ١١.

(٣) سورة الإسراء ـ الآية ١١٦.

(٤) سورة الكهف ـ الآية ٥٠.

(٥) سورة طه ـ الآية ١٦.

والظاهر أن المراد بالبشر في الآيتين الأخيرتين هو آدم. والتعبير عنه بالبشر في الآيتين ربما يكون المراد منه الإشارة إلى معنى سنبينه فيما بعد.

وهنا يواجهنا سؤال: هل السجود كان لآدم بما هو شخص أو أن السجود للنوع الإنساني، وآدم رمز للنوع؟.

يبدو أن الهدف من السجود كان تعظيم النوع الإنساني كله، ولإظهار فضل الخليقة الإنسانية عن الخلائق الأخرى كلها، ولم يكن آدم إلا رمزاً ومثالاً للنوع الإنساني.

ويدلنا على ذلك قوله تعالى: ﴿**ولقد خلقناكم، ثم صوّرناكم، ثم قُلنا للملائكة اسجدوا لآدم...**﴾[1]. فإن الخطاب: ﴿**ولقد خقلناكم ثم صورناكم...**﴾ لجميع النوع الإنساني، ومن بعد هذا الخطاب جاء قوله تعالى: ﴿**... ثم قلنا للملائكة اسجدوا...**﴾ فالسجود لآدم بما هو ممثل للنوع الذي خلقه الله وصوره.

وهذا المعنى ـ وهو أن السجود ليس لآدم باعتباره شخصاً، وإنما السجود للنوع الإنساني وآدم رمز ممثل لهذا النوع ـ هذا المعنى يظهر بصورة جلية في الآيات المتعلقة بالموضوع في سورة البقرة (٣٠ ـ ٣٤) ففي الآيات بيّن الله أنه سيجعل في الأرض خليفة، ومن المعلوم أن خلافة الله في الأرض ليست مختصة بآدم، وإنما هي ثابتة لجميع أفراد النوع الإنساني.

وبعد أن بين الله في تلك الآيات هذه الحقيقة ـ الخلافة في الأرض ـ أمر الملائكة بالسجود لآدم، فالسجود لآدم باعتبار الخلافة، ولما لم يكن هذا الاعتبار مختصاً به، بل هو شامل لجميع ذريته، فالسجود إذن لجميع ذرية آدم أي النوع الإنساني كله. لأن مقياس عظمة هذا النوع وكرامته وهو خلافة الله في الأرض موجود في جميع الأفراد.

وكما أنّه لم يسجد هو لعنه الله لم تسجد ذريته أيضاً ففي خطبة للإمام

= الرطب ـ مجمع البيان مجلد ٦ ص ٥١٦.

(١) سورة الأعراف الآية ١١.

علي عليه السلام في صفة آدم عليه السلام: «واستاوى الله سبحانه الملائكة وديعته لديهم وعهد وصيته إليهم في الإذعان بالسجود له والخشوع لتكرمته فقال سبحانه: اسجدوا لآدم فسجدوا إلاّ إبليس وقبيله أعثرتهم الحمية وغلبت عليهم الشقوة»[1]. ويستفاد هذا المعنى من قوله سبحانه: **﴿إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم﴾** الآية.

٢ ـ معنى السجود؟

ـ العبادة هي أن يجعل الإنسان نفسه في مقام العبودية لله تعالى، وحقيقة العبودية هي التسليم المطلق والاستسلام الكامل لإرادته تعالى. فالعابد هو الذي يجعل نفسه في مقام الطاعة المطلقة والانقياد التام لأوامر الله ونواهيه.

ويعبر عن العبادة بأشكال شتى من جملتها الحركات الجسدية، ومن جملة الحركات الجسدية السجود.

فالسجود في بعض الحالات يكون جسدياً عن العبادة، كالسجود في الصلاة الإسلامية ـ وهو في هذه الحالة وضع الجبهة على الأرض تذللاً وتخشعاً لله تعالى.

ويعبر الإمام الخميني ـ قدس سره ـ عن معنى السجود بقوله: «وقد جعل الله معنى السجود سبب التقرب إليه بالقلب والسّر والروح فمن قرب منه بعد من غيره ألا ترى في الظاهر أنه لا يستوي حال السجود إلاّ بالتواري عن جميع الأشياء والاحتجاب عن كل ما تراه العيون كذلك أمر الباطن فمن كان قلبه متعلقاً في صلاته بشيء دون الله فهو قريب من ذلك الشيء بعيد عن حقيقة ما أراد الله منه في صلاته. قال الله عزّ وجل: **﴿ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه﴾** وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال الله تعالى: «لا أطلع على قلب عبد فأعلم فيه حقّ الإخلاص لطاعتي لوجهي وابتغاء مرضاتي إلاّ توليت تقويمه وسياسته، ومن اشتغل بغيري فهو من المستهزئين بنفسه ومكتوب اسمه في ديوان الخاسرين»[2].

---

(١) الرسائل التوحيديّة ـ رسائل الوسائط ص ١٤٩ ـ السيد محمد حسين الطباطبائي.

(٢) سر الصلاة ـ الإمام الخميني (قدس سره) ـ ص ٢١٩.

ويمكن أن يكون السجود تعبيراً عن الاحترام والتعظيم فقط، وحينئذٍ يتجرد عن معنى العبادة، ومثال ذلك ما ورد معنا في قصة النبي يوسف عليه السلام: ﴿... ورفع أبويه على العرش وخرّوا له سُجّداً﴾[1]. فإن يعقوب وأبناءه لم يسجدوا ليوسف سجود عبادة، كيف ويعقوب نبي؟، بل سجدوا شكراً لله وتعظيماً وتكريماً ليوسف على منزلته التي بلغها في مصر.

ويمكن أن يكون السجود تعبيراً عن السخرية والاستهزاء بالمسجود له. وإذن فالسجود بما هو حركة جسدية معينة لا يلازم معنى العبادة دائماً، بل قد يفارقه كما رأينا.

فيمكن أن تكون عبادة ويمكن أن لا تكون عبادة، وذلك بحسب المعنى الذي تتضمنه وترمز إليه.

إلا أنه ينبغي التنبيه على أن السجود في الذوق الإسلامي المستفاد من الكتاب والسنة لا يكون إلا لله تعالى بنحو العبادة، ولا يجوز السجود لغير الله تعالى: بقصد التعظيم والتكريم إلا بأمر إلهي خاص.

وهنا نصل إلى بحث مشكلة سجود الملائكة لآدم.

فسجود الملائكة لآدم باعتباره ممثلاً للنوع الإنساني ثم وفقاً لأمر إلهي خاص، وهو بهذا الاعتبار ينطوي على جهتين:

الأولى: أنه عبادة الله تعالى من حيث كونه طاعة لأمره بالسجود.

والثانية: إنه تعظيم للنوع الإنساني ـ لا عبادة ـ وإقرار بسيادته وأفضليته من حيث اختيار الله له للخلافة في الأرض.

وقال قوم: إن سجود الملائكة لآدم كان كما يسجد إلى جهة الكعبة[2] وهو قول الجبائي ـ والصحيح الجهة الثانية، لأن التعظيم الذي هو في أعلى المراتب حاصل لله لا لآدم بإسجاد الملائكة له.

---

(1) سورة يوسف ـ الآية ١٠٠.

(2) إبليس في القرآن والحديث ـ ص ٩١ ـ محمد باقر حجتي.

ولو لم يكن الأمر على ما قلناه من أن في ذلك تفضيلاً لآدم عليهم، لما كان لامتناع إبليس من السجود له وجه، ولما كان لقوله **﴿أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته عن طين﴾**[١] وجه.

فلما احتج إبليس بأنه أفضل من آدم عليه السلام ـ وإن أخطأ في الاحتجاج ـ علمنا أن موضوع الأمر بالسجود لآدم على جهة التفضيل، وإلا كان يقول لإبليس: إني ما فضلته على من أمرته بالسجود لآدم وإنما السجود لي، وهو بمنزلة القبلة، فلا ينبغي أن تأنف من ذلك.

وقد بينا أن الظاهر ـ في الروايات عند أصحابنا ـ أن إبليس كان من جملة الملائكة، وهو المشهور ـ في قول ابن عباس ـ وذكره البلخي ـ فعلى هذا يكون استثناء إبليس من جملة الملائكة استثناء متصلاً.

ومن قال: إن إبليس لم يكن من جملة الملائكة قال: هو استثناء منقطع، وإنما جاز ذلك، لأنه كان مأموراً أيضاً بالسجود له، فاستثني على المعنى دون اللفظ، كما يقال: خرج أصحاب الأمير إلا الأمير، وكما قال عنتر بن دجاجة:

من كان أشرك في تفرق مالح ... فلبونه جربت معاً وأغدت
إلا كناشرة الذي ضيعتم ... كالغصن في غلوائه المتنبت[٢]

والمعنى لكن هذا كناشرة. وتقول: قام الأشراف للرّئيس، إلا العامي الذي لا يلتفت إليه.

قال الرماني: وإذا أمر الملائكة بالسجود اقتضى أن من دونهم داخل معهم، كما أنه أمر الكبراء بالقيام للأمير اقتضى أن الصغار القدر، قد دخلوا معهم[٣].

---

(١) سورة الأعراف ـ الآية ١٢.
(٢) إبليس في القرآن والحديث ـ ص ٩٢ ـ محمد باقر حجتي.
(٣) نفس المصدر.

٣ ـ مغزى السجود:

ـ إن الغاية من أمر الملائكة وإبليس بالسجود للحقيقة الإنسانية ممثلة في آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ هي إظهار أن جميع القوى الكونية مسخرة لأجل الإنسان وتقدمه وذلك لأن الملائكة أسباب إلهية وأعوان للإنسان على تقدمه الروحي والمادي وسعادته الأخروية والدنيوية. وذلك لأجل تأكيد معنى خلافته في الأرض ومن هنا فرفض إبليس السجود ـ وهذه هي الغاية من السجود ـ تعبير منه عن رفضه الاعتراف بالمنزلة التي أعطاها الله للإنسان، ورفضه لأن يجعل نفسه حيث أراده الله أن يكون: عاملاً في سبيل تقدم الإنسان وسعادته الروحية والمادية.

وقد أدرك إبليس المنزلة العالية التي جعلها الله للإنسان، وأدرك أن الأمر بالسجود نتيجة لذلك ، فرفض الاعتراف بهذه الحقيقة، وبدلاً من أن يجعل نفسه عاملاً في سبيل تقدم الإنسان جعل نفسه ـ على الضد من ذلك ـ عاملاً في سبيل تأخر الإنسان وشتاته قال تعالى على لسان إبليس يوضح موقفه: ﴿**قال: أرأيتك هذا الذي كرّمت عليّ لئن أخرّتن إلى يوم القيامة لأحتنكنّ ذرّيته إلاّ قليلاً**﴾[1].

إذن يبدو لنا من خلال ما تقدم غرور وتكبر وإبليس اللذين لا مبرر لهما، إنه أمر بالسجود لآدم من قبل السلطة التي لها حق الأمر وهي سلطة الله عز وجل، فهذا إذن واقع، وهو واقع حق، فإن آدم جعله الله خليفته في الأرض وسخر جميع القوى الكونية وفيها الملائكة وإبليس لخدمته ومعونته على بلوغ الكمال في تحقيق هذه الغاية، ولكن إبليس غروراً منه، رفض الانصياع إلى هذا الواقع، ولم يستجب له، فكان تكبره عجرفة سخيفة، بينما كان اعتراف آدم بواقعه فضيلة خلصته من الذنب والمعصية ـ كما ستعرف في الفصول القادمة ـ.

آراء حول السجود لآدم:

ـ قد بيّنا في الحديث السابق معنى السجود والمغزى منه، ولكن قد أجاب العلماء عن سجود الملائكة لآدم بوجوه:

---

(١) سورة الإسراء الآية ـ ٦٢.

١ ـ إن سجود الملائكة هنا بمعنى الخضوع، وليس بمعنى السجود المعهود، ويرده: أن ذلك خلاف الظاهر من اللفظ، فلا يصار إليه من غير قرينة، وأن الروايات قد دلت على أن ابن آدم إذا سجد لربه ضجر إبليس وبكى، وهي دالة على أن سجود الملائكة الذي أمرهم الله به، واستكبر عنه إبليس كان بهذا المعنى المعهود، ولذلك يضجر إبليس ويبكي من إطاعة ابن آدم للأمر وعصيانه هو من قبل.

٢ ـ إن سجود الملائكة كان لله، وإنما كان آدم قبلة لهم، كما يقال: صلى للقبلة أي إليها. وقد أمرهم الله بالتوجه إلى آدم في سجودهم تكريماً له وتعظيماً لشأنه.

ويردُّه: أنه تأويل ينافيه ظاهر الآيات والروايات، بل ينافيه صريح الآية المباركة. فإن إبليس إنما أبى عن السجود بادعاء أنه أشرف من آدم، فلو كان السجود لله، وكان آدم قبلة له لما كان لقوله: **﴿ءَأسجُدُ لِمَنْ خلقت طيناً﴾**(١) معنىً لجواز أن يكون الساجد أشرف مما يستقبله(٢).

٣ ـ إن السجود لآدم حيث كان بأمر من الله تعالى فهو في الحقيقة خضوع لله وسجود له.

وبيان ذلك: أن السجود هو الغاية القصوى للتذلل والخضوع، ولذلك قد خصَّه الله بنفسه، ولم يرخص عباده أن يسجدوا لغيره، وإن لم يكن السجود بعنوان العبودية من الساجد، والربوبية للمسجود له. غير أن السجود لغير الله إذا كان بأمر من الله كان في الحقيقة عبادة له وتقرباً إليه، لأنه امتثال لأمره، وانقياد لحكمه، وإن كان في الصورة تذللاً للمخلوق. ومن أجل ذلك يصح عقاب المتمرد عن هذا الأمر، ولا يسمع اعتذاره بأنه لا يتذلل للمخلوق، ولا يخضع لغير الآمر(٣).

---

(١) سورة الإسراء ـ الآية ٦١.

(٢) البيان في تفسير القرآن ـ الإمام الخوئي (قدس سره) ـ ص ٤٧٤.

(٣) البيان في تفسير القرآن ـ الإمام الخوئي (قدس سره) ـ ص ٤٧٥.

وهذا هو الوجه الصحيح: فإن العبد يجب أن لا يرى لنفسه استقلالاً في أموره بل يطيع مولاه من حيث يهوى ويشتهي. فإذا أمره بالخضوع لأحد وجب عليه أن يمتثله، وكان خضوعه حينئذٍ خضوعاً لمولاه الذي أمره به.

لقد جاء عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ حيث قال: «قال إبليس: رب اعفني من السجود لآدم، وأنا أعبدك عبادة لا يعبدكها ملك مقرب، ولا نبي مرسل، فقال جل جلاله: لا حاجة لي في عبادتك، إنما عبادتي من حيث أريد، لا من حيث تريد»[(١)].

الجزاء العادل:

ـ ونال إبليس جزاءه فوراً، فطرد من مصاف الملائكة وغضب الله عليه وطرده وأبعده عن السماوات وقال تعالى: ﴿**فأخرج منها فإنك رجيم، وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين**﴾[(٢)].

وتهاجمت عليه أفواج الملائكة لقتله وهلاكه بعد اندهاشهم من جرأته واستكباره واستعظامهم لمخالفته الأمر وعصيانه، وهرب منهم إلى أقطار الأفلاك العلوية والسفلية وغيرها، ولم يجد ملجأ لنفسه الخبيثة خالياً منهم ولا مخفراً يخلصه وينجيه من جموعهم، حتى توسل به تعالى وسأله أجرة عباداته له ستة آلاف سنة في الأرض مع قبائل الجن وستة آلاف سنة ـ على بعض الأحاديث ـ في السماء مع قبائل الملائكة، وقال: يا رب أنت العدل الذي لا تجور فهل بطل ثواب عملي؟ فقال له تعالى: لا، ولكن سلني من أمر الدنيا ما شئت أعطك ثواباً لعملك؛ فسأله أموراً ثلاثة:

١ ـ البقاء إلى يوم الدين ﴿**قال رب فانظرني إلى يوم يبعثون**﴾ قال: ﴿**فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم**﴾ وهو يوم فناء العالم بالنفخة الأولى في الصور أو يوم ظهور الحجة الغائب (عجل الله فرجه

---

(١) تفسير الصافي ـ الكاشاني ـ ص ٢٦.
(٢) سورة الحجر ـ الآية ٣٥ ـ ٣٩.

الشريف)[1] كما سنعرف فيما بعد.

٢ ـ قال: يا رب سلطني على ولد آدم أجري فيهم مجرى الدم في العروق وأراهم ولا يرونني **﴿إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم﴾** وأتصور لهم كما شئت.

٣ ـ أن لا يولد لأولاد آدم ولد إلا ويولد له ولدين من جنبه يسلطهما عليه ويجعل صدور الانس أوطاناً لهم، ولما أجابه الله تعالى إلى ذلك فرح اللعين وقال: **﴿فبعزتك لأغوينهم أجمعين، إلا عبادك منهم المخلصين، ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولأزينن لهم في الأرض ولا تجد أكثرهم شاكرين﴾**[2].

ـ الانتقام الرهيب:

ـ ولما رأى إبليس نفسه مرجوماً، مدحوراً تطارده لعنة الله سبحانه وسخطه إلى الأبد بان عليه الصغار والذل، ولكن بقي قلبه يغلي كالمرجل على آدم ـ المخلوق الجديد ـ لأنه كان سبب مصيبته وخسرانه المبين.

وأحس إبليس بأن آماله قد تحطمت وأنه قد خسر كل ما بناه من أمجاد ومقام لا يدانيه مقام، فأصبح كالنمر الجريح الذي ينتظر فرصة الانتقام لكرامته ممن أهانه وحطم كبرياءه ولكن كيف؟.

لا يمكنه أن يبرد غليله، ويشفي غيظه حتى يوصل آدم إلى العاقبة الوخيمة التي وصل إليها هو، وهي الطرد من رحمة الله تعالى.

حيث قال تعالى: **﴿قال اهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج فإنك من الصاغرين، قال انظرني إلى يوم يبعثون. قال إنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم﴾**[3].

---

(١) تواريخ الأنبياء ـ السيد حسن اللواساني ـ ص ١١.

(٢) سورة الحجرات الآية ـ ٣٦.

(٣) سورة الأعراف ـ الآية ـ ١٣.

لم يضع إبليس اللحظات الذهبية الأخيرة المتاحة له قبل مغادرة السماء وبلا رجعة، فطلب من الله سبحانه المهلة في الأجل، وتمديد الفرصة له في الحياة. (فأعطاه النظرة استحقاقاً للسخطة، واستتماماً للبلية، وانجازاً للعدة)[١] فهذا النظرة لم تكن لتُعطى لإبليس لكرامة به على الله، ولكن أُعطيت له زيادة في ابتلائه بالذنوب والآثام طيلة عمره المديد، وتسخيره لابتلاء بني آدم وامتحان مقاومتهم لاضلاله وأخيراً استجابة لدعائه وطلبه من الله سبحانه الذي لا يضيع عمل عامل وهو الجواد الكريم.

ففي الدعاء: (إلهي أنت الذي تفيض سيبك على من لا يسئلك وعلى الجاحدين بربوبيتك) (عادتك الإحسان إلى المسيئين وسبيلك الإبقاء على المعتدين)[٢].

وقد سئل الإمام الصادق عليه السلام عن قوله تعالى لإبليس ﴿**فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم**﴾ قال: لشيء كان تقدم شكره عليه. قلت: وما هو قال: (ركعتان ركعهما في السماء في ألفي سنة...)[٣].

إذن لما كان ظاهر إبليس الإحسان في البداية وأخيراً أساء، فلا يعني ذلك أن لا ينال جزاء إحسانه، بل ناله عاجلاً في الدنيا حين طلب المهلة (وليس له في الآخرة من خلاف).

ولكي نفهم أي يوم هو يوم الوقت المعلوم الذي قضى الله سبحانه أن ينظر إبليس إليه. فهل هو يوم البعث والحساب كما طلب إبليس نفسه، أم أنه يوم آخر؟.

يجيب على ذلك الإمام الصادق عليه السلام لما سئل عن إبليس وقوله: ﴿**رب انظرني إلى يوم يبعثون**﴾ قال ﴿**إنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم**﴾.

---

(١) نهج البلاغة ـ ص ٤٢.

(٢) الصحيفة السجادية ـ دعاء رقم ٤٦ ـ ص ١٨٢ ـ المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية.

قال: يا وهب أتحسب أنه يوم يبعث الله الناس؟ لا. ولكن الله عز وجل انظره إلى يوم يبعث الله قائمنا فيأخذ بناصيته فيضرب عنقه، فذلك اليوم هو الوقت المعلوم[1].

في ذلك اليوم الذي يملأ فيه قائم آل محمد ﷺ المهدي المنتظر عجل الله فرجه الشريف الأرض قسطاً وعدلاً بعد أن ملئت ظلماً وجوراً على يد إبليس وذريته وأتباعه من الجن والإنس.

حينذاك لا يجد إبليس مجالاً لمواصلة عمله التخريبي، فينتهي دوره في الحياة الدنيا ويحين أوان جزائه العادل على يد المهدي عليه السلام. ويبقى الجزاء المفضل في الآخرة.

ـ إبليس مع آدم في الجنة:

ـ قال تعالى: ﴿**وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين، فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه**﴾[2].

وكان آدم يتابع ما يحدث حوله، ويحس بالحب، والرهبة، والدهشة... كان حبّه لله الذي خلقه وكرّمه وجعل الملائكة يسجدون له... وكانت رهبته من غضب الخالق حين طرد إبليس من رحمته... أما دهشته فقد كانت من هذا المخلوق الذي كرهه بدون أن يعرفه. ويتصوّر أنه أفضل منه بغير أن تتاح لأحدهما فرصة لاختبار الآخر وإثبات تفوّقه وأفضليّته، وتزداد دهشته ويعجب لحجّة إبليس: كيف يتصوّر أن النار أفضل من الطين؟ ومن أين جاءه هذا العلم؟ المفروض أن يكون العلم عند الله، وقد ثبت أن الملائكة لا يعلمون إلاّ ما علّمهم الله سبحانه وتعالى، والله خلق الطين والنار، وهو الذي يعرف أيّهما أفضل من الآخر..

---

(١) بحار الأنوار ـ المجلسي ـ ج ٦٣ ـ ص ٢٢١.
(٢) سورة البقرة ـ الآية ـ ٣٥.

وأدرك آدم وهو يستمع إلى حوار الله مع إبليس، أن هذا المخلوق يختلف عنه، وهو يتصف بالجحود... وعرف أنه سوف يكون له عدوّاً أبدياً، ولكن حلم الله أوسع، وعنايته أجمل، فهو لم ينزل البلاء الأعظم بإبليس بل ترك له مجالاً للتصرّف.. وفهم آدم أن للمخلوق حرية الاختيار، وهي نسيج أصيل في الوجود الذي أراده الله... وأن هذه الحرية تمنح للمخلوقين المكلفين، وأن عليها يترتب ثواب وعقاب يتأتّى من الحكم العادل.

ورأى آدم أن له السيادة على غيره، وأسباب هذه السيادة علمه ومعرفته... علم بخالقه ومعرفته، وعلم بالخلق ومعرفتهم، فحمد الله على ما حباه من هذا النور الإلهيّ، وشكره على ما أسبغه عليه من تلك النعمة الفياضة ونام قرير العين هادىء البال...

وذات يوم استيقظ ليجد عند رأسه مخلوقاً من نوعٍ آخر، كان يحدِّق فيه بإمارات المحبّة والحنان والتعاطف.

وسأله آدم: من أنت؟ ومن أين جئت أيها المخلوق؟ فقال له: جئت من نفسك خلقني الله منك وأنت نائم، أفلا تريد أن تستعيدني إليك وأنت مستيقظ؟... وآنس آدم عليه السلام اطمئناناً في شعوره.

فأجاب: (وكيف لا آنس لمن هو جزء مني، وقد أبعد وجوده الوحدة عني، حمداً لله على مكرماته أن خلق لي سبحانه وتعالى من أسكن إليه. وعرف آدم أن هذا المخلوق هو حواء... لأنها خلقت منه وهو إنسان حيّ...)[١].

ثم أمر عز وجل بازدواجه بحواء عليهما السلام؛ ولما خطبها منه تعالى ـ وهو جل وعلا زوجها إياه[٢] ـ وأمر تعالى ملائكته أن يحملوا عرش العريس والعروس إلى الجنة.

ما هي هذه الجنة؟ وهل هي جنة الخلد أم غيرها؟.

الظاهر من بعض الأحاديث أنها غير جنة الخلد في الآخرة التي من دخلها

(١) قصص الأنبياء في القرآن الكريم ـ سميح عاطف الزّين ـ ص ٧٩.
(٢) تاريخ النبي أحمد ـ السيد حسن اللواساني.

لا يخرج منها أبداً وليس لها شمس ولا قمر ولا ليل ولا نهار بل هي مضيئة أبداً بدونهما، وأن أهلها «لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً».

وأما الجنة التي دخلها آدم وحواء، فلها ليل ونهار على سبيل جنة البرزخ بين الدنيا والآخرة... وكما أجاب الإمام الصادق عليه السلام عن هذه التساؤلات حينما سئل عن جنة آدم هل كانت من جنان الدنيا أم من جنان الآخرة؟.

فقال عليه السلام: كانت من جنان الدنيا تطلع فيها الشمس والقمر. ولو كانت من جنان الآخرة ما خرج منها[1].

ومهما كانت هذه الجنة فقد تفوق آدم عليه السلام على إبليس في مقامين، مقام السجود له ومقام إسكانه الجنة وبكل حفاوة وتكريم، وهل بعد هاتين المنزلتين منزلة؟ ولذا فكر إبليس فيما يجب عليه أن يفعل الآن حيال ذلك التفوق، فلا بد من حل سريع وحاسم يقضي به على هذا النجاح الهائل لآدم. فإبليس الحسود لا يستطيع أن يصبر وهو يرى غريمه يتمتع بكل هذه الرتب والمقامات العالية وإذا بقي آدم في الجنة فهذا يعني بالنسبة لإبليس الخسارة الفادحة التي ما بعدها خسارة في الدنيا والآخرة.

وأخيراً بقي قرار إبليس على التخطيط لاخراج آدم من جنته التي استقر فيها مع زوجته حواء فيفقده الأمان والطمأنينة التي كان يتمتع فيها حيث الطبيعة مسخرة لخدمته.

قال تعالى: **﴿إن لك ألاّ تجوع فيها ولا تعرى، وإنك لا تظمؤ فيها ولا تضحى﴾**[2].

«لقد أبيحت لهما ثمار الجنة إلاّ شجرة واحدة، ربما كانت ترمز للمحظور الذي لا بد منه في حياة الأرض. فبغير محظور لا تنبت الإرادة ولا يتميز المريد من الحيوان المسوق ولا يمتحن صبر الإنسان على الوفاء بالعهد والتقيد بالشرط فالإرادة هي مفرق الطريق. والذين يستمتعون بلا إرادة هم من عالم البهائم ولو

---

(١) قصص الأنبياء ـ الجزائري ـ ص ٤١ ـ عن ـ علل الشرائع.
(٢) سورة طه ـ الآية ١١٣.

كانوا في شكل الآدميين»[1].

ولكن كيف يتسنى له ذلك، وقد سبق أن أوصى الله سبحانه خليفته آدم عليه السلام ألا يطيع الشيطان وحذره من وساوسه ونبهه على نقاط الضعف التي يمكن أن ينفذ الشيطان منها إليه وأخيراً أنذره من العاقبة الوخيمة المترتبة على اتباع الشيطان وهي الشقاء وخسران الحياة السعيدة التي يعيشها في ظلال الجنة.

فقال تعالى: ﴿**فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجكما من الجنة فتشقى**﴾[2].

وهنا قد حث في ذهن الشيطان فكرة التسلل إلى آدم من حيث الطبيعة التي وكل بها وهي النفس الامارة أليس زمامها بيده؟ أليست قوة يمكنه تسخيرها؟ إذن فليجربها على آدم وزوجه، فإذا نجحت، فسيكون السلاح الفتاك الذي سيسلطه الشيطان على ذرية آدم ويفتك بهم كما فتك بوالديهم من قبل. وتشاء إرادة الله سبحانه وكأسلوب في تربية آدم عليه السلام وبالتالي ذريته من بعده لمعرفة خطر إبليس عملياً كي يحذره في عالم الامتحان، وفي لحظة غفلة من آدم وحواء، استطاع إبليس أن ينفذ خطته﴿**فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه**﴾[3].

ولقد طبق الخطة تطبيقاً دقيقاً واستخدم سلاحاً لم يعهده آدم من قبل فلقد وسوس لهما ﴿**ليبدي ما وري عنهما من سوآتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلاّ أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين. وقاسمهما أني لكما من الناصحين**﴾[4].

فإذا بإبليس يهدم عزهما، ويغير ما كانا فيه من نعيم وسعادة إلى بؤس وشقاء فأخرجها من الجنة وسجل إبليس انتصاره الأول على آدم عليه السلام ﴿**فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى، فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى**

---

(١) في ظلال القرآن ـ سيد قطب ـ ص ٥١ ـ الجزء الأول.
(٢) سورة طه ـ الآية ١١٣.
(٣) سورة البقرة ـ الآية ٣٦.
(٤) سورة الأعراف ـ الآية ٢٠ ـ ٢١.

آدم ربه فغوى﴾[1].

كانت المفاجأة صاعقة، والصدمة شديدة على آدم وحواء وهكذا تكون امتحانات الله سبحانه وبلاؤه. حتى يمكن للإنسان أن يستخدم القدرات والملكات التي أوجدها الله فيه ويقف من وجوده موقف الخيار الذي وضعه الله سبحانه أمامه ألا وهو ابتلاؤه بالشر والخير فتنةً كما في قوله تعالى **﴿ونبلوكم بالشرِّ والخير فتنةً وإلينا ترجعون﴾**[2].

فإما أن يتجه نحو الخير فيكون كما أراده الله، وإمّا أن يختار الشّر، فيكون عاصياً له وناكراً لجميل خلقه وصنعه. وظن إبليس أنه انتصر بدهائه وخبثه ولؤمه، وأنه هزم آدم لطيب قلبه وصفاء نفسه، ونقاوة ضميره ولكن لا بدَّ لآدم أن يغفل ذاته ولو للحظات، وأن يأكل الثمرة المحرَّمة، وإلاّ لما كانت قصة الصراع ما بين الخير والشر، ولما كان للإنسان أن يعظم ويكبر ويتعالى بالإيمان وبأعمال الخيرات التي حباه الله بها، وتسييرها نحو الأهداف والمثل التي ترضي الله وعباده، ولما كان للإنسان أن ينحدر وينحطّ ويسف بالكفر، وبتوظيف الميزات الإنسانية فيه نحو الأنانية والذاتية والنفعية التي تغضب الله وعباده...

وهكذا حال من يغفل ولو للحظات عن ذكر الله تعالى ويستسلم للشيطان. لأن النتيجة قاسية وهي البقاء في ذل الندامة دهراً.

ولكن آدم وحواء أحسا بالألم والخجل، واعتراهما الحزن على الفور... فلقد تغيّر الجو حولهما وسكتت أنشودة الهناء التي كانت تنبعث من داخلهما، وبدت لهما سوءاتهما، فأسرعا إلى ورق الشجر يغطيان به جسديهما العاريين ولكن آدم عليه السلام لم يستمر في غفلته والتي لم تكن سوى خلافاً منه للأولى به كخليفة لله سبحانه مؤيداً منه بالعصمة من الذنوب كبقية الأنبياء عليهم السلام فبادر آدم عليه السلام مسارعاً إلى التوبة فكانت التوبة. من الله سبحانه مصحوبة بعتابه له على هذه المخالفة.

---

(١) سورة طه ـ الآية ١٢٠ ـ ١٢١.

(٢) سورة الأنبياء ـ الآية ٣٥.

فعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: لما أخرج آدم من الجنة نزل عليه جبرائيل عليه السلام فقال: يا آدم أليس الله خلقك بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته، وزوجك أمته حواء، وأسكنك الجنة، وأباحها لك، ونهاك مشافهة أن لا تأكل من هذه الشجرة، فأكلت منها، وعصيت الله؟ فقال آدم عليه السلام: يا جبرائيل إن إبليس حلف لي بالله أنه لي ناصح فما ظننت أن أحداً من خلق الله يحلف بالله كاذباً[1].

ولعلم الله سبحانه بصدق آدم وبنيته الخالصة في التوبة تاب عليه، بعد أن اعترفا لمولاهما بذنبهما ويسألانه العفو فقالا: ﴿**ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين**﴾[2].

لقد كانت لهما فرصة... فرصة الاستغفار والرجوع في وقت لم تقم به الساعة ولم يكونا بعد في سكرات الموت... ولم يمض وقت طويل حتى أجابهما الله على سؤالهما وتاب عليهما ﴿**فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم**﴾[3] وكانت هذه التجربة القاسية الأولى لاعداد آدم للحياة الجديدة على الأرض.

ـ إبليس مع آدم في الأرض:

ـ قال الله تعالى: ﴿**قال اهبطا منها جميعاً بعضكم لبعضٍ عدو**﴾[4].

بدأت قصة الحياة البشرية على الأرض، بالخطوة الأولى التي خطاها آدم وحواء لما هبطا من الجنة وليس غريباً أن يشعر للوهلة الأولى بالوحشة والغربة والحزن العميق على ما فاتهما من نعيم وسرور وأمان ومقام رفيع في كنف العناية الإلهية وصحبة الملائكة الأبرار في الجنة، وها هما الآن يجدان نفسيهما وحيدين على ظهر كوكب موحش ليس لهما فيه مؤنس ولا رفيق. ووجدا عدوهما المبين

---

(١) قصص الأنبياء ـ السيد نعمة الله الجزائري ـ ص ٤٦.
(٢) سورة الأعراف ـ الآية ٢٣.
(٣) سورة البقرة ـ الآية ٣٦.
(٤) سورة طه ـ الآية ١٢٣.

إبليس الذي يتربص بهما الدوائر، ويترصد لهما ولذريتهما بالشر ورغبة الانتقام، وها هو يراقبهما بعينيه المقتدتين ناراً ومن طرف خفي ولا يخفى علامات السخرية والشماتة منهما.

قال تعالى: **﴿قال اهبطوا منها جميعاً فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾**[1].

وأصبح الصراع حقيقة والمواجهة مباشرة بين إبليس من جهة، وآدم وحواء المخلوقين الضعيفين من جهة أخرى.

وهناك شخص آدم عليه السلام خطورة الموقف وقارن بين قوته وإمكاناته ومثيلاتها عند الشيطان فلاح له التفاوت الهائل، عندها توجه إلى ربه ملتجئاً، وطلب منه العون والمساعدة على عدوه.

فعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: قال آدم: رب هذا الذي جعلت بيني وبينه العداوة لم أقو عليه وأنا في الجنة، وإن لم تعني عليه لم أقو عليه.

فقال الله: السيئة بالسيئة، والحسنة بعشر أمثالها إلى سبع مئة، قال: رب زدني. قال: لا يولد لك ولد إلا جعلت معه ملكين يحفظانه.

قال: رب زدني. قال: التوبة مفروضة في الجسد ما دام فيها الروح.

قال: رب زدني. قال: اغفر لذنوب ولا أبالي. قال حسبي[2]. إذن فأي رحمة أعظم من هذه الرحمة، وأي عطف أكبر من هذا العطف، وأي عطاء أجزل من هذا العطاء كل هذا للعبد من ربه. مع ما أفضل عليه من النعم الأخرى التي لا تعد ولا تحصى.

التماس الشيطان:

لما نظر إبليس إلى تلك العطايا الجزيلة التي منّ الله سبحانه بها على آدم وذريته. كاد الحسد أن يقتله، ورأى أن كفة الصراع تكاد تكون لصالح آدم،

---

(١) سورة البقرة الآية ٣٧.

(٢) بحار الأنوار ـ الشيخ المجلس (رحمه الله) ـ ج ٦٣ ـ ص ٢٧٥.

وأيقن بضعف أسلحته أمام هذه الحصون المنيعة التي زود بها آدم. لذا سارع ملتمساً من الله المزيد من القوة والامكانيات ولأن الله قد شاء له ذلك، وهو كريم لا يرد دعوة الداعي إذا دعاه ولو كان كافراً، ولما في إجابته من حكمة سابقة وقضاء مبرم دقيق.

حيث يقول تعالى: **﴿من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموماً مدحوراً ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً، كلا نمد هؤلاء وهؤلاء، من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً﴾**[1].

فالمدد العطاء للمؤمنين ليزدادوا إيماناً وعملاً صالحاً، والمدد للكافرين ليزدادوا كفراً وضلالاً. حيث قال عز وجل: **﴿ولا يحسبن الذين كفروا إنما نملي لهم خيراً لأنفسهم إنما نملي ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين﴾**[2].

واستجيبت دعوة الشيطان أيضاً فعن النبي ﷺ: قال إبليس: رب هذا الذي كرمت علي وفضلته، وإن لم تفضله علي لم أقو غليه.

قال: لا يولد له ولد إلا ولد لك ولدان.

قال: رب زدني.

قال: تجري منه مجرى الدم من العروق.

قال: رب زدني.

قال: تتخذ أنت وذريتك في صدورهم مساكن.

قال: رب زدني.

قال: تعدهم وتمنيهم وما يعدهم الشيطان إلاّ غرورا[3].

ومن هنا بدأت مرحلة جديدة في صراع الشيطان مع بني آدم، بامكانات، وطاقات متميزة لدى الطرفين.

---

(١) سورة الإسراء ـ الآية ـ ٢٠.

(٢) سورة آل عمران ـ الآية ١٧٨.

(٣) بحار الأنوار ـ ج ٦٣ ـ ص ٢٧٤.

يا ترى ما الذي سيفعله الشيطان مع البشر في هذه المرحلة؟.

لنتصفح طرفاً من تاريخ البشر الحافل بالصراع لنكشف جزءاً يسيراً من صفحات الشيطان السوداء.

ـ مع ابني آدم:

ـ قال تعالى: **﴿واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق، إذ قربا قرباناً فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسطٍ يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين، إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين﴾**[١].

وضعت حواء توأمين: قابيل وأخته وهابيل وأخته، وشبّ الأخوة في رعاية الأبوين، حتى ملأتهم نضارة الحياة، وقوّةُ الشباب. فنزعت[٢] البنتان إلى منازع النساء، وانبعث الولدان يضربان في الأرض كسباً للزرق، وابتغاء للخير، فكان قابيل من زرّاع الأرض، وكان أخوه من رعاة الأغنام[٣].

وبعد أن بان فضل هابيل على أخيه قابيل في قصة القربان الذي قرباه فتقبل الله من هابيل قربانه الخالص ولم يتقبل قربان قابيل المشوب. هناك استغل الشيطان الفرصة فأوغر قلب قابيل على أخيه حسداً.

فعن الإمام الصادق عليه السلام: أوحى الله إلى آدم أن يضع ميراث النبوة والعلم ويدفعه إلى هابيل ففعل ذلك، فلما علم قابيل غضب وقال لأبيه: ألست أكبر من أخي، وأحق بما فعلت؟ فقال: يا بني إن الأمر بيد الله وإن الله خصه بما فعلت. فإن لم تصدقني قربا قرباناً فأيكما قبل قربانه فهو أولى بالفضل وكان القربان في ذلك الوقت تنزل النار فتأكله.

---

(١) سورة المائدة ـ الآية ٢٧ ـ ٣٠.

(٢) نزع: مال.

(٣) قصص القرآن ـ محمد أحمد جاد المولى ـ ص ١١.

وكان قابيل صاحب زرع فقرب قمحاً رديا، وكان هابيل صاحب غنم، فقرب كبشاً سميناً، فأكلت النار قربان هابيل، فأتاه إبليس فقال: يا قابيل لو ولد لكما ولد وكثر نسلكما، افتخر نسله على نسلك بما خصه به أبوك ولقبول النار قربانه، وتركه قربانك، وإنك إن قتلته لم يجد بداً من أن يخصك، بما دفعه إليك فوثب قابيل إلى هابيل فقتله... ثم قال إبليس: إن النار التي قبلت القربان هي المعظمة فعظمها، واتخذ لها بيتاً، واجعل لها أهلاً، وأحسن عبادتها، والقيام عليها يقبل قربانك، إذا أردت ذلك، ففعل قابيل ذلك فكان أول من عبد النار، واتخذ بيوت النيران[1] إذن فقد اختار هابيل سبيل الله سبحانه وتعالى وذهب شهيداً مضمخاً بدمه فكان أول قتيل في معركة الشيطان مع البشر وقيم السماء. بينما اختار قابيل سبيل الشيطان فكان الجندي الأول من بني آدم في معسكر الشيطان وسارت القافلة.

ولم يكتف إبليس من قابيل بما فعل من خرقٍ لناموس الخليقة وقيامه بقتل أخيه بل استمر في استدراجه حتى أوقعه في مختلف أصناف الرجس والمفاسد، وهكذا يبدأ طريق الانحراف بخطوة واحدة ثم يستمر إلى أن يصل إلى النهاية المأساوية في طريق اللاعودة.

ففي الخبر عن الإمام الصادق عليه السلام: لما مات آدم عليه السلام شمت به إبليس وقابيل فاجتمعا في الأرض، فجعل إبليس وقابيل المعازف والملاهي بآدم، فما كان في الأرض من هذا الضرب الذي يتلذذ به الناس، فإنما هو ابن ذلك[2].

---

(١) قصص الأنبياء ـ الجزائري ـ ص ٦٥.

(٢) قصص الأنبياء ـ الجزائري ـ ص ٦٩.

الفصل السابع

الشيطان والأنبياء (ع)

ـ هل كان الشيطان قادراً على التعرض للأنبياء أيضاً، وهل كان يطمع نفسه في إضلالهم كما يفعل مع سائر الناس؟.

يجيب النبي ﷺ عن هذا السؤال: إن إبليس عدو الله كان يأتي إلى الأنبياء ويتحدث إليهم من لدن نوح إلى عيسى ابن مريم عليه السلام وما بين ذلك من الأنبياء عليهم السلام [1]

كما عن النبي ﷺ أيضاً: ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن، قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: وإياي ألا أن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير [2].

مناظرة إبليس مع الأنبياء (ع)

ـ مع نوح (ع) وقومه:

ـ فعن الإمام الصادق عليه السلام قال: جاء نوح عليه السلام إلى الحمار ليدخله السفينة فامتنع عليه، وكان إبليس بين أرجل الحمار فقال: يا شيطان أدخُل،

---

(١) بحار الأنوار ـ الشيخ المجلسي ـ ج ٦٣ ـ ص ٢٢٦.

(٢) تلبيس إبليس ـ ابن الجوزي ـ ص ٣٤.

فدخل الحمار ودخل الشيطان، فقال إبليس: أُعلِّمك خصلتين، فقال نوح عليه السلام: لا حاجة لي في كلامك، فقال إبليس: إيّاك والحرص فإنّه أخرج أبويك من الجنّة، وإيّاك والحسد فإنه أخرجني من الجنّة، فأوحى الله: اقبلهما وإن كان ملعوناً[1].

وعن الإمام علي الهادي عليه السلام قال: جاء إبليس إلى نوح عليه السلام فقال: إنَّ لك عندي يداً عظيمة فانتصحني[2] فإني لا أخونك، فتأثّم[3] نوح بكلامه ومساءلته، فأوحى الله إليه: أن كلّمه وسله فإنّي سأنطقه بحجّة عليه، فقال نوح عليه السلام: تكلّم، فقال إبليس: إذا وجدنا ابن آدم شحيحاً أو حريصاً أو حسوداً أو جبّاراً أو عجولاً تلقفناه تلقف الكرة، فإن اجتمعت لنا هذه الأخلاق سميناه شيطاناً مريداً، فقال نوح عليه السلام: ما اليد العظيمة التي صنعت؟ قال: إنّك دعوت الله على أهل الأرض فألحقتهم في ساعة بالنار، فصرت فارغاً، ولولا دعوتك لشغلت بهم دهراً طويلاً[4].

عن الصّدوق باسناده إلى ابن عباس قال: قال إبليس لنوح عليه السلام: لك عندي يدٌ، سأُعلمك خصالاً، قال نوح: وما يدي عندك؟ قال: دعوتك على قومك حتّى أهلكهم الله جميعاً، فإيّاك والكبر، وإيّاك والحرص، وإيّاك والحسد، فإنّ الكبر هو الذي حملني على أن تركت السجود لآدم، فأكفرني وجعلني شيطاناً رجيماً، وإيّاك والحرص، فإن آدم أُبيح له الجنّة ونهي عن شجرة واحدة، فحمله الحرص على أن أكل منها، وإيّاك والحسد، فإنّ ابن آدم حسد أخاه فقتله فقال نوح عليه السلام: فأخبرني متى تكون أقدر على ابن آدم؟ قال: عند

---

(١) بحار الأنوار ـ الشيخ المجلسي ـ ج ٦٠ ـ باب ذكر إبليس وقصصه، ص ٢٥٠ ـ والحديث مسند عن الصدوق، عن أبيه، عن محمّد العطّار، عن الحسين بن الحسن بن أبان، عن محمّد بن أُورمة، عن مصعب بن يزيد عمن ذكره عن أبي عبدالله الصادق (ع) قوله..

(٢) الانتصاح: قبول النصيحة.

(٣) التأثم: التحرج والامتناع مخافة الإثم.

(٤) بحار الأنوار ـ ج ٦٠ ـ باب ذكر إبليس وقصصه، ص ـ ٢٥٠، وهذا الحديث مسند عن الصدوق، عن عليّ بن أحمد بن موسى، عن محمد بن جعفر الأسديّ، عن سهل بن زياد، عن عبد العظيم الحسني عن عليّ بن محمد (ع)

الغضب[1]. إذن فإن الشيطان يطير فرحاً لهلاك البشر ثم لدخولهم النار، وذلك عكس ما يبديه لهم من النصيحة، والاخلاص في الدنيا. فما نصيحته لقوم نوح باتخاذ الأصنام إلا من هذا القبيل. فعن أبي جعفر عليه السلام[2] كان قوم مؤمنون قبل نوح عليه السلام فماتوا فحزن عليهم الناس فجاء إبليس فاتخذ لهم صورهم، ليأنسوا بها، فأنسوا لها فلما جاء الشتاء، أدخلوهم البيوت فمضى ذلك القرن وجاء القرن الآخر فجاءهم إبليس فقال لهم: إن هؤلاء آلهة، كان أباؤكم يعبدونها، فعبدوهم، وضل منهم كثير، فدعا عليهم نوح فأهلكهم الله[3].

ـ مع إبراهيم الخليل (ع):

ـ عن أبي جعفر عليه السلام في قصة حج إبراهيم الخليل عليه السلام وذبحه لابنه إلى أن قال: وسلما لأمر الله، وأقبل شيخ فقال: يا إبراهيم ما تريد من هذا الغلام؟، فقال: أريد أن أذبحه[4]، فقال: سبحان الله تذبح غلاماً لم يعص الله عز وجل طرفة عين؟ فقال إبراهيم: إن الله أمرني بذلك. فقال: إن ربك نهاك عن ذلك، وإنما أمرك بهذا الشيطان، فقال له إبراهيم: إن الذي بلغني هذا المبلغ هو الذي أمرني به، والكلام الذي وقع في أذني. فقال: لا والله ما أمرك بهذا إلا الشيطان. فقال إبراهيم عليه السلام: لا والله لا أكلمك ثم عزم إبراهيم على الذبح فقال: يا إبراهيم إنك إمام يقتدى بك، وإنك إذا ذبحته ذبح الناس أولادهم فلم يكلمه. . إلى آخر الخبر[5].

ولما يئس اللعين إبليس من اغواء إبراهيم عليه السلام ظهر للغلام على ماقيل،

---

(١) بحار الأنوار ـ ج ٦٠ ـ باب ذكر إبليس وقصصه ص ٢٥١.

(٢) الإمام محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام جميعاً. الملقب بـ (الباقر).

(٣) بحار الأنوار ـ ج ٦٠ ـ باب ذكر إبليس وقصصه، ص ٣٥٤.

(٤) رأى النبي إبراهيم (ع) في المنام أنه يذبح ولده إسماعيل (ع). ورؤيا الأنبياء وأحلامهم صدق ـ فدعا ابنه في الصباح وذهبا يسعيان ﴿**فلمّا بلغ معه السَّعي قال يا بنيَّ إنّي أرى في المنام أنّي أذبحُك فانظر ماذا ترى**﴾ ـ سورة الصافات ـ الآية ١٠٢.

(٥) قصص الأنبياء ـ الجزائري ـ ص ١٥١.

وأراد أن يوسوس له لعله يعصي أمر ربه وأمر أبيه ولا يسلم نفسه للذبح، وأخذ يلحّ عليه بالهرب والعصيان، وإسماعيل عليه السلام لا يزداد بذلك إلا تسليماً وخضوعاً للذبح، إلى أن رماه أيضاً بسبع حصيات في موضوع الجمرة الأخيرة على الظاهر، وهرب اللعين منه يائساً من طاعة إبراهيم عليه السلام له[1].

ثم لحق بهاجر عليها السلام بحذاء موضع البيت، وهمّ أن يوسوس لها لعلها تمنع بعلها وابنها عن إطاعة الله تعالى، وقال لها: يا أمة الله من هذا الشيخ الذي رأيته في موضع كذا وصفته كذا وكذا؟ قالت: ذاك بعلي، قال اللعين: فرأيت معه وصيفاً ـ أي خادماً ـ صفته كذا وكذا؛ قالت: ذاك ابني؛ قال: فإني رأيته وقد أضجعه وأخذه المدية ليذبحه، فنهرته هاجر عليها السلام وقالت: كذبت أيها الرجل، إن إبراهيم عليه السلام أرحم الناس، فكيف بابنه يذبحه؟!.

قال اللعين:. فورب السماء والأرض ورب هذا البيت لقد رأيته أضجعه وأخذ المدية ليذبحه؛ قالت: ولم؟ قال: زعم أن ربه أمره بذلك؛ قالت: فحق له أن يطيع ربه[2].

ومن هنا أصبحت مواقع تعرض الشيطان لإبراهيم عليه السلام من شعائر الحج التي يؤمها الآلاف من الموحدين كل حين ويرمونها بأحجارهم تأسياً بشيخ الأنبياء الخليل إبراهيم عليه السلام الذي رمى الشيطان في تلك المواقع وتخلص من كيده وحبائله[3].

يقول الإمام موسى بن جعفر عليه السلام في ردٍ على سؤال: عن رمي الجمار لم جعل؟ قال: لأن إبليس اللعين كان يتراءى لإبراهيم عليه السلام في موضع الجمار فرجمه إبراهيم فجرت السنة بذلك وعن أبي عبدالله عليه السلام قال: أول من رمى الجمار آدم عليه السلام وقال أتى جبرائيل عليه السلام إبراهيم فقال إرم يا إبراهيم، فرمى جمرة العقبة، وذلك أن الشيطان تمثل له عندها[4].

---

(١) تواريخ الأنبياء ـ السيد حسن اللواساني ـ ص ٨٣.
(٢) تواريخ الأنبياء ـ السيد حسن اللواساني ـ ص ٨٣.
(٣) علل الشرائع ـ (باب ١٧٧ ـ علة رمي الجمار) ـ الصدوق ـ ص ٤٣٧.
(٤) علل الشرائع ـ (باب ١٧٧ ـ علة رمي الجمار) ـ الصدوق ـ ص ٤٣٧.

شبهة ورد:

ـ قارن صادق جلال العظم بين قصة إبراهيم عليه السلام في أمره بذبح ولده، وبين قصة إبليس في أمره بالسجود. وخرج من هذه المقارنة بأن قصتي إبليس وإبراهيم متشابهتان في أن كل واحدة منهما مأساة، إلا أن العنصر المأساوي في قصة إبليس أبلغ وأعظم[1].

ـ الرد:

إن المؤلف مخطىء في المقارنة، وبالتالي فهو مخطىء في الاستنتاج، لأنه ليس ثمة أية علاقة بين قصة إبراهيم عليه السلام وبين قصة إبليس، بل نلاحظ أن بينهما جملة من الفوارق:

١ ـ إن أمر إبراهيم عليه السلام بذبح ولده إسماعيل عليه السلام كان أمراً امتحانياً (كما انكشف فيما بعد ـ ﴿**وفديناه بذبحٍ عظيم**﴾) والأمر الامتحاني يراد منه ـ كما ذكرنا آنفاً ـ تربية إرادة إبراهيم وإسماعيل على الطاعة المطلقة والإذعان التام للإرادة الإلهية من جهة، وإظهار فضلهما للمجتمع بانقيادهما التام لإرادة الله تعالى من جهة أُخرى. وأما أمر إبليس والملائكة بالسجود لآدم فكان تكليفاً حقيقياً يراد منه تحقيق مضمونه في الخارج، وتحويله إلى عمل معاش.

٢ ـ إن إبراهيم حين تلقى الأمر الإلهي بذبح ولده (ولم يكن يعلم أنه أمر امتحاني بطبيعة الحال) سرعان ما عزم على تنفيذ هذا الأمر. قال الله تعالى في حكاية حال إبراهيم في موقفه ذاك: ﴿. . . **فلّما بلغ معه السّعي قال يا بُنيّ إنّي أرى في المنام أنّي أذبَحُكَ فانظر ماذا ترى قال: يا أبتِ افعل ما تُؤمر ستجدني إنشاء الله من الصابرين. فلّما أسلما وتلّه للجبين. .** ﴾[2].

---

(١) نقد الفكر الديني ـ صادق جلال العظم ـ (ص ٩٩ ـ ١٠٠، ١٠٢ ـ ١٠٣ و ١١٢ وما بعدها).

(٢) سورة الصافات الآية ١٠٢ ـ ١٠٣.

أما إبليس فحين تلقى الأمر الإلهي بالسجود، رفض إطاعة هذا الأمر، ولم يرفض لأنه حريص على التوحيد المطلق ـ كما يكرر المؤلف الذي بينا خطأ نظريته هذه في الصفحات الماضية ـ وذلك، أولاً: لأن السجود المأمور به لا ينافي التوحيد ولذلك بقي الملائكة موحدين بعد أن سجدوا.

ثانياً: لأن إبليس لم يعلل موقفه السلبي بهذه العلة، وإنما علل موقفه بالعنصرية، والتكبر، واحتقار آدم عليه السلام.

٣ ـ أن عاقبة انقياد إبراهيم لتنفيذ الأمر الإلهي هي الكرامة والسعادة، قال الله تعالى: ﴿. . . **فلمّا أسلما وتلّهُ للجبين. وناديناه أن يا إبراهيم قد صدّقت الرؤيا إنّا كذلك نجزي المُحسنين. إنّ هذا لهُو البلاءُ المُبين. وفَدَيناهُ بذبحٍ عظيم، وتركنا عليه في الآخرين، سلام على إبراهيم، إنا كذلك نجزي المُحسنينَ، إنّه من عبادنا المؤمنين**﴾[1].

هذه هي عاقبة إبراهيم عليه السلام. أما عاقبة إبليس فكانت على العكس من ذلك: لعنة، وطرداً ورجماً.

واختلاف النتيجتين ليس إلا لاختلاف الموقفين: موقف إبراهيم موقف الطاعة، وموقف إبليس موقف الجحود والطغيان.

إذن لا علاقة بين قصة إبراهيم عليه السلام التي هي قصة القداسة والطاعة المطلقة، وبين قصة إبليس التي هي قصة الجحود والعصيان والجريمة.

ـ مع لوط (ع) وقومه:

ـ لا يقر للشيطان قرار وهو يرى الإنسان مطيعاً لربه سالكاً سبل الصلاح والهداية إلا أن يغويه ويهديه إلى طريق الفساد والشر والضلالة، وهكذا فعل مع قوم لوط عليه السلام ففي الخبر: أنهم ـ قوم لوط ـ أفضل قوم خلقهم الله عز وجل، فطلبهم إبليس طلباً شديداً، وكان فضلهم وخيرهم أنهم إذا خرجوا إلى العمل

(١) سورة الصافات الآية ١٠٣ ـ ١١١.

خرجوا بأجمعهم، وتبقى النساء خلفهم، فحسدهم إبليس على عبادتهم...[1].

ولما أن باءت محاولات إبليس معهم بالفشل لم يجد سبيلاً للتسلل إليهم سوى الإنحراف الأخلاقي فاخترع لهم خطيئة لم تكن معهودة عند البشر من قبلهم، وهي الشذوذ الجنسي فعن أحدهما ـ الصادق أو الباقر عليه السلام ـ في قول لوط عليه السلام: إنكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها أحد من العالمين. فقال: إبليس أتاهم في صورة حسنة فيه تأنيث عليه ثياب حسنة فجاء إلى شباب منهم فأمرهم أن يقعوا به، ولو طلب أن يقع بهم لأبوا عليه، ولكن طلب إليهم أن يقعوا به فلما وقعوا به التذوه، ثم ذهب عنهم وتركهم فأحال بعضهم على بعض[2].

ـ مع يوسف (ع) وإخوته:

ـ وقعت ليوسف عليه السلام حوادث خطيرة في حياته، ولكنها لم تزلزل من شخصيته ولم تهز نفسيته لأنه كان مرتبطاً بالله سبحانه، معتصماً بقدرته.

وكان للشيطان اليد الطولى في تلك الحوادث. وليس هذا غريباً، إذ أن هدف الشيطان الأول هم المؤمنون الصادقون، يكيد لهم، ويحيك لهم خططه، وينصب لهم شباكه فلعله يوقعهم. ولكن الله سبحانه ينصر عباده، وينقذهم في أحرج اللحظات وأخطر المواقف باتّكالهم عليه ولجوئهم إلى حصنه.

وهذه نماذج من تلك المواقف التي جربها يوسف الصديق عليه السلام وهو شاب في مقتبل العمر.

الموقف الأول:

قال تعالى: ﴿**وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت**

---

(١) بحار الأنوار ـ الشيخ المجلسي ـ ج ٦٣ ـ ص ٢٧٨.

(٢) بحار الأنوار ـ الشيخ المجلسي ـ ج ٦٣ ـ ص ٢٤٧.

هيت لك، قال معاذ الله أنه ربي أحسن مثواي، أنه لا يفلح الظالمون﴾[1].

موقف حرج وخطير جداً، شابة في مقتبل العمر تمتلك قسطاً من الجمال والجاه والسلطة، وأمامها شاب في أكمل صورة وأحسن هيأة، اجتمعت فيه قوة الشباب وروعته، كل ذلك في خلوة وظروف مهيأة... هنا وجد الشيطان فرصته الذهبية للايقاع بيوسف، وهو متيقن أنه لن يفلت من يده هذه المرة. ولم لا؟ فقد جرب هذا السلاح على كثير من بني آدم وفي ظروف أقل ملائمة من هذه الظروف ونجح في إيقاعهم في الخطيئة، ولكن بصيرة يوسف عليه السلام والرحمة الإلهية التي تداركته مع وجود العصمة لديه كنبي كانت أقوى من فخ إبليس وأكثر احكاماً، وخرج يوسف نقياً طاهراً لم تلوثه الفاحشة ولم تدنسه الجريمة. وانتصر يوسف، وانتصرت الفضيلة، وخذل الشيطان وخذلت الرذيلة معه. وكذلك كل من يتوكل على الله ويطلب منه العون فإنه سميع الدعاء قريب مجيب، حتى في مثل هذه الظروف الحرجة.

الموقف الثاني:

قال الله تعالى: **﴿وقال للذي ظن أنه ناج منهما اذكرني عند ربك فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين﴾**[2].

استغل الشيطان لحظة غفلة لدى يوسف عليه السلام عن ذكر ربه حين طلب من أحد المساجين معه والذين سيطلق سراحهم أن يذكره عند الملك فلعله يعفو عنه ويطلق سراحه بعد أن طال به المكوث في السجن. فماذا كانت النتيجة؟ ما أن خرج ذلك السجين حتى غفل عن وصية يوسف له وكانت إرادة الله سبحانه من وراء ذلك، وتضاعفت مدة سجن يوسف سنوات أخر مقابل هذه الغفلة المخالفة للأولى بيوسف عليه السلام. فعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: عجبت من أخي يوسف عليه السلام كيف استغاث بالمخلوق دون الخالق؟[3]. وعن أبي عبدالله الصادق عليه السلام: جاء

---

(١) سورة يوسف ـ الآية ٢٣.

(٢) سورة يوسف ـ الآية ٤٢.

(٣) مجمع البيان ـ ج ٣ ـ ص ٢٣٥.

جبرائيل فقال: يا يوسف من جعلك أحسن الناس؟ قال: ربي، قال: من حببك إلى أبيك دون اخوتك؟ قال: ربي، قال: فمن صرف عنك كيد النسوة؟ قال: ربي، قال: فإن ربك يقول: ما دعاك إلى أن تنزل حاجتك بمخلوق دوني؟ البث في السجن بما قلت بضع سنين[1].

الموقف الثالث:

ـ قال الله تعالى: **﴿ورفع أبويه على العرش وخروا له سجداً وقال: يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقاً، وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي إن ربي لطيف بما يشاء إنه هو العليم الحكيم﴾**[2].

حظي يوسف عليه السلام وأخ له لأمه من والدهما يعقوب عليه السلام بحب خاص دون إخوتهما مما أشعل نار الغيرة والحسد في قلوبهم على أخويهم. وكان دور الشيطان هنا هو صب الزيت على النار حيث نزغ بين الأخوة ووسوس لهم بفكرة قتل يوسف أو التخلص منه بإلقائه بعيداً في الصحراء كي يتيه فيها إلى الأبد، فيخلو لهم الجو، ويصفو لهم حب والدهم في غياب منافسهم الأول يوسف عليه السلام.

قال تعالى: **﴿قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفي ضلال مبين اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضاً يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوماً صالحين﴾**[3].

هكذا نفث الشيطان في روعهم وزين لهم خطة التخلص من يوسف عليه السلام فنفذوها، وألقوا بيوسف في البئر، وبدأت مرحلة التشرد والغربة والحزن العميق في حياة يوسف ووالده يعقوب الذي اشتد عليه الحزن لفراق ولده، حتى ابيضت عيناه وأخذ منه الإشفاق كل مأخذ. وهكذا فعلت أصابع الشيطان حينما عبثت

---

(١) مجمع البيان ـ ج ٣ ـ ص ٢٣٥.
(٢) سورة يوسف، الآية: ١٠٠.
(٣) سورة يوسف، الآية: ٩.

بمصير هذه العائلة الشريفة، فشغلهم بأمور شخصية صغيرة عن القيام بأدوار أكبر وأهم في خدمة الرسالة. وهم من أبناء الأنبياء.

- مع أيوب عليه السلام:

- قال الله تعالى: ﴿واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه إني مسني الشيطان بنصب وعذاب﴾[1].

كان نبي الله أيوب عليه السلام نموذجياً في سلوكه، في عبادته، في طاعته لله تعالى، وخضوعه له، وشكره لنعمه، باراً تقياً رحيماً بالمساكين يكفل الأرامل والأيتام، يكرم الضيف، ويبلغ إبن السبيل، مؤدياً لحق الله تعالى قدر إستطاعته.

كل ذلك جعله هدفاً مهماً للشيطان الذي لا يعجبه أن يرى مثل هذه النماذج البشرية التي تبلغ غاية الالتزام والطاعة والإستقامة فسعى لإضلاله فلم يفلح.

لذلك شرع في تجربة أسلوب الإيذاء والتعذيب لهذا العبد الصالح عله يفت من عزيمة أيوب عليه السلام، ويزلزل مقاومته، وصموده. وبالتالي يشغله عن ذكر الله وعبادته وشكره. ولكنه ومع كل تلك المحاولات رجع خائباً ولم ينجح. وكما جاء «أن إبليس اللعين سمع عن عبادة أيوب عليه السلام والطاعة لربه الشيء الكثير. فأدركه البغي والحسد، وصعد إلى السماء[2] وجعل يقول: إلهي نظرت في أمر عبدك أيوب فوجدتُه عبداً أنعمت عليه فشكرك وعافيته فحمدك، ثم لم تجربه بشدة وبلاء، وأنا لك زعيم لئن ضربته ببلاء ليكفرن بك ولينسينك ثم سأل اللعين ربه تعالى أن يسلطه على أموال أيوب عليه السلام وأولاده... وجسده[3]..

---

(١) سورة ص، الآية: ٤١.

(٢) ذكر أن إبليس كان لا يحجب عن السماوات السبع قبل ارتفاع المسيح عليه السلام إليها، ولما رفع المسيح حجب اللعين عن أربع منها، فكان يصعد إلى ثلاث، إلى أن ولد نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم فحجب اللعين عن السماوات كلها، فإذا هم هو وأحد جنوده بالصعود، اتبعه شهاب ثاقب يرمى به، فيكر راجعاً خاسئاً.

(٣) تواريخ الأنبياء، السيد حسن اللواساني، ص ١٥٩ ـ ١٦٦.

وفي المجمع[1] في قوله تعالى: ﴿أنّي مسّني الشيطان﴾ الآية ـ قيل: إنّه اشتدّ مرضه حتى تجنّبه الناس فوسوس الشّيطان إلى الناس أن يستقذروه ويخرجوه من بينهم ولا يتركوا امرأته التي تخدمه أن تدخل عليهم فكان أيوب يتأذّى بذلك ويتألّم به ولم يشك الألم الّذي كان من أمر الله سبحانه ـ وروي أنه دام ذلك سبع سنين[2].

فعن أبي عبدالله عليه السلام: إن الله عز وجل يبتلي المؤمن بكل بلية ويميته بكل ميتة، ولا يبتليه بذهاب عقله، أما ترى أيوب كيف سلط إبليس على ماله، وعلى ولده، وعلى أهله، وعلى كل شيء منه ولم يسلطه على عقله، ترك له ليوحد الله به[3].

مع ذي الكفل عليه السلام[4]:

ـ وممّا يكفّ عن الغضب ويحثّ على الحلم قصّة ذي الكفل[5]، فإنّ اليسع عليه السلام[6] قال ذات يوم لقومه: إنّه قد وهن العظم وضعف الجسم، وتخاذلت القوى وتقاصرت الخطى، وها أنا واقف على ثنيّة الوداع من الدنيا ومتوجّه عنها إلى الدار الأخرى، فلو إستخلفت عليكم من أرتضي عمله، فحمدوا رأيه ورضوا قوله، فجمع أصحابه وقال: من تكفل لي بأن يظلّ نهاره صائماً ويبيت ليله قائماً ولا يغضب على الناس إذا لحّوا عليه مخاصمين، ويحلم عنهم إذا ضجروه محاكمين، حتّى أُولّيه عليهم؟ فقام إليه رجل ينبو عنه البصر ويغمض عنه النظر، فقال: أنا ذاك، ثمّ عاد القول ثانياً وثالثاً فقام القائم أولاً فقال: أتكفل لي بذلك؟ فكفل له. فكان يدأب النهار في الصيام والليل في

---

(١) مجمع البيان ـ الطبرسي.
(٢) الميزان في تفسير القرآن ـ ج١٧ ـ ص ٢٣٤ ـ ٢٣٨/ ميزان الحكمة ـ مهدي الري شهري ـ المجلد ٩، ص ٤٤٥.
(٣) بحار الأنوار ـ الشيخ المجلسي ـ ج٦٣، ص ٢٠١.
(٤) أنظر التعليقة رقم (١٠) في قسم التعليقات لمعرفة خبر اليسع وذي الكفل عليهما السلام.
(٥) رواه مع تغيير في المجلد الخامس من البحار في أحوال ذي الكفل.
(٦) انظر التعليقة رقم (١٠) في قسم التعليقات لمعرفة خبر اليسع وذي الكفل عليهما السلام.

القيام، ويقضي بين الناس من مطلع الفلق إلى مغرب الشفق، سوى ساعة يقيلها عند قيام الهواجر[1] والتهاب وقدة الظهائر[2]. فجاء الشيطان في صورة شيخ ضعيف وقت قائلته، وفاوضه في ذكر ظلامته، وطوّل حتى فاتته القائلة، فقام ذو الكفل وقال: إنّي متوضّ لصلاتي وعائد إلى مجلسي فأحضر خصمك لأعديك عليه، وآخذ بحقّك منه، فلم ير يومه، فبات واجماً[3] له ليله، وأصبح من غده قاضياً بين الناس حتى انتصف النهار وبلغت الشمس كبد السماء، فعاد إلى منزله ليجمّ باستراحة إعياءه[4] ويريح بإغفائه[5] أعضاءه، أن دقّ عليه الشيطان الباب في يومه وأيقظه من عرار[6] نومه، فقال: أين كنت بالأمس وما أخّرك عن محضر الناس؟ فقال: إنّ قومي أخبث قوم قالوا: نعطيك حقك اليوم، ثمّ اعتلّوا عليّ ومطلوني ولووا ديني[7] وجحدوني، وطوّل القول حتّى فاتته القائلة، فقام وتطهّر وجلس للناس ينتظر الشيخ فلم يحضر، وانصرف من غده إلى منزله ليقيل على رسمه، وقال لبوّابه: لم تلتق أجفاني منذ ثلاثة أيّام، ولا بدّ للتعب المكدود من جمام، فلا تأذن أحداً عليّ ولا تدعه يدخل إليّ ريثما[8] أقيل ساعة واحدة، وأجد ممّا عراني استراحة، فجاء الشيطان فحجبه البوّاب فلم يمتنع، ودخل الدار وأيقظه فحين همّ أن يغضب ثبّته الله وعصمه فصبر عليه كاظماً، ونكص الشيطان على عقبيه راغماً، فذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿**واذكر إسماعيل واليسع وذا الكفل وكلّ من الأخيار**﴾[9] وقوله: ﴿**إسماعيل وإدريس وذا الكفل كلّ من الصابرين**﴾[10])[11].

---

(١) جمع الهاجرة: شدة الحر، نصف النهار في القيظ.

(٢) جمع الظهيرة: حد إنتصاف النهار.

(٣) أي مجهوداً بالتعب. كذا بهامش الأصل.

(٤) جم: استراح. والاعياء: التعب والكلل.

(٥) الإغفاء: النوم.

(٦) بفتح العين: نعومة الشيء وطيبه.

(٧) لواه دينه وبدينه ـ واوي العين واللام: مطله.

(٨) «ريثما» مركب من الريث «وما» والريث هو مقدار المهلة من الزمن.

(٩) سورة ص، الآية: ٤٨.

(١٠) سورة الأنبياء، الآية: ٨٥.

(١١) آداب النفس ـ السيد محمد العيناثي العاملي، ص ٤٤٣ ـ ٤٤٤.

ـ مع موسى عليه السلام وقومه:

لم يسلم الكليم موسى عليه السلام من تعرض إبليس له ولقومه، ولو أن تأثير الشيطان على الأنبياء منفي قطعاً في جانب الضلالة لما يمتلكونه من حصانة العصمة والتوكل على الله سبحانه والارتباط به. ولكن يبقى تأثيره واضحاً على أقوامهم.

فعن ابن عمر قال: لقي إبليس موسى فقال لموسى: يا موسى أنت الذي إصطفاك الله برسالته، وكلمك تكليماً وأنا من خلق الله أذنبت فأنا أريد أن أتوب فاشفع لي عند ربك عز وجل أن يتوب عليّ فدعا موسى ربه فقيل: يا موسى قد قضيت حاجتك فلقى موسى إبليس فقال: قد أمرت أن تسجد لقبر آدم ويتاب عليك فاستكبر وغضب وقال: لم أسجد له حيّاً، أسجد له ميتاً[1]. ثم قال إبليس: يا موسى إن لك حقّاً بما شفعت إلى ربك فاذكرني عند ثلاث ولا أهلك فيهن اذكرني حين تغضب فإن وحيي في قلبك وعيني في عينيك وأجري منك مجرى الدم واذكرني حين تلقى الزحف ـ أي الجهاد ـ فإني آتى ابن آدم حين يلقى الزحف فأذكره ولده وزوجته وأهله حتى يولي[2]. وإياك أن تجالس امرأة ليست بذات محرم فإني رسولها إليك ورسولك إليها[3].

وجاء في الحديث: أنه بينا موسى جالس إذ أقبل إبليس وعليه برنس فوضعه ودنا من موسى وسلّم، فقال له موسى: من أنت؟ قال: إبليس، قال: لا قرّب الله دارك، لماذا البرنس؟ قال: اختطفت به قلوب بني آدم، فقال له موسى عليه السلام: أخبرني بالذنب الذي إذا أذنبه ابن آدم استحوذت[4] عليه، قال: ذلك إذا أعجبته نفسه واستكثر عمله وصغر في نفسه ذنبه وقال: يا موسى لا تخل

= ـ معادن الجواهر ونزهة الخواطر في علوم الأوائل والأواخر ـ السيد محسن الأمين (قدس سره) ص ١١٠.

(١) بحار الأنوار، الشيخ المجلسي ـ ج٦٣، ص ٢٨٠.

(٢) وقاية الإنسان من الجن والشيطان ـ وحيد عبد السلام بالي ـ ص ١٠٩ ـ ١١٠.

(٣) آكام المرجان، بدر الدين الشبلي، ص ٢٠٧.

(٤) إستحوذ عليه: غلبه واستولى عليه.

بامرأة لا تحلّ لك فإنّه لا يخلو رجل بإمرأة لا تحلّ له إلاّ كنت صاحبه دون أصحابي، وإيّاك أن تعاهد الله عهداً، فإنّه ما عاهد الله أحد إلاّ كنت صاحبه دون أصحابي حتّى أحول بينه وبين الوفاء به، وإذا هممت بصدقة فأمضها، فإذا همّ العبد بصدقة كنت صاحبه دون أصحابي حتّى أحول بينه وبينها[١].

وفي الخبر: أن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ حينما ذهب لميقات ربه جاء إبليس في صورة رجل إلى بني إسرائيل، فقال لهم: إن موسى قد هرب منكم، ولا يرجع أبداً، فاجمعوا لي حليكم حتى أتخذ إلهاً تعبدونه[٢].

السامري وإبليس:

ـ كان السامري على مقدمة قوم موسى يوم أغرق الله فرعون وأصحابه فنظر إلى جبرائيل وكان على حيوان في صورة رمكة[٣] وكانت كلما وضعت حافرها على موضع من الأرض تحرّك ذلك الموضع فنظر إليه السامري وكان من خيار أصحاب موسى فأخذ التراب من حافر رمكة جبرائيل وكان يتحرك فصرَّه في صرَّة فكان عنده يفتخر به على بني إسرائيل فلما جاءهم إبليس واتخذوا العجل قال للسامري: هات التراب الذي معك، فجاء به السامري فألقاه إبليس في جوف العجل فلما وقع التراب في جوفه تحرّك وخار ونبت عليه الوبر والشعر فسجد له بنو إسرائيل وكان عدد الذين سجدوا له سبعين ألفاً من بني إسرائيل فقال لهم هارون عَلَيْهِ السَّلَامُ كما حكى الله تعالى: **﴿يا قوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمان فاتبعوني وأطيعوا أمري، قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى﴾**[٤].

فهمّوا بهارون فهرب منهم وبقوا في ذلك حتى تمّ ميقات موسى أربعين ليلة. فلما كان يوم عشرة من ذي الحجة أنزل الله علم الألواح فيها التوراة وما يحتاج إليه من أحكام السير والقصص فأوحى الله إلى موسى أنّا فتنّا قومك من

(١) بحار الأنوار، ج٦٠، باب ذكر إبليس وقصصه، ص ٢٥٢.
(٢) قصص الأنبياء ـ الجزائري ـ ص ٣٠٤.
(٣) الرمكة: الفرس تتخذ للنسل.
(٤) سورة طه، الآية: ٩٠ ـ ٩١.

بعدك وأضلّهم السامري وعبدوا العجل وله خوار، فقال: يا رب العجل من السامري فالخوار ممّن؟

فقال: مني يا موسى، إني لما رأيتم قد ولّوا عني إلى العجل أحببت أن أزيدهم فتنة. «فرجع موسى ـ كما حكى الله تعالى ـ إلى قومه غضبان أسفاً قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعداً حسناً أفطال عليكم الأمد أم أردتم أن يحلَّ عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدي»[1]، ثم رمى بالألواح وأخذ بلحية أخيه ورأسه يجرُّه إليه فقال: ﴿**قال يا هارون ما منعك إذ رأيتهم ضلُّوا، ألاّ تتبعن أفعصيت أمري؟**﴾[2] فقال هارون ـ كما حكى الله ـ: ﴿**يابن أمَّ لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي إني خشيت أن تقول فرّقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي**﴾[3].

فقال له بنو إسرائيل: «ما أخلفنا موعدك بملكنا» قال: ما خالفناك «ولكنّا حُمِّلنا أوزاراً من زينة القوم» يعني من حليّهم «فقذفناها» قال: التراب الذي جاء به السامري طرحناه في جوفه. ثم أخرج السامري العجل وله خوار فقال له موسى: «ما خطبك يا سامري؟» قال السامري: «بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول» يعني من تحت حافر رمكة جبرائيل في البحر «فنبذتها» أي أمسكتها وكذلك سوَّلت لي نفسي» أي زيّنت.

فأخرج موسى العجل فأحرقه بالنار وألقاه في البحر، ثم قال موسى للسامري: «إذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس» يعني ما دمت حياً وعقبك هذه العلامة فيكم قائمة: أن تقول: لا مساس حتى يعرفوا أنكم سامرية فلا يغتر بكم الناس فهم إلى الساعة بمصر والشام معروفين لا مساس، ثم همَّ موسى بقتل السامري فأوحى الله إليه: لا تقتله يا موسى فإنه سخيّ، فقال له موسى: «انظر إلى إلهك الذي ظلت عليه عاكفاً لنحرقنّه ثم لننسفنّه في اليمِّ نسفاً، إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو وسع كل شيء علماً»[4].

---

(١) سورة طه، الآية: ٨٦.
(٢) سورة طه، الآية: ٩٢ ـ ٩٣.
(٣) سورة طه، الآية: ٩٤.
(٤) تفسير الميزان ـ المجلد الرابع عشر ـ ص ٢٠٢.

مع عيسى عليه السلام:

ـ عن الإمام الصادق عليه السلام: جاء إبليس إلى عيسى عليه السلام فقال: ألست تزعم أنك تحيي الموتى؟ قال عيسى عليه السلام: بلى. قال إبليس: فاطرح نفسك من فوق الحائط. فقال عيسى عليه السلام: ويلك إنّ العبد لا يجرّب ربّه. قال إبليس: يا عيسى هل يقدر ربك أن يدخل الأرض في بيضة والبيضة كهيئتها؟ فقال: إن الله تعالى لايوصف بالعجز والذي قلته لا يكون[1].

هل من المعقول أن إبليس يجهل قدرة الله سبحانه أو أنه لا يعرف مقام الأنبياء عند الله، ومقدار ما زودهم به من كفاءات واستعدادات؟ كلا، فالشيطان يعرف كل ذلك، ولكنه حينما يتعرض للأنبياء بهذه الإستفسارات الغريبة، ويطلب منهم عمل الأمور المستحيلة، إنما يصبو إلى هدف محدد هو محاولة النفوذ إلى الأنبياء أولاً. وإن لم يستطع فإلى أقوامهم وأممهم، وذلك عبر بث الشك وإثارة الشبهة والحيرة في أذهانهم حول الخالق سبحانه، وأنبياءه ورسالاته.

فعن ابن عباس: لما مضى لعيسى عليه السلام ثلاثون سنة بعثهُ الله إلى بني إسرائيل فلقيه إبليس على عقبة بيت المقدس، وهي عقبة (أفيق)، فقال له: يا عيسى أنت الذي بلغ من عظم ربوبيتك أن تكون من غير أب: فقال عيسى عليه السلام: بل العظمة للذي كونني وكذلك كون آدم وحواء. قال إبليس: يا عيسى فأنت الذي بلغ من عظم ربوبيتك أنك تكلمت في المهد صبياً؟ قال عيسى عليه السلام: يا إبليس بل العظمة للذي أنطقني في صغري ولو شاء لأبكمني[2]..

عن بريد القصرانيّ قال: قال لي أبو عبدالله عليه السلام: صعد عيسى عليه السلام على جبل بالشام يقال له: أريحا، فأتاه إبليس في صورة ملك فلسطين فقال له: يا روح الله أحييت الموتى وأبرأت الأكمه والأبرص، فأطرح نفسك عن الجبل فقال عليه السلام: إنّ ذلك أُذِن لي فيه، وإنّ هذا لم يؤذن لي فيه[3].

---

(١) بحار الأنوار، ج٦٣، ص ٢٥٢.
(٢) بحار الأنوار، ج٦٣، ص ٢٤٠.
(٣) بحار الأنوار، ج٦٣، ص ٢٥٢.

ـ مع يحيى بن زكريا عليه السلام:[1]

ـ عن الإمام الرضا عليه السلام: أن إبليس كان يأتي الأنبياء من لدن آدم إلى أن بعث الله المسيح يتحدث عندهم ويسألهم، ولم يكن بأحد منهم أشد أُنساً منه بيحيى بن زكريا فقال له يحيى: أبا مرّة إن لي إليك حاجة فقال: أنت أعظم قدراً من أن أردّك بمسألة فأسألني ما شئت فإني غير مخلفك في أمر تريده، فقال يحيى: يا أبا مرة أُحب أن تعرض عليَّ مصائدك وفخوخك التي تصطاد بها بني آدم، فقال له إبليس: حباً وكرامة وواعده لغد.

فلما أصبح يحيى قعد في بيته ينتظر الوعد، وأغلق عليه الباب إغلاقاً؛ فما شعر حتى ساواه من خوخة كانت في بيته فإذا وجهه صورة وجه القرد، وجسده على صورة الخنزير، وإذا عيناه مشقوقتان طولاً، وإذا أسنانه وفمه مشقوقات طولاً عظماً واحداً بلا ذقن ولا لحية، وله أربعة أيدٍ يدان في صدره ويدان في منكبه، وإذا عواقيبه قوادمه وأصابعه خلفه وعليه قباء وقد شد وسطه بمنطقة فيها خيوط معلقة بين أحمر وأصفر وأخضر وجميع الألوان، وإذا بيده جرس عظيم وعلى رأسه بيضة، وإذا في البيضة حديدة معلقة شبيهة بالكلاّب.

فلما تأمله يحيى قال: ما هذه المنطقة التي في وسطك؟ فقال: هذه المجوسية أنا الذي سننتها وزينتها لهم. فقال له: ما هذه الخطوط الألوان؟ فقال: هذه جميع أصناع النساء لا تزال المرأة تصنع الصنيع حتى يقع مع لونها فأفتن الناس بها فقال له: فما هذا الجرس الذي بيدك؟ قال: هذا مجمع كل لذة من طنبور وبربط ومعزفة وطبل وناي وصرناي، وإن القوم ليجلسون على شرابهم فلا يستلذونه فأحرك الجرس فيما بينهم فإذا سمعوه إستخف بهم الطرب فمن بين

---

(١) إن يحيى عليه السلام بعد ولادته آتاه الله النبوة وهو ابن ثلاث سنين (تواريخ الأنبياء، ص ٣٥٠) وخاطبه الله سبحانه بقوله: «يا يحيى خذ الكتاب بقوة» وقال فيه: «وآتيناه الحكم صبياً، وحناناً من لدنا» أي عطفاً ورحمة منا على العباد لدعوتهم إلى طاعة الله تعالى؛ كما قال فيه أيضاً: «وآتيناه رحمة من عندنا» أي حباً منا وحناناً منا عليه، «وزكاة» أي جعلناه تزكية لمن قبل دعوته وأطاع أمره «وكان تقياً..».

من يرقص، ومن بين من يفرقع أصابعه، ومن بين من يشق ثيابه. فقال له: وأي الأشياء أقر لعينك؟ قال: النساء، هن فخوخي ومصائدي فإذا إجتمعت إلى دعوات الصالحين ولعناتهم صرت إلى النساء فطابت نفسي بهن فقال له يحيى: فما هذه البيضة على رأسك؟

قال: بها أتوقى دعوة المؤمنين، قال: فما هذه الحديدة التي أرى فيها؟ قال: بهذه أقلب قلوب الصالحين. قال يحيى: فهل ظفرت بي ساعة قط؟ قال: لا، ولكن فيك خصلة تعجبني. قال يحيى عليه السلام: فما هي؟ قال: أنت رجل أكول فإذا أفطرت أكلت وشبعت فيمنعك ذلك من بعض صلاتك وقيامك بالليل. قال يحيى عليه السلام: فإني أعطي الله عهداً أن لا أشبع من الطعام حتى ألقاه. قال له إبليس: وأنا أعطي الله عهداً أن لا أنصح مسلماً حتى ألقاه، ثم خرج فما عاد إليه بعد ذلك(١).

ـ مع النبي سليمان عليه السلام:

ـ قد تستغرب أحياناً من وجود بعض الطاقات، وللعلوم الغريبة عند بعض الناس أمثال السحر والشعوذة. ثم تتساءل عن مصدرها، وهل كانت في يوم من الأيام علماً من العلوم التي أقرتها رسالات السماء؟

وإذا كانت كذلك فلماذا انحرفت عن رسالات الله وأصبحت سلاحاً في يد أعداء الله، كما في قصة موسى عليه السلام وسحرة فرعون؟

بالطبع لم يكن السحر وما شابهه يوماً ما سنداً لرسالات الله، وبالتالي فلم تقره تلك الشرائع بل حرمته ووصفت حامليه بالكفر والإنحراف عن سبيل الله سبحانه. وفي هذا دليل على أن له أصلاً آخر، ففي القرآن الكريم إشارة إلى أصل هذا الفن المحرم حيث قال تعالى: ﴿**واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل**

---

(١) دائرة معارف البستاني: ٣٣٨/١، ٣٣٩ ـ مجالس ابن الشيخ ٢١٦ ـ تفسير الميزان: ج٨، ص ٦٤ ـ ٦٥، بحار الأنوار ج٦٣، ص ٢٢٤ ـ ٢٣٣. الرسائل التوحيدية ص ١٥٣ ـ ١٥٤.

على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحدٍ حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه﴾[1].

وإذا لاحظنا إستخدامات السحر فإننا نجدها في الغالب تصب في ضرر الإنسان وتستخدم غالباً في أعراض دنيئة وأهداف خبيثة، كالتلاعب بعقول الناس وسلب أموالهم والإحتيال عليهم والتفريق بين الزوجين، وبث الفتن والخصومة بين الناس وكل هذه أساليب محببة ومطلوبة لدى الشيطان.

فعن أبي جعفر عليه السلام في قصة سليمان بن داود عليه السلام: فلما هلك سليمان وضع إبليس السحر وكتبه في كتاب ثم طواه وكتب على ظهره: هذا ما وضع آصف بن برخيا[2] للملك سليمان بن داود من ذخائر كنوز العلم، من أراد كذا وكذا فليفعل كذا وكذا. ثم دفنه تحت السرير ثم استثاره لهم فقرأه فقال الكافرون: ما كان سليمان يغلبنا إلا بهذا، وقال المؤمنون: بل هو عبدالله ونبيه.

وكما في السحر كذلك في التنجيم المحرم والكهانة المضللة، فقد قال الإمام الصادق عليه السلام: «المنجم كالكاهن، والكاهن كالساحر، والساحر كالكافر، والكافر في النار»[3].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ثلاثة لا يدخلون الجنة: مدمن الضمر، ومدمن سحر، وقاطع رحم»[4].

ـ يقول السيد الأصفهاني: «المراد به ـ السحر ـ ما يهل من كتابة أو تكلُّم أو دخنة أو تصير أو نفث أو عقد ونحو ذلك، يؤثر في بدن المسحور أو قلبه أو عقله، فيؤثر في إحضاره أو إنامته أو إغمائه أو تحبيبه أو تبغيضه ونحو ذلك»[5].

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام: «من تكهنَّ أو تكهِّن له فقد برىء من

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٠٢.
(٢) آصف بن برخيا = كان كاتب سليمان عليه السلام وهو الذي كان عنده علم من الكتاب.
(٣) الذنوب الكبيرة ـ دستغيب ـ ج٢، ص ٧٣.
(٤) وسائل الشيعة، ج١٧، باب الأطعمة والأشربة ـ المؤلف الحر العاملي.
(٥) وسيلة النجاة، ج ٢، السيد الأصفهاني.

دين محمد ﷺ»[1].

ـ مع النبي محمد ﷺ وأمته:

ـ كما كان للشيطان صولات وجولات مع الأنبياء وأممهم كذلك له مع هذه الأمة صولات وجولات مشابهة ولعلها تكون الأشد والأقوى. فهذه الأمة هي خير الأمم وآخرها نزلت خلاصة رسالات السماء وآخرها عليهم، وأرسل خيرة الأنبياء وخاتمهم إليهم.

إذن هذه هي فرصة الشيطان الأخيرة، فلم يبق من الدنيا إلا النزر القليل، وقد شارفت مهلته في هذه الدنيا على الإنتهاء، فليصب جام غضبه، وليحكم خططه ولينصب شباكه كي يفتك بأكبر قدر ممكن من بني آدم فيوردهم مورده. فلعله يشفي غيظه ويطفىء نار حسده، وخصوصاً وهو يمتلك ما لا يحصى من التجارب والخيرات في هذا المضمار طيلة القرون الماضية والعصور السالفة.

في تفسير علي بن ابراهيم في خبر ولادة النبي ﷺ: لما رأت الشياطين ما حدث من الآيات لولادته، ونزول الملائكة ورمي الشياطين بالشهب، أنكروا ذلك، واجتمعوا إلى إبليس فقالوا: قد منعنا من السماء، وقد رمينا بالشهب، فقال: اطلبوا فإن أمراً قد حدث في الدنيا، فرجعوا فقالوا: لم نر شيئاً. فقال إبليس: أنا لها بنفسي فجال بين المشرق والمغرب حتى انتهى إلى الحرم فرآه محفوفاً بالملائكة وجبرائيل على باب الحرم بيده حربة. فأراد إبليس أن يدخل فصاح به جبرائيل. فقال: أخسأ يا ملعون.

فجاء من قبل حراء فصار مثل الصر[2] فقال: يا جبرائيل صرف أسألك عنه فقال: ما هو؟ قال: ما هذا؟ وما إجتماعكم في الدنيا؟ فقال: هذا نبي هذه الأمة ولد وهو آخر الأنبياء وأفضلهم.

قال: هل لي فيه نصيب؟ قال: لا.

---

(١) الخصال، الشيخ الصدوق..

(٢) طير صغير.

قال: ففي أمته؟ قال: بلى. قال: قد رضيت[1].

فالشيطان لم يقنع بدون نصيبه من هذه الأمة، يضلهم ويغويهم كما فعل في الأمم السابقة.

وشرع الشيطان في عمله الخبيث ضد الرسالة الجديدة والأمة الفتية بأساليب مختلفة من رصد وتثبيط عن هذه الرسالة ورسولها، ووضع العراقيل والعقبات في سبيل انتشارها وبث الفتن المظلمة في أوساط المؤمنين بها.

عن جابر بن عبدالله الأنصاري(رض)، تمثل إبليس ـ لعنه الله ـ في أربع صور:

تمثل يوم بدر في صورة سراقة بن مالك المدلجي فقال لقريش: لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إني برئ منكم.

وتصور يوم العقبة في صورة بن الحجاج فنادى: أن محمداً والصباة معه عند العقبة فأدركوهم، فقال رسول الله ﷺ للأنصار: لا تخافوا فإن صوته لن يعدوه. وتصور يوم إجتماع قريش في دار الندوة في صورة شيخ من أهل نجد وأشار عليهم في النبي ﷺ بما أشار فأنزل الله تعالى: ﴿**وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين**﴾.

وتصور يوم قبض النبي ﷺ في صورة المغيرة بن شعبة فقال: أيها الناس لا تجعلوها ـ الخلافة ـ كسروانية ولا قيصرية وسعوها تتسع فلا تردوها في بني هاشم فينتظر بها الحبالى[2].

والنتيجة هي أن للشيطان تاريخ أسود مليء بالشر والجريمة مع بني البشر وذلك عبر محاولاته الدؤوبة والجادة في حرفهم عن الصراط المستقيم، وحيث لم يستثن أحداً من البشر فكانت مسيرة البشرية مليئة بصرعى الشيطان الذين كانوا يتساقطون تحت أقدامه كتساقط الأوراق في الخريف.

وهو يرمقهم جذلاً مسروراً لأنه نجح في إضلالهم وإيصالهم إلى النار

---

(١) بحار الأنوار، الشيخ المجلسي، ج٦٣، ص ٢٤١.
(٢) بحار الأنوار، الشيخ المجلسي، ج٦٣، ص ٢٣٣.

وبئس القرار.

إلا أن هناك فئة قليلة هي التي استطاعت أن تقاوم إغواء الشيطان فحافظت على استقامتها إلى النهاية، هؤلاء هم المخلصون وذلك بفضل استنارتهم بنور عقولهم واعتصامهم بخالقهم.

ولعل من المفيد أن نختم هذا الفصل بقصة طريفة تلخص تاريخ الشيطان مع بني آدم:

ـ فعن علي بن محمد الصوفي أنه لقي إبليس وسأله فقال له: من أنت؟ قال: أنا من ولد آدم. فقال: لا إله إلا الله أنت من قوم يزعمون أنهم يحبون الله ويعصونه، ويبغضون إبليس ويطيعونه، فقال: من أنت؟ فقال: أنا صاحب الميسم، والإسم الكبير والطبل العظيم وأنا قاتل هابيل، وأنا الراكب مع نوح في الفلك، أنا عاقر ناقة صالح أنا صاحب نار إبراهيم، أنا مدبر قتل يحيى، أنا ممكن قوم فرعون من النيل، أنا مميل السحر وقائده إلى موسى، أنا صانع العجل لبني إسرائيل، أنا صاحب منشار زكريا، أنا السائر مع أبرهة إلى الكعبة بالفيل، أنا المجمع لقتال محمد يوم أحد وحنين، أنا ملقي الحسد يوم السقيفة في قلوب المنافقين أنا صاحب الهودج يوم الخريبة والبعير ـ يوم الجمل ـ أنا الواقف في عسكر صفين، أنا الشامت يوم كربلاء بالمؤمنين أنا إمام المنافقين أنا مهلك الأولين، أنا مضل الآخرين، أنا شيخ الناكثين، أنا ركن القاسطين أنا ظل المارقين، أنا أبو مرة، مخلوق من نار لا من طين أنا الذي غضب الله عليه رب العالمين[1].

قال تعالى: **﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون﴾**[2].

ـ شبهة وحل:

ـ ذكرت بعض الآيات القرآنية الدالّة على عصمة الأنبياء أنَّهم يُعتبرون من

---

(١) بحار الأنوار، الشيخ المجلسي، ج٦٣، ص ٢٥٣.

(٢) سورة الانعام، الآية: ١١٢.

(المخلصين)، ولا يطمع الشيطان فيهم، مع أنّ القرآن الكريم نفسه يذكر بعض تصرّفات وتأثيرات الشيطان في الأنبياء عليهم السلام، منها ما ورد في الآيات التالية:
﴿يا بني آدم لا يفتِنَنَّكُم الشيطان كما أخرَجَ أبويكم من الجنّة﴾[1] **﴿إذ نادى ربّهُ أني مسّني الشَّيطانُ بنُصبٍ وعذاب﴾**[2].

﴿وما أرسلنا من قبلك من رسولٍ ولا نبيٍّ إلاّ إذا تَمَنّى ألقى الشَّيطان في أُمنيّته﴾[3].

- ففي الآية الأولى تنسب للشيطان خداعه لآدم وحواء، والذي أدَّى إلى خروجهما من الجنَّة.

والآية الثانية على لسان أيّوب عليه السلام - كما ذكرنا سابقاً -.

والآية الثالثة حيث تنسب نوعاً من الوساوس الشيطانيّة لجميع الأنبياء.

السؤال هو: كيف يتلاءم تأثير الشيطان في الأنبياء مع عصمتهم؟

الجواب: لم يُلحظ في هذه الآيات أيُّ تصرف أو تأثير شيطانيٌّ أدى إلى مخالفة الأنبياء عليهم السلام للتكاليف الإلزاميّة، أما الآية (٢٧) من سورة الأعراف، فتشير إلى وسوسة الشيطان لآدم وحوّاء للأكل من (الشجرة المنهيّة) فإنَّه لم يتعلَّق نهي تكليفيٌّ بالأكل، بل الوارد فحسب هو تذكير آدم وحواء وتنبيهما على أنَّ الأكل منها سيؤدّي إلى الخروج من الجنّة والهبوط إلى الأرض وأنّ وسوسة الشيطان سبَّبت مخالفتهما لهذا النهي الإرشادي[4]، والملاحظ أنّ ذلك العالم ليس عالم التكليف، ولم تنزل شريعة بعد.

(بل ترك الأمور المحبوبة، لا يوجب شيئاً على التارك عادة، ألا ترى أنَّ الذي لا يصلي نافلة المغرب، غير معاب، بينما من يخالط النسوة يُعاب، وليس ذلك إلا لأنّ الأول ترك، والثاني فعل، وإقدام[5].

(١) سورة الأعراف، الآية: ٢٧.
(٢) سورة ص، الآية: ٤١.
(٣) سورة الحج، الآية: ٥٢.
(٤) دروس في العقيدة الإسلامية (١ - ٢)، محمد تقي اليزدي، ص ٢٤٩.
(٥) عصمة الأنبياء، علي حسين مكي، ص ٨٢.

وأما الآية (٤١) من سورة (ص) فإنَّها تشير إلى المتاعب والتحدّيات التي توجَّهت لأيّوب عليه السلام من قبل الشيطان، وليس فيها أيَة دلالة على مخالفته للأوامر والنواهي الإلهيَّة، وأمّا الآية (٥٢) من سورة الحج فهي مرتبطة بالعراقيل التي يواجه بها الشيطان نشاطات الأنبياء عليهم السلام جميعاً وجهودهم، والعقبات التي يضعها في سبيل وصولهم إلى أهدافهم في مجال هداية الناس.

وأخيراً فإنَّ الله تعالى يبطل مكر الشيطان وحيله، ويثبّت الدين الحقّ.

الفصل الثامن

ب ـ من صفات الشيطان:

ـ بعد أن عرفنا طرفاً يسيراً من أخبار الشيطان والتي أعطتنا صورة تقريبية عنه وعن كيفية سلوكه مع البشر. فلا بأس أن نقترب أكثر منه فنتعرف على عدد من صفاته التي تميز بها وأهدافه ووسائله وأسلحته التي تميز بها، والتي حدثنا عنها القرآن الكريم وأهل بيت العصمة عليهم السلام وكثيرون يعتقدون بأن الشيطان مخلوق شرير فحسب، دون أن يتعمقوا أكثر في معرفتهم فيدققوا في صفات هذا المخلوق وما يتميز به من صفات خبيثة.

بينما إذا تمكنوا من معرفة ذلك فإنهم سيتمكنون من إدراك عمق الخطر الذي ينتظرهم منه، حينها سيبحثون عن سبل مواجهته والتحصن ضدّه.

وأهم الصفات التي ركز عليها القرآن الكريم ما يلي:

١ ـ الكفر وكفران النعمة:

ـ قال الله تعالى: **﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلاّ إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين﴾**[(١)].

﴿إنَّ المبذّرين كانوا إخوان الشَّياطين وكان الشيطان لربّه كفوراً﴾[(٢)].

والكفر هو الجحود، أي معاندة الحقيقة، ولا يكون الجحود إلا في الحالة

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٣٤.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٢٧.

التي يدرك فيها الحق ومع ذلك فهو يخالفه[١]، وبعبارة أخرى: الجحود هو أن يسلم العقل والفكر بسبب المنطق والدليل وتصبح الحقيقة واضحة جلية، ولكن الروح والإحساس يأبيان التسليم والإذعان تعالياً وتكبراً عليها[٢].

وقصة الشيطان الواردة في القرآن الكريم ليست إلا أنموذجاً حياً لكفر القلب وتسليم العقل، فالشيطان يعرف الله ويؤمن بيوم البعث ويعرف بوضوح تام الرسل وأوصياءهم ويعترف بمنزلتهم، ولكن الله سبحانه يطلق عليه صفة الكافر بقوله: ﴿**وكان من الكافرين**﴾[٣].

والدليل على أن الشيطان يعرف الله هو اعترافه بأن الله قد خلقه بنص القرآن الكريم: ﴿**خلقتني من نار وخلقته من طين**﴾[٤].

والدليل على أنه يؤمن بالآخرة قوله تعالى حكاية عن الشيطان: ﴿**قال أنظرني إلى يوم يبعثون**﴾[٥].

والدليل على أنه يعرف الأنبياء والمعصومين قوله تعالى حكاية عنه: ﴿**قال فبعزَّتك لأغوينهم أجمعين إلاَّ عبادك منهم المخلصين**﴾[٦].

والمراد من عباده المخلصين أولئك الأفراد الذين لم تكن أعمالهم مخلصة فحسب، وإنما وجودهم بأجمعه قد تحرّر من غير الله وهم الأولياء والمعصومون من الذنوب فهؤلاء كان الشيطان يعرفهم ويعتقد بعصمتهم.

في الوقت الذي ينسب القرآن معرفة هذه الأمور كلها للشيطان فهو يطلق عليه اسم الكافر.

والسؤال: لماذا كان الشيطان بكل هذه المعرفة التي يتمتع بها قد أدرج مع الكافرين بمقياس القرآن الكريم؟

---

(١) العدل الإلهي ـ مطهري ـ ص ٣٦٢.
(٢) العدل الإلهي ـ مطهري ـ ص ٣٦٢.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٣٤.
(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٢.
(٥) سورة الأعراف، الآية: ١٤.
(٦) سورة ص، الآية: ٨٢ ـ ٨٣.

الجواب: لأن إدراكه قد استسلم للحقيقة أما إحساساته فتمردت عليها، ووقف قلبه أمام عقله ورفض قبول الحقيقة واستكبر عليها، إنه كان محروماً من تسليم القلب[١].

وقد كفر الشيطان حينما جحد بنعم الله، ونسي فضله عليه فعصى ربه وخالف إرادته، وبذلك فإنه لم يؤد حق الربوبية.

فعن أبي عبدالله الصادق عليه السلام وقد سئل عن الكفر والشرك أيهما أقدم، فقال: الكفر أقدم وذلك أن إبليس أول من كفر[٢]، وكان كفره غير شرك، لأنه لم يدع إلى عبادة غير الله وإنما دعا إلى ذلك بعد فأشرك[٣].

ولا شك أن الكفر وشقيقه الشرك كانا أعظم ما عصي به الله في الأرض.

وكانت هاتان المعصيتان تمثلان الطابع المميز لمسيرة البشر منذ فجر التاريخ حتى قال الله سبحانه: **﴿فأبى أكثر الناس إلا كفوراً﴾**[٤].

﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾[٥].

وكان من مظاهر هاتين المعصيتين مواجهة الكفار والمشركين لكل رسالة سماوية ومحاربة الرسل والمصلحين بمختلف الوسائل من دعايات مضادة وإرهاب. وما دام مؤسس هذا المذهب موجوداً إلى اليوم فمنهجه موجود وبالتالي أتباعه وتلاميذه والسائرون على خطاه من عباد الدنيا والشهوات المحرمة.

في الحديث القدسي: خلقت عبادي حنفاء، فاجتالتهم الشياطين عن دينهم وأمروهم أن يشركوا بي غيري[٦].

---

(١) للمزيد من المعرفة حول «التسليم» انظر كتاب العدل الإلهي ـ الشهيد مطهري ـ ص ٣٣٤.

(٢) انظر التعليقة رقم (١١) ـ في قسم التعليقات لمعرفة آراء العلماء حول كفر إبليس.

(٣) بحار الأنوار ـ الشيخ المجلسي، ج٦٣، ص ١٩٨.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٩٨.

(٥) سورة يوسف، الآية: ١٠٦.

(٦) كلمة الله ـ السيد حسن الشيرازي، ص ٣٤.

٢ ـ العصيان:

قال الله تعالى: **﴿إن الشّيطان كان للرحمان عصيّاً﴾**[١].

الشيطان عصي للرحمان لا يأمر بشيء فيه رضاه وإنما يوسوس بما فيه معصيته المؤدية إلى عذابه وسخطه والعكوف على معصيته وخاصة في أخص حقوقه وهي عبادته وحده، فيه مخافة أن ينقطع عن العامي رحمته وهي الهداية إلى السعادة وينزل عليه عذاب الخذلان فلا يتولى الله أمره فيكون الشيطان هو مولاه وهو ولي الشيطان وهو الهلاك.

والشيطان مقيم على معصية الله الذي هو مصدر كل رحمة ونعمة فهو لا يأمر إلا بما فيه معصيته والحرمان عن رحمته.

٣ ـ الخذلان:

قال تعالى: **﴿وكان الشّيطان للإنسان خذولاً﴾**[٢].

ـ الخذلان بضم الخاء، ترك من يظن به أن ينصر نصرته، وخذلانه أنه يعد الإنسان أن ينصره على كل مكروه إن تمسك بالأسباب ونسي ربه فلما تقطعت الأسباب بظهور القهر الإلهي يوم الموت جزئياً ويوم القيامة كلياً خذله وسلمه إلى الشقاء، قال تعالى: **﴿كمثل الشيطان إذ قال للإنسان أكفر فلما كفر قال إني بريء منك﴾**[٣].

وقال فيما يحكي عن الشيطان يوم القيامة: **﴿ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي إني كفرت بما أشركتمون من قبل﴾**[٤].

وفي هذه الآيات الثلاث إشعار بل دلالة على أن السبب العمدة في ضلال

---

(١) سورة مريم، الآية: ٤٤.

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٢٩.

(٣) سورة الحشر، الآية: ١٦.

(٤) سورة ابراهيم، الآية: ٢٢.

أهل الضلال ولاية أهل الأهواء وأولياء الشيطان.

٤ ـ العصبية:

ـ قال الله تعالى: ﴿**قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين**﴾[(١)].

تجلت العصبية في أوضح صورها عندما صرح إبليس بمكنون صدره، فأطلق كلمته العنصرية والتي بقيت سنة سيئة مدى التاريخ لكل العنصريين الذين يتعصبون لعنصرهم ولكل من يتعصب لقوم أو لطائفة بغير حق.

وكان من ثمار هذه الشجرة الخبيثة ما جرّته وراها من عداء، وخصومة بين البشر وما أشعلته من حروب طاحنة، وما أراقته من دماء كل ذلك باسم العنصرية، ثم جاء من استغل هذا الشعار في تقسيم العالم وسن قوانين التمييز العنصري بين الأخوة من بني آدم فهذا أبيض وذاك أسود وهذا عربي وذاك أعجمي إلى آخر شعارات التميز والتفتيت بين بني البشر الذين خلقهم الله من أب واحد وأم واحدة وعنصر واحد، ولهدف واحد ومصير واحد. ﴿**يا أيها الناس إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا، إن أكرمكم عند الله أتقاكم**﴾[(٢)].

فعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «إنّ الملائكة كانوا يحسبون أنّ إبليس منهم، وكان في علم الله أنّه ليس منهم، فاستخرج ما في نفسه بالحميّة والغضب وقال: خلقتني من نار وخلقته من طين»[(٣)].

وعن الإمام علي عليه السلام قال في ذم إبليس: «... فافتخر على آدم بخلقه، وتعصّب عليه لأصله، فعدوّ الله إمام المتعصبين، وسلف المستكبرين، الّذى وضع أساس العصبيّة، ونازع الله رداء الجبريّة، وادّرع لباس التعزّز، وخلع

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٢.

(٢) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

(٣) وسائل الشيعة ـ الحر العاملي ـ ج١١، ص ٢٩٧.

قناع التّذلّل»[1].

كما وجاء في التفسير: ولقد كان جواب إبليس واضحاً لقد كان سبب عصيانه العنصرية والزعم بأن عنصره أفضل من عنصر آدم.

وعموماً هناك مقياسان للإنسان إما مقياس الذات، وإما مقياس العمل الصالح، فإذا كان مقياس الشخص ذاته فإنه سوف لا يقف عند حد في جريمته لأنه لا يرى شيئاً أقدس من ذاته أو أعلى من نفسه. ومن هنا فإن جذر كل المشاكل البشرية هو: تقوقع الإنسان في ذاته وإعتقاده بأن ذاته هي المقياس.

وما الإقليمية، والقومية، والعشائرية، وكل الحواجز الذاتية ما هي سوى آثار لهذه العنصرية المقيتة ولكن مقياس الحق هو مقياس العمل الصالح لا فرق بين عامله من يكون ومن أي عنصر..»[2].

٥ ـ الغرور والكذب والجبن:

ـ قال الله تعالى: **﴿وما يعدهم الشيطان إلاّ غروراً﴾**[3].

فالغرور والكذب والجبن من أبرز صفات إبليس، إذ أنه يستخدمها لتسهيل وتنفيذ مخططه، وهذه الوسائل استخدمها مع آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ ويستخدمها مع بني آدم في كل زمان ومكان، فمخططه لا ينجح إلاّ بذلك.

وحتى أتباعه لا ينجحون إلاّ بذلك ولو أنهم كشفوا للناس عن حقيقة نواياهم الخبيثة لولّى الناس عنهم، فلا بد من رفع الرايات الكاذبة ليجذبوا الناس إليهم فيرفعون رايات الحرية والمساواة والإخاء ولا شيء من ذلك في عالم الواقع.

ولقد ظهرت هذه الصفة بصورة عملية في معركة بدر عندما عزم الكفار على محاربة المسلمين «فتبدى لهم إبليس في صورة سراقة بن مالك المدلجي

---

(١) شرح نهج البلاغة، ج١٣، ص ١٢٧ ـ خطبة ١٩٢.
(٢) من هدى القرآن، ج١، ص ٢٨٢.
(٣) سورة الإسراء، الآية: ٦٤.

وكان من أشراف كنانة فقال لهم: «لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم» من أن تأتيكم كنانة بشيء تكرهونه فخرجوا والشيطان جار لهم لا يفارقهم فلما بعثوا للقتال ورأى عدو الله جند الله قد نزلت من السماء فرّ ونكص على عقبيه فقالوا: إلى أين يا سراقة ألم تكن قلت أنك جار لنا لا تفارقنا فقال: «إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب» وصدق في قوله إني أرى ما لا ترون وكذب في قوله إني أخاف الله»[1].

لقد ألقى في نفوسهم أن لا غالب لكم اليوم من الناس وأوحى إليهم أنهم هم الأقوياء وخدعهم بكثرتهم وقام يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً... ومع ذلك كله خسروا المعركة وذلك لأن وحيهم كان من وحي الباطل. «يمد بعضهم بعضاً بوسائل الخداع والغواية وفي الوقت ذاته يغوي بعضهم بعضاً، وهي ظاهرة ملحوظة في كل تجمع للشر في حرب الحق وأهله...

إن الشياطين يتعاونون فيما بينهم ويعين بعضهم بعضاً على الضلال أيضاً، إنهم لا يهدون بعضهم بعضاً إلى الحق أبداً ولكن يزين بعضهم لبعض عداء الحق وحربه والمضي في المعركة معه طويلاً»[2].

٦ ـ الكبر:

ـ قال تعالى: **﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس﴾** إلى **﴿وإستكبر وكان من الكافرين﴾**[3].

حينما يتعالى شخص على الآخرين فينظر إليهم نظرة احتقار وانتقاص سواء لمستواهم المادي أو الإجتماعي، أو لمظهرهم الخارجي أو غير ذلك زاعماً في نفسه أنه الأفضل والأكمل، هنا تظهر عليه صفة الكبر وتصبغه بلونها القبيح والنموذج الأول الذي جسد هذه الصفة هو إبليس حينما لاحظ آدم عليه السلام

---

(١) زاد المعاد، ابن القيم، ج٢، ص ٨٨.

(٢) في ظلال القرآن ـ سيد قطب، ج٣، ص ١١٩١.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٣٤.

فاحتقره لأصله الترابي وقاسه إلى أصله الناري، فكبرت عليه نفسه، وامتنع عن السجود له.

﴿قال يا إبليس مالك ألا تكون مع الساجدين قال: لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأٍ مسنون﴾[(١)].

وقد نهى الإسلام عن الكبر. لأنه من خلق إبليس الرجيم.

وعن الإمام علي عليه السلام: (إياك والكبر فإنه أعظم الذنوب، والأم العيوب وهو حلية إبليس)[(٢)].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردلٍ من الكبر»[(٣)].

وقد سئل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن معنى الكبر فقال:

(الكبر أن تترك الحق وتتجاوز إلى غيره، وتنظر إلى الناس ولا ترى أن أحداً عرضه كعرضك، ولا دمه كدمك)[(٤)].

فالكبر يعني الركون إلى رؤية النفس فوق الغير، وبعبارة أوضح: هو عزةٌ وتعظيم يوجب رؤية النفس فوق الغير، وإعتقاد المزيّة والرجحان عليه؛ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يحشر المتكبرون يوم القيامة في مثل صور الذرّ، تطؤهم الناس لهوانهم على الله تعالى.. يسقون من طينة الخبال، وعصارة أهل النار..»[(٥)].

قال عيسى بن مريم: «كما أن الزرع ينبت في السهل، ولا ينبت على الصفاء، كذلك الحكمة تعمر في قلب المتواضع ولا تعمر في قلب المتكبّر. ألا ترون أنه من يشمخ برأسه إلى السقف شجّه، ومن يطأطئ أظلّه

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٣٢.

(٢) ميزان الحكمة ـ ج٨، ص ٢٩٨/ غرر الحكم.

(٣) جامع السعادات، النراقي، ج١، ص ٣٤٦.

(٤) بحار الأنوار، الشيخ المجلسي، ج٧٧، ص ٩٠. مكارم الأخلاق ـ أمالي الشيخ تنبيه الخواطر.

(٥) كنز العمال، ج٢، ص ١٠٧.

وأكنّه»[1].

ثم بين الإسلام عاقبة الكبر الوخيمة. فعن النبي ﷺ: «يا أبا ذر من مات وفي قلبه مثقال ذرة من كبر لم يجد رائحة الجنة إلا أن يتوب قبل ذلك»[2].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «الكبر قد يكون في شرار الناس من كل جنس، والكبر رداء الله فمن نازع الله عز وجل رداءه لم يزده الله إلاّ سفالاً»[3].

وقال الإمام الباقر عليه السلام: «العزُّ رداء الله والكبر إزاره، فمن تناول شيئاً منه أكبَّه الله في جهنم»[4].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «فاعتبروا بما كان من فعل الله بإبليس إذ أحبط عمله الطويل، وجهده الجهيد عند كبر ساعة واحدة، فمن ذا بعد إبليس يسلم على الله بمثل معصيته[5].

وقد تلبس إبليس برداء الكبر حينما امتنع عن السجود لآدم فطلب من الله أن يعفيه من السجود على أن يعوض ذلك بما يفوقه من الطاقات ظناً منه بأن الله سبحانه سيصدق كذبته المكشوفة.

فعن أمير المؤمنين عليه السلام: فقال إبليس: يا رب اعفني من السجود لآدم وأنا أعبدك عبادة لم يعبدكها ملك مقرب ولا نبي مرسل، قال الله تبارك وتعالى: لا حاجة لي إلى عبادتك إنما أريد أن أعبد من حيث أريد لا من حيث تريد[6].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: والله لو أن إبليس سجد لله بعد المعصية والتكبر عمر الدنيا، ما نفعه ذلك، ولا قبله الله عز وجل منه ما لم يسجد لآدم كما أمره الله أن يسجد له[7].

---

(١) إحياء العلوم، ج٢، ص ٢٩٠.
(٢) ميزان الحكمة ـ محمدي الري شهري ـ المجلد الثامن، ص ٣٠٣.
(٣) صحيح الكافي ـ كتاب الإيمان والكفر ـ ج١، ص ١١١.
(٤) جامع السعادات، النراقي، ج١، ص ٣٤٨.
(٥) نهج البلاغة ـ خطبة القاصعة ـ ص ٢٨٧.
(٦) بحار الأنوار، الشيخ المجلسي، ج٦٣، ص ٢٧٤.
(٧) بحار الأنوار، الشيخ المجلسي، ج٦٣، ص ١٩٨.

إذن: صار إبليس بإبائه وإستكباره عند نفسه أمكر الماكرين وأحكم كل حكيم واعلم كل عليم حتى أنه ظن أنه أعلم ممن علمه فلما أعيته فيه الحيل صار أغفل من كل جاهل ورضى بهلاك نفسه وأوثق عقد إصراره وأخذ يجتهد في هلاك غيره ثم رضى بخساسة همته وردائه طبعه وقنع بمدة يسيرة يعلم سرعة إنقضائها فقال (انظرني إلى يوم يبعثون) فصارت لذته في المكايدة والمغايضة والنفاق مدة يسيرة لعنه الله(١).

٧ ـ العداوة:

ـ يعرّف القرآن المجيد، في عدد من آياته، يعرّف الشيطان بأنه عدو الإنسان، ويطلب من الإنسان أن يتصرف ويتعامل مع هذا الموجود كتعامله مع العدو الذي يواجهه. قال تعالى: **﴿إنَّ الشَّيطانَ لكم عدُوٌّ فاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً﴾**(٢).

﴿إنَّ الشيطانَ للإنسان عدُوٌّ مبين﴾(٣).

﴿إنَّ الشّيطان ينزغ بينهم إنَّ الشَّيطان كان للإنسان عَدُوّاً مُبيناً﴾(٤).

لا يمكن تصور مقدار عداء الشيطان للإنسان، فالإنسان عادة يتعامل مع العدو الخارجي والذي يشعر به مادياً. فإذا ما اعتدى عليه شخص ما بضرب، أو شتم، أو استولى على حق من حقوقه مثلاً فإن هذا الشخص سيكون عدوه بلا شك.

ومن ثم سيتخذ جميع الإحتياطات اللازمة لرد كيده ودفع غائلته وقد لا ينسى عداوته طيلة عمره.

هذا بالنسبة للعدو المرئي والمحسوس. فكيف إذن بالعدو الخفي، العدو الداخلي، الشيطان الرجيم؟

---

(١) الكشكول ـ السيد حيدر الحسيني الآملي، ص ١٧.
(٢) سورة فاطر، الآية: ٦.
(٣) سورة يوسف، الآية: ٥.
(٤) سورة الإسراء، الآية: ٥٣.

لعلنا نستصعب تصور هذه العداوة الخفية، ولكننا حينما نقرأ تعاليم الله سبحانه ووصايا الأنبياء والأوصياء عليهم السلام نجد التأكيد الشديد على أمر هذه العداوة وأنها أخطر من العداوة الحسية والخارجية لأن هذه قد تكون جزءاً ونتيجة لتلك.

وإذا كان العدو الخارجي يريد منك حاجة مادية ويرضى بنيلها منك. فإن هذا العدو الداخلي لا يرضى إلا بإمتلاك قلبك وزعزعة إيمانك وإحباط عملك ومن ثم السيطرة عليك.

وهذه العداوة الشيطانية قديمة المنشأ، نشأت مع خلق آدم وستستمر إلى يوم الوقت المعلوم فهي عداوة متجددة، ودائمة، وشاملة، لجميع جنس البشر وليس خاصة بآدم وحده.

يقول تعالى واصفاً عداء الشيطان لبني آدم على لسانه:

﴿قال أرأيتك هذا الذي كرمت عليّ لئن أخرتن إلى يوم القيامة لاحتنكن ذريته﴾[1].

وكما جاء في الأحاديث عن أهل بيت العصمة، عن عداء الشيطان للإنسان، والحذر منه، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «... ثم أسكن سبحانه آدم داراً أرغد فيها عيشه، وآمن فيها محلّته وحذّره إبليس وعداوته، فاغترّه عدوّه نفاسةً عليه بدار المقام، ومرافقة الأبرار فباع اليقين بشكه...»[2].

وفي مواعظ الإمام الكاظم عليه السلام لهشام،... فقلتُ له: فأيّ الأعداء أوجبهم مجاهدة؟ قال عليه السلام: «أقربهم إليك وأعداهم لك... ومن يحرّض أعدائك عليك وهو إبليس..»[3].

ويقول أمير المؤمنين عليه السلام: «احذروا عدوّاً نفذ في الصّدور خفيّاً، ونفث

(١) سورة الإسراء، الآية: ٦٢. لأحتنكنّ: لاستأصلنّهم بالإغواء.

(٢) نهج البلاغة، خطبة ١.

(٣) بحار الأنوار ـ الشيخ المجلسي ـ ج٧٨، ص ٣١٥.

في الآذان نجيّاً»[1].

وفي المناجاة عند الإمام علي بن الحسين عليه السلام: «إلهي أشكو إليك عدوّاً يضلّني، وشيطاناً يغويني قد ملأ بالوسواس صدري وأحاطت هواجسه بقلبي، يعاضد لي الهوى، ويزيّن لي حب الدّنيا ويحول بيني وبين الطّاعة والزّلفى..»[2].

وفي موضع آخر يقول الإمام السجّاد عليه السلام في وصف هذا العدو: «وقد استحوذ عليّ عدوك الذي استنظرك لغوايتي فأنظرته، وإستمهلك إلى يوم الدين لإضلالي فأمهلته، فأوقعني وقد هربت إليك من صغائر ذنوب موبقة وكبائر أعمال ردية حتى إذا قارفت معصيتك، واستوجبت بسوء سعي سخطتك فتل عني عذار غدره، وتلقاني بكلمة كفره، وتولى البراءة مني، وأدبر مولياً عني، فأصحرني لغضبك فريداً، وأخرجني إلى فناء نقمتك طريداً، لا شفيع يشفع لي إليك، ولا حصن يحجبني عنك ولا ملاذ ألجأ إليه منك»[3].

٨ ـ الجدل:

ـ قال الله تعالى: **﴿وإنَّ الشَّياطين لَيُوصونَ إلى أوليائِهم ليُجادِلوكم﴾**[4].

إن من الصفات التي يتمثل بها الشيطان هي صفة الجدل واللجاجة، وتوحي الشياطين لأوليائها بذلك.

وهذه الصفات الذميمة التي تجرح عواطف الآخرين بشدة، وتقطِّع أوصال المحبة والوئام (كثرة الجدل واللجاجة)، فاللجوج المجادل إن لم يكن يعلم أسباب سلوكه الجدلي، فليعلم أن الإفراط في حب الذات من العوامل الأساسية لنشوء هذه الخصلة المذمومة عنده، وأنها ترتوي من منبع هذه الغريزة.

إن الشخص اللجوج المجادل من أجل أن يروي عطش غروره يعترض على

(١) ميزان الحكمة ـ محمدي الري شهري ـ المجلد الخامس، ص ٨٠/ غرر الحكم.
(٢) مفاتيح الجنان ـ القمي ـ مناجاة الشاكين.
(٣) الإستعاذة ـ دستغيب ـ ص ٢١.
(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٢١.

كل متكلم أو كل من له رأي خاص بموضوع، واعتراضه ذاك لا يكون للإرشاد أو رفع الشبهة، بل لكي يثبت بهذه الطريقة التافهة فضائله الموهومة ولكي يحطم شخصية المتكلم بانتقاداته غير الصحيحة واتهامه باللغو وسوء الفهم. وقد يتستر اللجوج في بعض أو أغلب أحيانه بستار من كلمات الإستفهام أو الإستفسار أو الإستعلاء أو الإستيضاح.

والجدير بالذكر أن الشخص المهان ستصدر عنه ردود فعل تصل في بعض أحيانها إلى الإنتقام.

وهذا ما يهم الشيطان تفشي هذه الصفة بين أفراد الأمة الواحدة قد يؤدي بهم إلى فقد وحدتهم في الفكر والسلوك ويجرُّهم إلى نزاعات ما كان لتكون.

يقول أحد العلماء: العقل مصباح منير يهدي البشر في ظلم الجهل ويرفع عنه أعباء مشاكله، وها نحن نفخر على سائر المخلوقات بأنا ندرك به مقدمات الأمور وأسبابها ونتائجها[1].

ولكن الويل لنا لو أردنا أن نكشف عن حقيقة بقوة الجدل، فإن المناقشة الجدلية لا تؤثر شيئاً سوى اضطراب الفكر والخيال، ثم لا أثر لها سوى أن تبدي جهل الطرفين وخطأهم في البحث العلمي لا غير، وأنها لا تستطيع أن تغيِّر فكر الآخرين وتجعلهم تبعاً لأفكارنا.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من المروءة أن ينصت الأخ لأخيه إذا حدثه»[2]

وقال الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «لا يستكمل عبد حقيقة الإيمان حتى يدع المراء، وإن كان حقاً»[3].

٩ ـ الحسد:

ـ توفرت لإبليس جميع الظروف المساعدة لنشوء الحسد في قلبه لآدم

(١) جهاد النفس ـ مظاهري ـ ص ٤٤٤.
(٢) نهج البلاغة، ص ٦٣٣.
(٣) سفينة البحار، ج٢، ص ٥٢٢.

وذريته، وبذلك أصبحت عداوته للبشر مقرونة بالحسد الأسود الذي برز واضحاً جلياً منذ أول لحظة امتحنه الله فيها وأمره بالسجود لآدم.

واستمر هذا الحسد معه إلى أن أخرج آدم من الجنة ولن يزل حسده لبني آدم حتى ينفذ فيهم خطته الجهنمية ويوصلهم إلى خسارة الدارين ولعنة الأبد والحسد هو أن لا يصبر على رؤية نعمة الغير، ويود ذهابها منه.

يقول المحقق الحلِّي: «الحسد معصية، وكذا بغض المؤمن، والتظاهر بذلك قادح في العدالة»[1].

وورد أيضاً أنه: «لا خلاف في تحريم هذين الأمرين، والتهديد عليهما في الأخبار مستفيض وهما من الكبائر، فيقدحان في العدالة مطلقاً، وإنما جعل التظاهر بهما قادحاً لأنهما من الأعمال القلبية، فلا يتحقق تأثيرهما في الشهادة إلا مع إظهارهما، وإن كانا محرومين بدون الإظهار»[2].

والحسد وهو أعظم الأدواء، وأكبر المعاصي وأشرها وأفسدها للقلب، وهو أول خطيئة وقعت في الأرض لمّا حسد إبليس آدم فحمله على المعصية، فكانت البلية من ذلك إلى الأبد، وقد أمر الله نبيه ﷺ بالإستعاذة من شره فقال: ﴿**ومن شرِّ حاسدٍ إذا حسد**﴾[3]، بعد أن استعاذ من الشيطان الرجيم والساحر وأنزله منزلتهما. والأخبار النبوية فيه لا تحصى كثرة»[4].

ـ الشيطان حسود لأنه مطرود من ساحة الرحمة فلذلك لا يستطيع أن يرى الإنسان يصل إلى مكان القرب، فهذا الإنسان الذي ينظر إليه هذا الملعون بنظر الحقارة ويقول: (خلقتني من نار وخلقته من طين) ويرى أن النار أفضل من التراب، هذا الإنسان يصل إلى المقامات العالية التي طرد منها الشيطان، وقيل

---

(١) شرائع الإسلام ـ المحقق الحلي ـ /الذنوب الكبيرة، دستغيب ـ الجزء الثاني ـ ص ٣٠٨.

(٢) المسالك ـ المحقق الشهيد الثاني/ الذنوب الكبيرة، دستغيب ـ الجزء الثاني ـ ص ٣٠٨.

(٣) سورة الفلق، الآية: ٥.

(٤) كشف الريبة ـ الشهيد الثاني.

له: ﴿**اخرج منها فإنك رجيم**﴾[1] ﴿**فما يكون لك أن تتكبر فيها**﴾[2].

وجاء في الحديث: (إن أول خطيئة كانت الحسد، حسد إبليس آدم أن يسجد له حين أمره فحمله الحسد على المعصية)[3].

(١) سورة الحجر، الآية: ٣٤.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٣.

(٣) بحار الأنوار، الشيخ المجلسي، ج٦٣، ص ٢٨١.

الفصل التاسع

ج ـ أهداف الشيطان

ـ منذ اللحظة الأولى والتي تلقى فيها اللعنة والطرد، لخص إبليس أهدافه واستراتيجيته الطويلة الأمد للمرحلة المقبلة من صراعه مع آدم وذريته، فخاطب ربه سبحانه متوعداً البشرية بقوله:

﴿لأقعدن لهم صراطك المستقيم، ثم لآتينهم من بين أيديهم، ومن خلفهم، وعن أيمانهم، وعن شمائلهم، ولا تجد أكثرهم شاكرين﴾[1].

﴿لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين، إلا عبادك منهم المخلصين﴾[2].

﴿لأتخذن من عبادك نصيباً مفروضاً، ولأضلنهم ولأمنينهم ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام، ولآمرنهم فليغيرن خلق الله﴾[3].

فالآيات الكريمة تجعلنا أمام الأهداف الخبيثة للشيطان الرجيم في سلوكه مع البشر وبالتأمل في الآيات نرى أن الأهداف كالتالي:

أولاً: حرف البشر عن هدف خلقهم الأول وإيصالهم إلى الطريق المنحرف طريق الكفر والجحود وقد روي أن النبي ﷺ خط يوماً لأصحابه خطاً وقال:

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٦.

(٢) سورة الحجر، الآية: ٣٦.

(٣) سورة النساء، الآية: ١١٨.

«هذا سبيل الله» ثم خط خطوطاً عن يمينه وشماله فقال: «هذه سبل على كل سبيل شيطان يدعو إليه» ثم تلا قوله سبحانه: **﴿وإن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾**[١].

ثانياً: استعباد أكبر قدر ممكن من البشر **﴿لاتخذن من عبادك نصيباً مفروضاً﴾**[٢].

قال رسول الله ﷺ: خلق الإنس ثلاثة أصناف: صنف كالبهائم، قال تعالى: **﴿لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها..﴾**[٣] وصنف أجسادهم أجساد بني آدم وأرواحهم أرواح الشياطين، وصنف كالملائكة في ظل الله يوم لا ظل إلا ظله)[٤].

ولا ريب أن الصنفين الأولين أقرب إلى تسلط الشيطان وسيطرته، وهم يمثلون غالبية البشر بينما الصنف الثالث يمثلون الأقلية طيلة المسيرة التاريخية للبشر.

ثالثاً: دفع البشر للإفساد في الأرض وتغيير فطرة الله ومحاربة سننه وشرائعه **﴿ولأضلنهم، ولأمنينهم ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله﴾**[٥].

رابعاً: إشراك البشر معه في مصيره الأسود وعاقبته السيئة وهي الخسران المبين في الدنيا والآخرة:

﴿لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين﴾[٦].

﴿ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم، وعن أيمانهم وعن شمائلهم، ولا تجد أكثرهم شاكرين﴾[٧].

---

(١) جامع السعادات ـ النراقي ـ ج١، ص ١٨٣.
(٢) سورة النساء، الآية: ١١٨.
(٣) سورة الأنفال، الآية: ٢٢.
(٤) جامع السعادات، ج١، ص ١٨٢.
(٥) سورة النساء، الآية: ١١٨.
(٦) سورة الحجر، الآية: ٣٦.
(٧) سورة الأعراف، الآية: ١٦.

فعن أمير المؤمنين عليه السلام: «فاحذروا عباد الله عدو الله أن يعديكم بدائه وأن يستفزكم بخيله ورجله، فلعمري لقد فوّق لكم سهم الوعيد. وأغرق بكم بالنزع الشديد ورماكم من مكان قريب»[1].

وإذا ما نفذ الشيطان استراتيجيته المرعبة تلك ونجح فيها. فهذا يعني أن النتيجة في النهاية لا غالب ولا مغلوب حسب أفضل حسابات الشيطان وبالتالي فلا مجال لتفضيل آدم وذريته. لأن النتيجة واحدة للجميع وهي الطرد من رحمة الله، والرجوع بالخيبة والخسران المبين. قال تعالى فيما حكاه عنه: ﴿**قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين، إلا عبادك منهم المخلصين قال فالحق والحق أقول: لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين**﴾[2].

وجاء في الخبر عن جعفر بن محمد الخزاعي عن أبيه قال: (سمعت أبا عبدالله عليه السلام يذكر حديث غدير خم، أنه لما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام ما قال وأقامه للناس صرخ إبليس صرخة، فاجتمعت له العفاريت فقالوا: يا سيدنا ما هذه الصرخة؟ فقال: ويلكم يومكم كيوم عيسى، والله لأضلن فيه الخلق، قال: فنزل القرآن ﴿ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقاً من المؤمنين﴾.

قال: فصرخ إبليس صرخة فرجعت إليه العفاريت فقالوا: يا سيدنا ما هذه الصرخة الأخرى؟ فقال: ويحكم حكى الله، والله كلامي قرآناً، وأنزل عليه: ﴿ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقاً من المؤمنين﴾ ثم رفع رأسه إلى السماء ثم قال: وعزتك وجلالك لألحقن الفريق بالجميع، قال. فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم، إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾ قال: ثم صرخ إبليس صرخة، فرجعت إليه العفاريت وقالوا يا سيدنا ما هذه الصرخة الثالثة؟

قال: والله من أصحاب علي، ولكن وعزتك وجلالك يا رب لأزينن لهم المعاصي حتى أبغضهم إليك.

---

(١) نهج البلاغة.

(٢) سورة ص، الآية: ٨٥.

قال: فقال أبو عبدالله: والذي بعث بالحق محمداً ﷺ للعفاريت والأبالسة على المؤمن أكثر من الزنابير على اللحم والمؤمن أشد من الجبل، والجبل تدنو إليه بالفأس فتنحت منه، والمؤمن لا يستقل عن دينه)[1].

وسائل الشيطان:

ـ الأحاديث الشريفة تقسم وسائل الشيطان في إضلال البشر إلى صنفين أساسيين هما:

١ ـ الوسائل المادية الظاهرة للحس.

٢ ـ الوسائل الخفية والتي ترتبط بعالم النفس الغامض.

وسنتطرق في هذا الفصل لجملة من هذه الوسائل مع بيان موجز لتأثيراتها.

أولاً: الوسائل الظاهرة:

نجد في قصة يحيى بن زكريا مع إبليس: قال إبليس في جوابه ليحيى عليه السلام: «جميع ما يكره الله فهو مختاري، وجميع ما يحب الله فهو منبوذي.. لأن حياتي في إستعمال مختاره (مختاري). ومماتي وهلاكي وذلي وضعفي في إستعمال مرفوضي ومنبوذي وهو الحلال الطيب من الأشياء والأحزان، ومختاري الحرام والخبيث من الأشياء والأفراح..»[2].

هذا الخبر يلخص لنا وسائل الشيطان المادية والتي بها البشر. ويشير الخبر إلى أمر حساس جداً قد يغفل عنه الكثيرون. وهو مسألة الحلال والحرام فقد يظن البعض إنما حرمت عليهم أمور طيبة ومفيدة لحياتهم وبقائهم في الحياة بينما الواقع هو أن التحريم كان خاصاً لكل ما هو خبيث ومضر فقط. أما سواه فهو حلال:

---

(١) بحار الأنوار ـ الشيخ المجلسي ـ ج٦٣، ص ٢٥٧.
(٢) بحار الأنوار ـ المجلسي ـ ج٦٣، ص ٢٣٢.

﴿يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات﴾[1].

﴿الذين يتبعون الرسول، النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث﴾[2].

وفي المقابل نرى الشيطان يسعى ليحل ما حرم الله سبحانه، ويجتهد في دفع البشر لتجاوز الحدود الشرعية بمختلف الوسائل والتبريرات.

وأهم هذه الوسائل:

١ ـ الخمر والميسر:

قال تعالى: **﴿إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان﴾**[3].

ـ تطلق كلمة «الخمر» في اللغة على كل ما من شأنه مخامرة العقل، أي حجبه وستره، فتقول خامر الشيء أي جعله يتخمّر أي أخفاه، لهذا أطلقت كلمة «خمار» على حجاب ورداء المرأة الساتر[4]. فما يستفاد من اللغة حول كلمة الخمر هو كل مائع (سائل) عمل أو جعل للسكر.. وقد كانت العرب القدماء لا يعرفون من أقسامه إلا ذلك المعمول من العنب والزبيب والشعير إلا أن الناس زادوا في أقسامه، فصارت له أنواع كثيرة ذات مراتب حسب درجات السكر[5]. وعليه فإن المخدرات التي تنتشر في زماننا اليوم سواء ما يتعاطى منها عن طريق الشم أم التدخين، أم التزريق أم غير ذلك داخل في دائرة الخمر الواسعة ـ رغم تعدد الأسماء والأشكال والدرجات ـ يعد «خمراً» لكونه يؤدي إلى نتائج واحدة من ناحية الضرر الصحي وستر العقل وحجبه.. وبالتالي فإن المخدرات تعتبر

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٤.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٥٧.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٩٠.

(٤) الخمر (حرمتها وتأثيرها على الإنسان) ـ عبد العظيم نصير المشيخصي، ص ٩.

(٥) تفسير الميزان ـ الطباطبائي ـ ج٢، ص ١٩٢.

أهم عامل من عوامل إنتشار جريمة الزنا[١].

على هذا كان الموقف الشرعي من الخمر واحداً أيضاً، فقد عرّفه الفقهاء بأنه «كل مسكر مائع بالأصالة»[٢]. لا فرق في ذلك بين القليل والكثير، كما جاء في جواب الإمام الصادق عليه السلام وعلى ذلك الرجل الذي سأله عن قليل الخمر، معتقداً أن قليل الخمر يحل شربه فقال عليه السلام: «ما أسكر كثيره فقليله حرام»[٣].

فالخمر لا يزال أساساً لكل الجرائم في التاريخ، لهذا وصفت بأنها أم الخبائث، ورأس الشر يأتي على شاربها ساعة تسلب لبه، فلا يعرف ربه ولا يترك معصية إلاّ ركبها، ولا حرمة إلا انتهكها، ولا رحماً ماسة إلا قطعها، ولا فاحشة إلا أتاها، والسكران زمامه بيد الشيطان، إن أمره أن يسجد للأوثان سجد وينقاد حيثما قاده، وجاءت الأحاديث النبوية بتحريم الخمر بصورة صريحة وواضحة منها: عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لعن الله الخمر وعاصرها وغارسها وشاربها وساقيها وبائعها ومشتريها وآكل ثمنها وحاملها والمحمول إليه»[٤].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «الخمر جماع الإثم وأم الخبائث ومفتاح الشر»[٥]. فإن العاقل الذي يملك تفكيراً ـ لا يشرب الخمر، حتى لو لم يكن مسلماً. فقد نقل عن العباس بن مرداس (وكان رئيس قومه في الجاهلية) أنه حرّم على نفسه الخمر بالفطرة، ولما سئل عن ذلك قال: «ما أنا بآخذ جهلي بيدي فادخله في جوفي، ولا أرضى أن أصبح سيد القوم، ثم أساسيّ سفيههم»[٦].

إذن: الخمر أحد الأمراض الخطيرة التي تفشت بين البشر. والسر في ذلك محاولة البشر للهروب من الواقع القاسي والفرار من المسؤولية واستشعار التشوه والراحة المزيفة عبر تعاطي الخمر وبقية المسكرات من حشيش وغيره من المخدرات السامة.

---

(١) ولا تقربوا الزنا ـ حسن مكي الخويلدي، ص ١٣٤.
(٢) العروة الوثقى ـ محمد كاظم اليزدي، ج١، ص ٥٣.
(٣) الوسائل ـ الحر العاملي ـ ج١٧، ص ٢٦٨.
(٤) ميزان الحكمة ـ ج٣، ص ١٦٠/ كتاب الخمر ـ عبد العظيم المشيخصي، ص ١٦.
(٥) ميزان الحكمة ـ محمدي الري شهري، ج٣، ص ١٦١ ـ حديث ٥١٣٣.
(٦) الخمر أم الخبائث ـ عبدالله الأنصاري ـ ص ١٨.

ولا يخفى ما جرت الخمر وأخواتها من خراب ودمار في الحياة الإنسانية وما سببته من إنحراف خطير في الفطرة السليمة لدى الملايين ممن يتعاطونها ففي أمريكا وحدها.

- يشرب الأمريكيون ٩٠ مليون زجاجة بيرة فقط يومياً.

- يدفع سائقو السيارات بسبب القيادة في حالة السكر غرامة مبلغ /٩٨/ مليون دولار يومياً.

- يتم إلقاء القبض يومياً على ١٢٥٣ شخصاً بتهمة تعاطي أو بيع وترويج الحشيش[١].

- يقول تقرير منظمة الصحة العالمية عام ١٩٨٠ والذي نقله الديلي ميل بتاريخ ٢٦/٦/١٩٨٠: (إن (٥٠) بالمئة من جميع جرائم الإغتصاب والعنف و(٨٦) بالمئة من جميع جرائم القتل تمت تحت تأثير الخمور)[٢].

وينظر الإسلام إلى مدمن الخمر نظرته إلىٰ المشرك وعابد الصنم. قال رسول الله ﷺ: «مُدمِنُ الخمر كعابدِ وثنٍ إذا ماتَ وهو مدمِنُ عليه يلقى الله عزّ وجلّ حين يلقاه كعابد وثنٍ»[٣].

والكحول يزيل الحياء، ويمزق أستار العفاف ويطلق الشخص من جميع القيود والتقاليد الاجتماعية والدينية والأخلاقية ويخنق نداء الضمير ويبدّل المليك إلى شيطان. وأول قدم تزل خارج طريق العفاف إنما يحدث ذلك أثناء السكر، فحينما يحل السكر يذهب العقل والضمير، وفي غيابهما يفقد العفاف مفهومه.

إن المضلّلين من الأولاد والبنات والنساء هم الذين خدعوا في طريق الحياة أولاً بالخمرة وانحرفوا عن جادة الصلاح بمعاقرتها، فتاهوا في صحارى الحياة

---

(١) الطائفية، ص ٢٨٠.

(٢) الأمراض الجنسية: ص ١٢٤.

(٣) الشاب بين العقل والعاطفة - محمد تقي فلسفي - ج٢، ص ٤٤٠/ انظر الكافي ج٦، ص ٤٠٥.

المرعبة وغرقوا آخر المطاف في مستنقع البؤس»[1].

ومن أنواع الترفيه الضارة التي تغلغلت ـ ومع الأسف ـ في الكثير من بلدان العالم لا سيما المتطورة منها والتي يشجع الشيطان عليها هي المخدرات على أنواعها..

وجاء في التقارير الطبية والصحية الكثير من ذلك حول الأخطار والجرائم وحالات الإدمان..

من هذه التقارير: «حتى يوم أمس كانت مناطق (هارلم) و(برونكس) مركزاً للمخدرات ولكن اليوم سرى ذلك إلى جميع مناطق نيويورك وأصبحت المخدرات تهدد المدارس وتسوقُ في كل ثماني دقائق شخصاً نحو الموت.

ـ ١٢٥ ألف من بين ٣٠٠ ألف مدمن في نيويورك، مدمنون على الهيروبين، وهؤلاء يحتاجون يومياً إلى ٥٠ ـ ١٠٠ دولار لكل شخص لتأمين الهيروبين لأنفسهم، والقسم الأعظم من الجرائم في نيويورك، من أمثال سلب سائقي التاكسي، الهجوم المسلح على الأشخاص، سرقة حقائب النساء، السطو على البيوت وأمثال ذلك، إنما هي تُرتكب من قبل هؤلاء المدمنين..»[2].

إن الأحرار وأصحاب الإرادة لا يجعلون من أنفسهم أسرى للعادات المضرة، لأنهم يعلمون أن (العادة والإدمان) نوع من الأسر ـ أما الإنسان الحر ذو النفس الكريمة فلن يرضى بالأسر ولن يستسلم للذلّ والإنحطاط. فعن الإمام علي بن الحسين عليه السلام قال: «لا تُعطِ نفسَكَ ما ضرُّهُ عليك أكثرُ من نفعِهِ»[3].

ـ فعن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: قال إبليس لربه تعالى: يا رب قد أهبطت آدم وقد علمت أنه سيكون كتب ورسل. فما كتبهم ورسلهم؟ قال: رسلهم الملائكة والنبيون. وكتبهم التوراة والإنجيل والزبور والفرقان،

---

(١) العلوم الجنائية: ص ٨٣١، ٨٢٣.

(٢) پاري ماتش ـ صحيفة إطلاعات الإيرانية العدد ١٤٠٦٠/الأفكار والرغبات بين الشيوخ والشباب ـ محمد تقي فلسفي ـ ص ١٨٦ ـ ١٨٧/ انظر كتاب الطفل بين الوراثة والتربية، ج١، ص ٨٩ ـ ٩٠.

(٣) بلاغة علي بن الحسين عليه السلام ص ١١٠.

قال: فما كتبي: قال: كتابك الوشم وقراءتك الشعر، ورسلك الكهنة، وطعامك ما لم يذكر اسم الله عليه، وشرابك المسكر[1].

والخمر والميسر يسببان الفرقة بين الناس بينما الإسلام يأمر بالوحدة ويدعم هذه الوحدة بتحريم كل أسباب الفرقة. قال تعالى: **﴿إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر﴾**[2].

العداوة تأتي بسبب سيطرة الشهوات على الإنسان فيحاول كل واحد أن يعتدي على حقوق الآخرين ليحقق شهواته.

كيف تتسبب الخمرة والميسر[3] في العداوة؟

جعلت العداوة والبغضاء ـ في الآية السابقة ـ من آثار الخمر والميسر فقط، وذلك أن هذا الأثر أوضح فيهما، فمن المعلوم أن تناول الشراب يبعث على تحريك الأعصاب، وتخدير العقل، وتهيج العواطف العصبية، ومعلوم أية ثمرات مرة تحصل إذا مشت الأعصاب الهائجة في طريق الغضب والعداوة.

فالخمرة تضعف الإرادة، ويفقد الإنسان السيطرة على شهواته فتصبح شهواته هي المسيطرة عليه، تسوقه إلى حيث الإعتداء والظلم، وأما الميسر فإنه يعتمد على محاولة كل فريق التغلب على الآخرين، ليس بالعمل الصالح، وإنما بالصدفة أو بالمكر والشطارة، ومعلوم كيف تنتهي حالة مجتمع تسود علاقاته: المغالبة والمنافسة الماكرة.

وأما من الزاوية النفسية والإجتماعية، فالشراب والقمار يوقظان حس الظن السيء والحقد في الإنسان ويسدلان ستاراً مظلماً حول الود والحب ويعدان أرضية الثأر والغضب. يقول الدكتور ايتوف: إن الكحول هو المولد الكبير للأوهام الواهية. لأن البحث عن الحقيقة يقل في السكر، وسيتعرض المخمور للأفكار الباطلة، ويفسد أي حديث يتداوله الآخرون حوله أو أية حركة عنهم

---

(١) بحار الأنوار، الشيخ المجلسي، ٦٣، ص ٢٨١.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٩١.

(٣) الميسر: هو القمار وأحد اشتقاقاته «من اليسر، لأن فيه أخذ المال بيسر وسهولة من غير كد ولا تعب» ـ أحكام في القرآن والسنة ص ٣٢.

بتفسيرات شتى، ومن هنا تثار نار غضبه للاشيء وما أكثر أن تقع جرائم خطيرة»[١].

إن عقل الخاسر في لعب القمار يحاط بغشاوة تحل محل ستار الحياء الذي يتمزق وتهيج غريزة العدوان والتدمير لديه، وقد يقوم في ذلك الظرف بإرتكاب جرائم كبرى لا يمكن التكفير عنها «كما يعلم الجميع فإن نفس القوى العدائية والمخربة التي يعتقد بأن اللعبة تمتصها تؤدي أحياناً إلى ظهور عقد أشد ونزاعات أخطر، ومصداق هذه الحقيقة لا ينطبق فقط على الألعاب الطفولية بل تلاحظ بكثرة أيضاً في ألعاب الكبار»[٢].

ويعتقد علماء هذا العصر أن الخمرة تسبب الخلل في عمل الخلايا المخية حتى وإن قلّ تناولها. فقد جاء عن رسول الله ﷺ قال: «كُلُّ شرابٍ يتغَيَّرُ العقلُ منه كَثيرهُ وقليلُهُ حرامٌ»[٣]. وسبب آخر لحرمة الخمر والميسر هو الإلهاء عن ذكر الله، وذكر الله هو طريق فلاح الإنسان.

إن الشيطان الذي يجسد قوى الشر في الطبيعة ويثير قوى الشر في النفس، لا يريد توحيد كلمة البشر في الطبيعة بل يحاول تقوية شهوات البشر، ودفع أهوائه الذاتية وليس هدف الشيطان الذي يدعو الناس إلى اللهو واللعب، وإلى معاقرة الخمر، ونسيان المسؤوليات ويدعوهم إلى لعب القمار والابتعاد عن العمل الصالح وإسعاد البشر..[٤].

أما بالنسبة إلى الأنصاب والأزلام فتاريخها شاهد على عمق الإنحراف والضلال الذي صاحب عبادتها وتقديسها من قبل البشر، وقد كانت عقبة كأداء في طريق انتشار رسالة السماء عانى منها الأنبياء والرسل أي معاناة. قال تعالى: **﴿وإذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمناً وآجنبني وبنيَّ أن نعبد الأصنام رب**

---

(١) العلوم الجنائية، ص ٨٥٧.

(٢) إعجاز التحليل النفسي: ٢١٢.

(٣) مستدرك الوسائل: ج٣، ص ١٤١.

(٤) من هدى القرآن، ج١، ص ٤٥٧.

إنهن أضللن كثيراً من الناس﴾[1].

وإلى يومنا هذا نجد أن أكثر من ثلث سكان الأرض هم من الوثنيين الذين يقدسون الأصنام والأوثان عدا من ينتسب إلى رسالة سماوية حرفت ولوثت بالشرك.

٢ ـ الملاهي:

ـ تعج حياتنا الحديثة بمختلف أصناف الملاهي والتي تطورت بشكل سريع وواسع حتى كادت أن تشغل جل وقت الإنسان المعاصر وتستهلك معظم جهده المادي والعصبي. وغدت دور اللهو تنافس دور العلم والعبادة فمن سينمات إلى ملاهي مختلفة يصرف عليها ما يثير العجب من الثروات، إلى نواد للقمار بالإضافة إلى ما ابتدعته الحضارة الحديثة من وسائل اللهو المختلفة والتي دخلت كل منزل تقريباً.

ولعل الأمر الجامع لكل ذلك هو شغل الإنسان عن ذكر ربه سبحانه، وإتلاف وقته في الأمور التافهة التي لا تنتج ولا تثمر شيئاً بل تضر في أغلب الأحيان.

ومن هذه الملاهي التي حذر ونهى عنها الشرع هو ما يتسبب في المعصية وقساوة القلب ونشر الفساد كالغناء والطرب وما أشبه.

فعن أبي عبدالله عليه السلام عندما سئل عن قوله تعالى: ومن الناس من يشترى لهو الحديث: قال عليه السلام: منه الفناء[2]. وورد أيضاً في تفسير الآية عن ابن عباس: بأن لهو الحديث هو الفناء وأشباهه[3].

وورد أيضاً في الحديث المروي عن الإمام الصادق عليه السلام حين سأله عبد الأعلى عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول

---

(١) سورة ابراهيم، الآية: ٣٦.

(٢) نور الثقلين، الحويزي، ج٤، ص ١٩٢.

(٣) الغناء في الإسلام للعاملي، ص ١٦٣.

الزور﴾[1]، قال عليه السلام: الرجس من الأوثان الشطرنج وقول الزور: الغناء[2]، ثم قال عليه السلام: «إن المؤمن عن جميع ذلك لفي شغل ماله والملاهي فإن الملاهي تورث قساوة القلب وتورث النفاق»[3].

وورد في تفسير قوله تعالى: ﴿**واستفزز من إستطعت منهم بصوتك**﴾[4] المراد (بصوتك) الغناء والمزامير وكل صوت يدعى به إلى الفساد[5]. وجاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قوله: «إنما نُهيت عن صوتين أحمقين فاجرين: صوت عند نغمة لهو ومزامير الشيطان، وصوت عند مصيبة خمش وجوه، وشق جيوب ورنة شيطان»[6].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «ما من رجل يرفع صوته بالغناء إلاّ بعث الله عليه شيطانين أحدهما على هذا المنكب والآخر على هذا المنكب فلا يزالان يضربانه بأرجلهما حتى يكون هو الذي يسكت»[7].

وورد في قصة يحيى بن زكريا عليه السلام مع إبليس: سأله يحيى عليه السلام فما هذا الجرس الذي بيدك؟ قال: يا نبي الله هذا معدن الطرب وجماعات أصوات المعازف من بين بربط وطنبور ومزامير، وطبول، ودفوف، ونوح وغناء، إن القوم يجتمعون على محفل شر وعندهم بعض ما ذكرت من هذه المعازف، فلا

---

(١) سورة لقمان، الآية: ٦.

(٢) بلغة الطالب في شرح المكاسب للعاملي، ج١، ص ٣٤٢/ معاني الأخبار، ص ٣٤٠/ الوسائل ج١٢، ص ٢٣٧ ـ حديث ٣/ الكافي: ج٦، ص ٤٣١/ ولا تقربوا الزنا، ص ٢٣٩.

(٣) بحار الأنوار، الشيخ المجلسي، ج٧٩، ص ٢٣٩.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٦٤.

(٥) كتاب الغدير ـ الأميني ـ ج٨، ص ٦٩/ تفسير الطبري، ج١٥، ص ٨١/ نقد العلم والعلماء لابن الجوزي ص ٢٤٧/ وتفسير ابن الكثير، ج٣، ص ٤٩، وتفسير الخازن، ج٣ ـ ص ١٧٨/ وتفسير الشوكاني ج٣، ص ٢٣٣.

(٦) الغدير للأميني، ج٨، ص ٦٩/ الدر المنثور، ج٥، ص ١٦٠.

(٧) الغدير للأميني، ج٨، ص ٦٩، وفي لفظ ابن أبي الدنيا وابن مردويه ما رفع أحد صوته بغناءٍ إلاّ بعث الله تعالى إليه شيطانين يجلسان على منكبيه يضربان بأعقابهما على صدره حتى يمسك.

يكادون يتنعمون في مجلس، ويستلذون ويطربون فإذا رأيت ذلك منهم حركت هذا الجرس، فيختلط ذلك الصوت بمعازفهم فهناك يزيد استلذاذهم وتطريبهم فمنهم من إذا سمع هذا يفرقع أصابعه، ومنهم من يهز رأسه، ومنهم من يصفق بيده[1].

كما جاء في الحديث الشريف: استماع اللهو والغناء ينبت النفاق كما ينبت الماء الزرع[2].

والتاريخ يشهد ما للملاهي من تأثير على حياة الشعوب فقد كانت المجالس في العصرين الأموي والعباسي تعج بالجواري والمغنيات والندماء والمضحكين وبغيرهم من تجار اللهو والملاذ، هذه الحال جعلت الإنغماس في الترف قاعدة الحياة اليومية، فتحكم الخصيان وأمر الماجنون ونهوا، وتقسمت المجتمعات الإسلامية إلى دويلات، وما زالت حتى اليوم.

وسئل بعض شيوخ بني أمية ومحصليها، عقيب زوال الملك عنهم إلى بني العباس: «ما كان سبب زوال ملككم؟» قال: «إنا شغلنا بلذاتنا عن تفقد ما كان تفقده يلزمنا، فظلمنا رعيتنا فيئسوا من أنصافنا، وتمنوا الراحة منا، وتحومل على أهل خراجنا، فتخلوا عنا، وخربت ضياعنا فخلت بيوت أموالنا، ووثقنا بوزرائنا فآثروا مرافقتهم على منافعنا، وأمضوا أموراً دوننا، وأخفوا علمها عنا، وتأخر عطاء جندنا، فزالت طاعتهم لنا، واستدعاهم عداتنا. فتضافروا معهم على حربنا، وطلبنا أعداؤنا فعجزنا عنهم لقلة أنصارنا، وكان استتار الأخبار عنا من أوكد أسباب زوال ملكنا»[3].

فالعيش المترف، حمل في ثناياه جراثيم الانحلال للدولة الأموية والعباسية لاحقاً. فقد كانت جماعة النبلاء قد نسيت الأمر القرآني باجتناب الإنغماس في الملذات الجسدية فإذا بالخمر تتدفق مرافقة للغناء في مجالس القصور وسهراتها العديدة وإذا بالمحظيات والجواري والخصيان والسكيرين والمغين يصبحون ذوي

(١) الإنسان والشيطان، ص ٧٢/ بحار الأنوار، ج٦٣، ص ٢٢٨.
(٢) التاج الجامع للأصول، للشيخ منصور ناصيف، ج٥، ص ٢٨٦.
(٣) مروج الذهب، ج٥، ص ١٣٢.

كلمة مسموعة عند الخلفاء وكثيراً ما كانوا يملون عليهم سياساتهم[١].

٣ ـ الجنس:

ـ يمثل الجنس أحد الغرائز الفطرية الضرورية لبقاء النوع عند كل من الحيوان والإنسان والفارق بين الأول والثاني هو أن الغريزة الجنسية عند الثاني محكومة بمجموعة من القوانين والقيم والآداب الدينية والإجتماعية بينما يفتقد الحيوان كل ذلك، وقد كان لهذه الضوابط أثرها العميق في تحصين الحياة الإنسانية من الإنحراف وانعكست إيجابياً في بناء العلاقات السليمة ونشأة المجتمعات البشرية الراقية المسورة بالأخلاق والفضيلة.

وحينما امتدت يد الشيطان التخريبية إلى هذا العامل الخطير والحساس في حياة الإنسان، سعى في إستدراج البشرية إلى مخالفة تلك الإرشادات والضوابط والتمرد عليها بمختلف الحجج والذرائع.

وقد إستفاد الشيطان تارة من قوة هذه الغريزة وهيمنتها وتارة من جهل الإنسان وغفلته عن الخطر الذي ينتظره من جراء اتباعه لخطوات الشيطان ومخالفته لوصايا الرحمن. وكان الرجل والمرأة على السواء ضحايا لهذه اليد الخبيثة العابثة. وعلى إمتداد التاريخ البشري كان الجنس عاملاً من عوامل الانحراف والسقوط لدى الرجل والمرأة كلما أطاعا الشيطان واتبعا خطواته، وسيبقى هذا السلاح فعالاً ما دامت هناك غريزة وما دام هناك شيطان. ولا نحتاج إلى دليل على قولنا هذا فما نراه اليوم ونعايشه من مظاهر صارخة ومثيرة للجنس في حياتنا المعاصرة عند الجنسين يكفي للدلالة ويغني عن الشرح.

وجاء الإسلام ليدق جرس الإنذار وينبه على خطورة هذا العامل في حياة الإنسان المسلم وكان أسلوب الإسلام واضحاً جداً وواقعياً في بيان هذا الخطر وفي وضع برنامج الوقاية الناجح.

فقد ركزت الآيات والأحاديث الشريفة على العلاقة السليمة بين الرجل

---

(١) الإسلام والعرب، روم لاندوت. منير البلعبكي، ص ٨٠.

والمرأة وحذرت من إستغلال الشيطان لثلاث حالات تمثل نقاط ضعف تمس العامل الجنسي للرجل والمرأة مباشرة.

الحالة الأولى: السفور (عدم الحجاب) والتبرج.

كما أوجب الإسلام الحجاب الشرعي على المرأة أمام الرجال الأجانب بل وأمام الطفل المميز أيضاً (والمراد بالتمييز هو أن يكون واعياً للجانب الجنسي في علاقة الرجل بالمرأة بحيث يؤدي النظر إلى المرأة إلى بعض المشاعر الجنسية)[١].

كذلك منع الرجال أيضاً من عدم مراعاة الحشمة في اللباس، والتشبه بالنساء في لباسهم مما يؤدي إلى إثارة الشهوات عند الطرفين.

وكذلك حرم على المرأة التبرج والتزين للرجال الأجانب، ولبس ما يثير الشهوة عند الرجال ويحرك غرائزهم المكبوتة.

قال تعالى: **﴿يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين﴾**[٢].

إن الحجاب يمثل مضموناً شرعياً يختزن في داخله نقطتين:

١ ـ الجسد الذي حرّم الله كشفه للأجنبي.

٢ ـ عدم التبرّج وخلق الإثارة.

أي يجب أن تكون ملابس المرأة بالشكل الذي إذا خرجت إلى الواقع المختلط من الرجال والنساء، فلا يظهر من جسدها شيء وأن لا تكون طريقة اللباس موحية بالإثارة الجنسية التي تجعلها معرضاً للنظرات غير الشريفة. ولذا فأي لون من ألوان اللباس الذي يجمع هاتين النقطتين يعتبر شرعياً[٣].

وقال تعالى: **﴿ولا تبرّجن تبرج الجاهلية الأولى﴾**[٤].

---

(١) المسائل الفقهية، السيد فضل الله، ص ٢٤٤.
(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٥٩.
(٣) دنيا الشباب ـ السيد فضل الله، ص ١٨٩ ـ ١٩٠.
(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

وكأن التبرج كان صفة من صفات الجاهلية الأولى التي جاء الإسلام ماحياً لها ومغيراً لعاداتها.

«فمن عناوين الحجاب رفض التبرّج الذي يدعو إليه الشيطان، فلا يجوز للمرأة أن تخرج محجبة من ناحية ستر ما يجب ستره وأن تظهر متبرجة بالمساحيق التي تزيّن بها وجهها أو يديها أو بأدوات الزينة ومظاهرها التي تلبسها، أو في تفاصيل الثياب التي قد تعطي للجسد زينة بطريقة معينة وما إلى ذلك مما يعتبر نوعاً من أنواع التبرج الذي يبدي أنوثة المرأة بشكل صارخ بدلاً من أن يبدي إنسانيتها الطبيعية في الواقع العام»[1].

والإسلام يريد للمرأة أن لا تتكلف الإثارة في تليين صوتها وترقيقه وتنغيمه بالدرجة التي توحي بالإثارة وتجتذب غرائز الآخرين، وهذا ما عبَّر عنه القرآن الكريم: **﴿فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض﴾**[2].

وجاء في خبر يحيى بن زكريا عليه السلام مع إبليس: سأله: فما هذه الخياعل إلى طرف قميصك؟ قال: يا نبي الله هذه ألوان أصباغ النساء وزينتهن، فلا تزال إحداهن تلون ثيابها حتى تأتي ما يليق بها فهناك افتتن الرجال إلى ما عليها من زينة[3].

وكأنه يشيد هنا إلى «الموضات» المختلفة التي تفتن النساء والشيطان يحرك عندهن صفة حب الظهور أمام الآخرين عبر هذه الألوان والأشكال المختلفة فيوقعهن في الحرام.

ـ الحالة الثانية: النظرة المحرمة من الرجل والمرأة.

ـ وقد نهى الإسلام الرجال والنساء على السواء عن النظرة المحرمة، وهي ما اقترنت بالشهوة والريبة. إذا مثلنا السفور بالجو المشحون بالغاز المتسرب فإن النظرة الحرام تمثل عود الثقاب الذي يشعل ذلك الجو حريقاً وكم من فاحشة

---

(١) دنيا الشباب، السيد فضل الله، ص ١٩٢.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٣٢.

(٣) بحار الأنوار، الشيخ المجلسي، ج٦٣، ص ٢٢٨.

ارتكبت كان مبدؤها نظرة حرام يقول الشاعر:

كل الحوادث مبداها من النظر ومعظم النار من مستصغر الشرر
كم نظرة فعلت في قلب صاحبها فعل السهام بلا قوس ولا وتر
والمرء ما دام ذا عين يقلبها في أعين الغيد موقوف على خطر
يسر مقلته ما ضر مهجته لا مرحباً بسرور عاد بالضرر[1]

والنظرة المحرمة ستكون مقدمة لارتكاب الزنا، يقول الإمام الصادق عليه السلام: «كم من نظرة أورثت حسرة طويلة»[2].

ويقول الله تعالى: **﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم، ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما تعلمون، وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهنّ ويحفظن فروجهن ولا يبدين من زينتهنّ إلاّ ما ظهر منها وليضربنّ بخمرهنّ على جيوبهن. .﴾**[3].

إذن المطلوب هو أن لا تكون النظرة نظرة تلذذ بحيث يحدّق الرجل في المرأة ليعيش الالتذاذ بجمالها، الأمر الذي قد يؤدي إلى نتائج سلبية ولو بنسبة عشرة في المائة، لأن هناك فرقاً بين أن ينظر إلى المرأة الجميلة نظرة لذة أو ينظر إلى المناظر الطبيعية نظرة التذاذ، فالالتذاذ بجمال المرأة يتحرك تلقائياً إلى الشعور الجنسي الذي يجتذبه إلى المرأة مما يقوده إلى نتائج سلبية في هذا المجال، بينما الالتذاذ بالمناظر الطبيعية لا يحقق شيئاً من ذلك.

(وهذا ما جعل الفقهاء يشترطون النظر فيما يجوز النظر فيه أن لا يكون بريبة وتلذذ)[4].

وجاء في الحديث القدسي: «النظرة سهم مسموم من سهام إبليس، من تركها من مخافتي أبدلته إيماناً يجد حلاوته في قلبه»[5].

---

(١) ولا تقربوا الزنا، ص ١١٥.
(٢) ولا تقربوا الزنا، ص ١١٥.
(٣) سورة النور، الآية: ٣٠ ـ ٣١.
(٤) دنيا الشباب ـ السيد فضل الله، ص ٢٠٢.
(٥) ميزان الحكمة، ج١٠، ص ٧٨.

كما جاء في الحديث الشريف: «لكل عضو حظ من الزنا: فالعين زناها النظر»[1].

وجاء في بيان وتفصيل هذا الموضوع عن الرضا عليه السلام: «وحرم النظر إلى شعور النساء المحجوبات بالأزواج وإلى غيرهن من النساء لما فيه من تهييج الرجال، وما يدعو التهيج إليه من الفساد والدخول فيما لا يحل ولا يجمل وكذلك ما أشبه الشعور»[2]. وبين الإسلام عقوبة تجاوز حدود النظر سواء للرجل أو المرأة.

فقد جاء في الحديث الشريف: «من ملأ عينه من حرام ملأ الله عينه يوم القيامة من النار، إلا أن يتوب ويرجع»[3].

وورد في حق المرأة أيضاً: «اشتد غضب الله عز وجل على امرأة ذات بعل ملأت عينها من غير زوجها أو غير محرم منها»[4].

ـ الحالة الثالثة: الخلوة بين الرجل والمرأة الأجنبية.

ـ فالخلوة تعني انفراد الرجل بالمرأة على نحو لا يراهما أحد، أو لا يمكن أن يدخل عليهما أحد عادة وهذه الخلوة قد تكون علة للزنا فتكون محرمة لتحريم مقدمة الحرام السببية. وأما إذا لم تكن الخلوة بنحو العلة للزنا، فإن كانت مما يحتمل أن يوقع الإنسان في الحرام من إثارة الوساوس الشيطانية في كل منها أو في أحدهما فهي محرمة لفحوى ما دل على حرمة النظر، فإن النظر الذي حرمه الشارع هو النظر الذي يثير الوساوس الشيطانية في الإنسان، وهذه الوساوس مفسدة يجب الإبتعاد عنها[5]. وأكدت الشريعة الإسلامية على تحريم الخلوة بالمرأة الأجنبية حيث جاء: «لا يجوز الخلوة بالمرأة الأجنبية في موضع لا يتيسر الدخول فيه لغيرهما إذا احتمل أنها تؤدي إلى فساد، ولا بأس بالخلوة

---

(١) ميزان الحكمة، ج١٠، ص ٧٨.
(٢) ميزان الحكمة، ج١٠، ص ٧٨.
(٣) ميزان الحكمة، ج١٠، ص ٧٨.
(٤) ميزان الحكمة، ج١٠، ص ٧٨.
(٥) الحلال والحرام في الإسلام، ص ٣٠٠ ـ ٣٠١.

مع إمكان دخول الغير ولو كان صبياً مميزاً أو مع الأمن من الفساد[1]. وهذا ما أكدت عليه الأحاديث الشريفة ودلت عليه التجارب وإن الشيطان ليتحين بالإنسان الفرص لإيقاعه في شرك الفاحشة وإن الخلوة بالأجنبية لهي أثمن الفرص التي لا يمكن أن تفوته دون أن يأخذ حيفه من هذا الإنسان كيف لا؟ وهو يجري منه مجرى الدم في العروق. فقد ورد في الحديث الشريف: «ما خلى رجل وامرأة إلا وكان الشيطان ثالثهما»[2]. وجاء في خبر موسى عليه السلام مع إبليس: قال: «يا موسى: لا يخلو بامرأة لا تحل له إلاّ كنت صاحبه دون أصحابي»[3].

وللأسف فإن إبليس وأتباعه من دعاة التحلل والإباحية، وفي غياب الالتزام الديني والتربية السليمة عند كثير من الشباب والشابات في هذا العصر نجحوا في أهدافهم فأخرجوا المرأة الغير ملتزمة من حصنها وحجابها وجعلوها سلعة تباع وتشترى في سوق الشهوة وتجارة الغرائز.

كما جعلوا الرجل غير الملتزم مطية لهم في ترويج هذه التجارة ووسيلة لاستهلاكها. ففي خبر يحيى بن زكريا عليه السلام مع إبليس قال له: يا نبي الله إن أرجى الأشياء عندي وأدعمه لظهري وأقره لعيني النساء، فإنهن حبالتي، ومصائدي وسهمي الذي به لا أخطىء بأبي هن لو لم يكن هنا ما أطقت إضلال آدمي[4].

إذن: بين الإسلام خطورة الخلوة بين الرجل ومن لا تحل له من النساء، وحذر من التساهل في هذا الموضوع الحساس لأنه قابل للتطور والوصول إلى إقتراف الحرام فالخلوة والإختلاط بين الجنسين ولا سيما فئة الشباب والمراهقين منهم وبلا حدود كان سبباً قوياً للوقوع في الرذيلة في الماضي والحاضر وسيبقى سبباً خطيراً دائماً فهو من مصائد إبليس الكبرى. فالمرأة المنحرفة وسيلة جيدة للشيطان، كما أن الرجل المنحرف كذلك.

---

(١) المسائل المنتخبة ـ السيد أبو القاسم الخوئي ـ قدس سره ـ مسألة رقم (١٠٣٠)، ص ٣٤٤.

(٢) نهج الفصاحة.

(٣) سفينة البحار، الشيخ عباس القمي، ج١، مادة (خلا) = ص ٤٢٧.

(٤) بحار الأنوار، الشيخ المجلسي، ج٦٣، ص ٤٣٠.

٤ ـ المال الحرام:

ـ عن أبي عبدالله عليه السلام: يقول إبليس لعنه الله: «ما أعياني في ابن آدم فلم يعيني فيه واحدة من ثلاثة: أخذ مال من غير حله، أو منعه من حقه، أو وضعه في غير وجهه»[١].

وفي الصور الثلاث تلك سيكون الإنسان واقعاً في الحرام وأكل السحت، الذي يعد من الذنوب الكبيرة، والمراد بالسحت: أكل المال الحرام أي مطلق التصرف به، سواء بنحو الأكل والشرب، أو بنحو اللبس والسكن وغير ذلك، أو أنه لا يصرفه ولكنه يمنع صاحبه عن التصرف فيه، ففي جميع هذه الموارد يقال إنه أكل المال الحرام، كما أن المراد من أكل مال اليتيم ومال الربا، ومال السرقة، والغصب والغش والإحتيال وما شابه من أنواع التجارة والمعاملات المحرمة، حرمة جميع أنحاء التصرف فيه، لا خصوص الأكل والشرب.

والسبب في التعبير عن المال الحرام بـ (السحت) هو أن السحت بمعنى الزوال والإنعدام والمال المسحوت بمعنى المال المأخوذ، والمقطوع من جذوره، وحيث إن المال الحرام لا بركة فيه، ولا ينتفع المتصرف به، لذا عبر عن أكل الحرام بأكل السحت وظاهر لفظ (السحت) الشمول لجميع أقسام المال الحرام، بمعنى أن أي مال يتصرف به الإنسان بطريق حرام غير مشروع هو من أكل السحت[٢].

فإذا منع الحقوق الواجبة عليه ولم يدفعها في مصارفها الشرعية كالزكاة والخمس والديون، وحقوق الأيتام والزوجة وما شابه فقد منع المال من حقه.

وإذا صرفه فيما حرم الله من معاصي وخيانة وأضرار بالآخرين، أو بذّر فيه، أو كنزه وبخل به ولم ينفق منه في وجوه البر، فقد وضعه في غير وجهه.

---

(١) بحار الأنوار، ج٧٥، ص (١٧ ـ حديث (١٩٠٢٤) ـ وورد بدل «فلم» ـ «فلن» في حديث آخر.

(٢) انظر التعليقة رقم (١٢) للوقوف على معرفة جوانب عدة من السحت (المال الحرام).

ويظهر أثر أكل الحرام جلياً في قبول أعمال الإنسان وعباداته وفي طهارة نسله وذريته.

فقد جاء في الحديث الشريف: «من أكل لقمة من حرام لم تقبل له صلاة أربعين ليلة»[1].

وورد أيضاً: «إن الرجل إذا أصاب مالاً من حرام لم تقبل منه حج ولا عمرة ولا صلة رحم حتى أنه يفسد الفرج»[2].

«العبادة مع أكل الحرام كالبناء على الرمل»[3].

وإذا ما فسدت عبادة الإنسان إنقطعت صلته بربه وإذا ما فسد نسله وذريته سهلت سيطرة الشيطان عليه وعلى نسله وكل ذلك مما يسعد الشيطان ويوصله إلى مآربه.

وجاء في الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام: «إنّ الشيطان يدبّر ابن آدم في كلّ شيء فإذا أعياه جثم له عند المال فأخذ برقبته»[4].

وعن ابن عباس قال: إنّ أوّل درهم ودينار ضربا في الأرض نظر إليهما إبليس فلمّا عاينهما أخذهما فوضعهما على عينه ثمّ ضمهما إلى صدره، ثمّ صرخ صرخةً، ثم ضمهما إلى صدره ثمّ قال: أنتما قرّة عيني وثمرة فؤادي ما أُبالي من بني آدم إذا أحبّوكما، أن يعبدوا وثناً، حسبي من بني آدم أن يحبّوكما»[5].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «قال الشيطان: لن يسلم منّي صاحب المال من إحدى ثلاث: أغدو عليه بهنّ وأروح: أخذه من غير حلّه، وإنفاقه في غير حقّه، وأحببه إليه فيمنعه من حقّه»[6].

---

(1) ميزان الحكمة، ج٢، ص ٣٧٣.

(2) ميزان الحكمة، ج٢، ص ٣٧٣.

(3) ميزان الحكمة، ج٢، ص ٣٧٣.

(4) ميزان الحكمة، ج٩، ص ٢٧٩/ بحار الأنوار، ج٧٣، ص ٢٢.

(5) مستدرك الوسائل، ج٢، ص ٣٣٦.

(6) الترغيب والترهيب، ج٤، ص ١٨٢ ـ رواه الطّبراني.

ثانياً: وسائل الشيطان الخفية:

ـ وسائل الشيطان لإضلال الإنسان تختلف باختلاف ما عليه الإنسان من طبيعة وروحية وتركيبة، فهو يستغل نقاط الضعف في روحية الإنسان وقلبه ويدخل إليه بوسائل مناسبة لهذا الضعف مما ينتج الإنحراف بعد إختلال التوازن، وهنا يحضرنا حديث للإمام علي عليه السلام يصوّر فيه ـ أروع تصوير ـ أسلحة الشيطان ووسائله لحرف الإنسان عن مسيرة الكدح الإلهي. فيقول عليه السلام:

«الفتن ثلاثة: ١ ـ حب النساء وهو سيف الشيطان.

٢ ـ وشرب الخمر وهو فخّ الشيطان.

٣ ـ وحب الدّنيا والدّرهم وهو سهم الشيطان»[١].

وورد في دعاء شهر رمضان: (... وأعذني فيه من الشيطان الرجيم وهمزه ولمزه ونفثه ونفخه ووسوسته، وتثبيطه، وبطشه وكيده، ومكره، وحبائله، وشركائه، وجميع مكائده..)[٢].

وأشارت آيات القرآن والأحاديث الشريفة إلى النوع الآخر من وسائل الشيطان وطرقه في إضلال العباد وصرفهم عن جادة الصواب، وحذرت من التأثر بها، ولعل أهم ما يميز هذه الوسائل أنها:

أ ـ خفية.

ب ـ تتعامل مع النفس البشرية مباشرة.

ج ـ متنوعة في طرقها وتتطور مع الزمن.

د ـ تتناسب مع النفس البشرية بأنواعها وفي كل الظروف.

وأهم هذه الوسائل ما يلي:

---

(١) كيف نعرف أعداءَنا ـ مطهري ـ ص ٢٨.
(٢) مفاتيح الجنان ـ ص ٢٠٣.

١ ـ الوسواس (الوسوسة):

ـ قال تعالى: ﴿**الوسواس الخناس، الذي يوسوس في صدور الناس**﴾[1].

والوسوسة هي: الخطرة الرديئة، والهمس الخفي ـ والفرق بين وسوس له ووسوس إليه أن معنى وسوس إليه: أنه ألقى إلى قلبه المعنى بصوت خفي، ومعنى وسوس له: أنه أوهمه النصيحة له في ذلك[2]. وجاء في دعاء الإمام علي بن الحسين عليه السلام: «... وأدم بالقرآن صلاح ظاهِرِنَا، واحجُب به خَطَراتِ الوَسواس عن صِحّة ضَمَائِرِنا...»[3].

والوساوس: جمع وسواس، وهو حديث النفس الذي يمكر بالفكر من حين إلى حين، ولا مفر منه لكبير أو صغير، ولكن العاقل يمضي في سبيله كأن لم يكن شيء، أما الإنسان الخرافي فيندفع وراءه، ويبني الدور والقصور في الهواء من زبد الماء، وهذي هي الرعونة بالذات، ومثله تماماً من يفقد الصبر، ويهيج لأتفه الأسباب[4]... إن التمييز بين الوهم والواقع هو الحجر الأساس لبناء شخصية قوية تواجه الأحداث والمشكلات بأعصاب باردة راكدة، وتعالجها بالحكمة، وتنجو منها بسلام.

والخنّاس صيغة مبالغة من الخنوس بمعنى الإختفاء بعد الظهور، قيل: سمي الشيطان خناساً لأنه يوسوس للإنسان فإذا ذكر الله تعالى رجع وتأخر ثم إذا غفل عاد إلى وسوسته[5].

وقوله تعالى: ﴿**الذي يوسوس في صدور الناس**﴾ صفة للوسواس الخناس والمراد بالصدور هي النفوس لأن متعلق الوسوسة هو مبدأ الإدراك من الإنسان وهو نفسه وإنما أُخذت الصدور مكاناً للوسواس لما أن الإدراك ينسب بحسب

---

(١) سورة الناس، الآية: ٤ ـ ٥.
(٢) مجمع البيان، ج٢، ص ٤٠٦.
(٣) في ظلال الصحيفة السجادية، محمد جواد مغنية، ص ٣٨٦.
(٤) في ظلال الصحيفة السجادية، محمد جواد مغنية، ص ٣٨٧.
(٥) الميزان في تفسير القرآن، المجلد العشرون، ص ٣٩٧.
ـ علل الشرائع ـ ص ٥٢٦ ـ باب ٣٠٧.

شيوع الاستعمال إلى القلب والقلب في الصدر كما قال تعالى: ﴿**ولكن تعمى القلوب التي في الصدور**﴾[1].

وتوضح قصة آدم عليه السلام مع إبليس مسألة الوسوسة بصورة جلية: ﴿**فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى**﴾[2].

ففي التفسير: نستوحي من هذه الآية الكريمة أفكاراً عديدة تعالج قضايا هامة. لا زال بعضها موضع بحث ودراسة عند المفسرين.

١ ـ إن الشيطان يوسوس للإنسان، فيستثير طبائعه الدفينة، ويدغدغ تمنياته المكبوتة ويحرك تلك الغرائز الخامدة وهو يفعل ذلك بهدف التشويش على بصره والتمويه عليه، وزرع الشبهات في قلبه وإلقاء التبريرات والتسويلات في نفسه.

وهكذا لا يكفي الحذر من إغواء الشيطان المباشر بل علينا أن نعرف أنه يشوش علينا ويشبه الأمور، ويخلط الحق بالباطل، ويمكر ويكيد ويغر ويخدع، إن علينا أن نكون في قمة الحذر وإلا وقعنا في شركه.

٢ ـ وآدم أول من وقع في مصيدة إبليس، فهو لم يعزم عصيان ربه، بل أنساه الشيطان أمر الرب وخدعه حيث حلف له كذباً إن الله لم ينهه عن تلك الشجرة. ولم يكن آدم يعلم أن من الممكن أن يحلف أحد بربه كاذباً، ثم شبه عليه بأن المنهي عنه إنما هو شجرة معينة من الحنطة، وليس كل أشجار الحنطة، وهنا استفاد إبليس من نقطة ضعيفة عند البشر حين يتهرب من المسؤولية بأدنى تبرير وكانت أداة وسوسته إثارة مشاعر حب الخلود، والملك عند البشر، جاء في الحديث الشريف عن جميل بن دراج عن الصادق عليه السلام سألته: كيف أخذ الله آدم بالنسيان؟ فقال: إنه لم ينس وكيف ينسى وهو يذكره ويقول له إبليس: ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين.

---

(١) سورة الحج، الآية: ٤٦.

(٢) سورة طه، الآية: ١٢٠.

٣ ـ غريزتا الملك وحب الخلود غريزتان متأصلتان في أعماق الإنسان، فبالرغم من أن الله أسكن آدم وحواء الجنة وهي دار الخلود، إلا أنهما لا زالا ينتابهما الشعور بالنهاية وقد أثار الشيطان فيهما هاتين الغريزتين، وهكذا انخدع آدم بإبليس الذي زين له الأكل من الشجرة المحرمة وكانت النتيجة أنه طرد من الجنة واهبط إلى الأرض.

وإنما خدع آدم حين أثار إبليس فيه غريزتي حب الملك وحب الخلود.

ـ ومن المعلوم أنه لم يكن الهدف من خلق هاتين الغريزتين في النفس أن يستخدمهما الشيطان في إغوائه الإنسان إنما إعطاء الله حب الملك والسيطرة لكي يستعمر الأرض ويتحمل الصعاب والمشاق في سبيل ذلك وإعطاء حب الخلود لكي يحافظ على نفسه من جهة، ولكي يعرف أنه خلق للبقاء ولكن ليس في هذه الدنيا بل في الآخرة وأنه لو لم يخلد في الدنيا، فإن هناك داراً أخرى سيخلد فيها.

ولكن إبليس كعادته يحرف غرائز الإنسان التي لو استفاد منها إستفادة سليمة إذن لكانت وقوده في الطريق الصاعد. أما لو استخدمها بصورة غير سليمة فإنها ستكون سبباً لهبوطه وترديه.

إنَّ الشيطان وبوساوسه الدنيئة له حضور دائم، يدور حول الإنسان ليزرع الشك في نفسه، ويزعزع الإيمان في قلبه، ويقف بالتالي بينه وبين الراحة النفسية والسعادة الحقيقية، ويتجاوز الإنسان، ومن خلال وساوس الشيطان، مسألة الشك في الأعمال، إلى الشك في العقيدة.

وهناك قول جميل عن صاحب كتاب (العروة الوثقى) إذ يقول بما معناه: إنَّ أصغر وسوسة يقوم بها الشيطان هي التشكيك في عدالة أئمة المساجد، كي لا يشترك أحد في صلاة الجماعة[1].

وعندما يكون الإنسان وحيداً يتغلب عليه الشيطان، أما إذا إجتمع مع غيره، يصبح أكثر قوة ويمكّنه من مقاومة وساوس الشيطان.

---

(١) آدابٌ من القرآن ـ السيد دستغيب، ص ١٤٨.

هناك مثل معروف يقول بأنّ العصا يمكن أن نضغط عليها ونكسرها من الوسط، أما إذا وضعنا القسمين فوق بعضهما البعض، فيصعب كسرهما، فكل إنسان يمكن أنْ يقوّي نفسه إذا اتحد مع غيره من المؤمنين والعلماء والمصلحين.

فالوحدة إذن هي التي تؤدي بالإنسان إلى الانجرار وراء وساوس الشيطان، فتصبح عنده وسوسة في الطهارة، أو في النظافة، أو في ضبط ركعات الصلاة، أو... والإتحاد هو الذي يبعث القوة في النفوس، ولكن هذا الإتحاد يجب أن يكون محكماً، نابعاً من القلب، لأنّ الشيطان يقف دوماً بالمرصاد، وإذا وجد شخصين متفقين، يحاول جاهداً وبوساوسه، أن يفرق بينهما.

وجاء بأنّ الشيطان يكون في راحة تامة طالما المؤمنون يعانون من التفرقة والتشتت وإذا اجتمع شمل هؤلاء، يمرغ الشيطان وجهه في التراب، ويصرخ من شدة غضبه وكيده[١].

وتزداد وسوسة الشياطين كلما كان العمل أكثر أهمية من أجل حرف البشر أكثر.

فعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «من ائتمن على أمانة فأداها فقد حل ألف عقدة من عنقه من عقد النار، فبادروا بالأمانة، فإن من ائتمن على أمانة وكل به إبليس مائة شيطان من مردة أعوانه، ليضلوه ويوسوسوا إليه حتى يهلكوه، إلا من عصم الله عز وجل»[٢].

والشيطان حينما يوسوس للبشر فهو قد لا يتراءى له، ولكن يأتيه في صورتين: خواطر وأوهام.

أ ـ الخواطر والإلقاءات الإبليسية:

الوسوسة والشك والتزلزل والشرك وأشباهها من الخطورات الشيطانية

(١) انظر أصول الكافي، ج٢، ص ٤٢٥.
(٢) الذنوب الكبيرة، ج١، ص ٣٤٦.

والإلقاءات الإبليسية التي تُقذف في قلوب الناس. كما أن الطمأنينة واليقين والثبات والإخلاص وأمثالها من الإفاضات الرحمانية والإلقاءات الملكية[1].

إذن الخاطر ما يعرض في القلب من الأفكار فإن كان مذموماً داعياً إلى الشر سمي (وسوسة)، وإن كان محموداً داعياً إلى الخير سمي (إلهاماً)، ومعنى ذلك: إن مثل القلب بالنسبة إلى ما يرد عليه من الخواطر مثل هدف تتوارد عليه السهام من الجوانب، أو حوض تنصب إليه مياه مختلفة من الجداول، أو قبة ذات أبواب يدخل منها أشخاص متخالفة، أو مرآة منصوبة تجتاز إليها صور متباينة. فكما أن هذه الأمور لا تنفك عن تلك السوانح، فكذا القلب لا ينفك عن واردات الخواطر فلا تزال هذه اللطيفة الإلهية مضماراً لتطاردها ومعركة لجولانها وتراجمها، إلى أن يقطع ربطها عن البدن ولذاته، ويتخلص عن لدغ عقارب الطبع وحدته. ثم لما كان الخاطر أمراً حادثاً فلا بد له من سبب، فإن كان سببه شيطاناً فهو الوسوسة، وإن كان ملكاً فهو الإلهام. وما يستعد به القلب لقبول الوسوسة يسمى إغواء وخذلان، وما يتهيأ به لقبول الإلهام يسمى لطفاً وتوفيقاً. وإلى ذلك أشار سيد الرسل ﷺ بقوله: «في القلب لمتان[2]، لمة من الملك إيعاد بالخير وتصديق بالحق، ولمة من الشيطان إيعاد بالشر وتكذيب بالحق»[3].

وبقوله ﷺ: «قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمٰن»[4].

وعن رسول الله ﷺ قال: «ما من مؤمن إلا ولقلبه في صدره أذنان، أذن

---

(١) الأربعون حديثاً، ص ٤٣٣.

(٢) روى الحديث في إحياء العلوم، ج٢، ص ٣٣. هكذا: «في القلب لمتان: لمة من الملك إيعاد بالخير وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله سبحانه وليحمد الله، ولمة من العدو إيعاد بالشر وتكذيب بالحق ونهي عن الخير، فمن وجد ذلك فليستعذ بالله من الشيطان الرجيم»، ثم تلا قوله تعالى: ﴿**الشيطان يعدكم الفقر**...﴾ الآية. وهذا الحديث لم نعثر عليه من طرقنا، وكذا الحديث الآتي: في نهاية ابن الأثير: «في حديث ابن مسعود: لابن آدم لمّتان: لمة من الملك ولمة من الشيطان ـ اللمة الهمة والخطرة تقع في القلب، أراد إلمام الملك أو الشيطان به والقرب منه».

(٣) جامع السعادات، النراقي، ج١، ص ١٧٩.

(٤) جامع السعادات، النراقي، ج١، ص ١٧٩.

ينفث فيها الملك وأذن ينفث فيها الوسواس الخناس، فيؤيد الله المؤمن بالملك وهو قوله سبحانه، ﴿**ويؤيدهم بروح منه**﴾[1].

ب ـ الأوهام والخيالات الإبليسية:

ـ قال رسول الله ﷺ: «أخوف ما أخاف عليكم إثنان: إتباع الهوى، وطول الأمل، فأما اتباع الهوى، فيصدُّ عن الحق. وأما طول الأمل فينسي الآخرة»[2].

إن إستيلاء الآمال والرغبات على النفس البشرية يؤدي به إلى نسيان الآخرة، مثله مثل ذلك الحيوان الذي يستمر في الحفر داخل وكره، وفجأة ترى سقوط وكره على رأسه ليموت تحت أنقاضه، والإنسان يفعل ذلك في بعض أحيانه حينما يغور في التخيُّل والوهم، وما يوغل في هذه الخيالات وتلك الأوهام عميقاً حتى يختم الله على قلبه ويبعثه إلى التي وقودها الناس والحجارة.

ومن الخيالات والأوهام ما يرتبط بالدنيا وحبها، وهو ما يبعث على الجنون في بعض حالاته ـ كما أشار علماء النفس ـ ولقد أوصى رسول الله ﷺ والأئمة عليهم السلام بعدم الإنطلاق في صحراء الخيال، لأنه شعبة من شعب الوساوس، وأن مصير الإنسان لا يتعدى أن يكون بيد الحكيم تعالى وليس بيد الأفكار والخيالات والأوهام، وقد أوصوا عليهم السلام بضرورة قراءة هذه الآية عندما يرى نفسه الإنسان طعمةً للأوهام: ﴿**قل اللهمَّ مالك الملك، تؤتي الملكَ من تشاءَ، وتنزعُ الملكَ ممن تشاءُ، وتعزُّ من تشاءُ، وتذلّ من تشاءُ بيدك الخيرُ، إنك على كلِّ شيءٍ قديرٌ**﴾[3].

وقال رسول الله ﷺ: «من كان يأمل أن يعيش غداً، فإنه يأمل أن يعيش أبداً»[4].

---

(١) من هدى القرآن، ج٢، ص ٢٤٢ ـ / صحيح الكافي ـ ص ١٠٤.
(٢) كنز العمال، خ٤٣٧٦٤.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٢٦.
(٤) بحار الأنوار، ج٧٣، ص ١٦٧.

وجاء في الحديث القدسي أن الله تعالى قال: «لأقطعنَّ أمل كل من يؤمل غيري باليأس»[1].

وقال الرسول الأكرم ﷺ: «خذ بالثقة من العمل، وإياك والاغترار بالأمل ولا تدخل عليك اليوم همَّ غد.. ولو أخليت قلبك من الأمل لجددت في العمل، والأمل الممثل في اليوم، غداً أضرَّك في وجهين وسوَّفت به العمل، وزدت في الهم والحزن»[2].

وفيما ناجى الله تعالى موسى عليه السلام: «يا موسى! لا تطل في الدنيا أملك فيقسوَ قلبك، والقاسي القلب مني بعيد»[3].

إن التمنّي وطول الأمل وتسليم النفس للخيال يؤدي بالمرء إلى التعلق بالدنيا الدنية وإن كثيراً من التخيُّلات تجرُّ الإنسان إلى إرتكاب المآثم، وعلى الرغم من أن التفكير في عمل المحرمات لا يؤدي إلى تثبيت شيء في سجلّ الأعمال، فإنه يترك أثراً أسود في القلب، وهذا التفكير في عمل المحرم يدخل ضمن الضرب في الخيال ويميت القلب، ويجعل الإنسان دميةً خاليةً من النشاط والعمل، ناهيك عن إدخاله في دائرة القاسية قلوبهم **﴿فويلٌ للقاسيةِ قلوبُهُم من ذكرِ الله﴾**[4].

إن مسألة الضرب بالخيال مسألة عجيبة، فقد يتخيّل الجبان حين دخوله مقبرةً بأن أحد الموتى يطارده، بل يمسك به، أو قد يتخيَّل الجبان ذاك عند ذهابه إلى أحد الحمامات العمومية، بأن عدَّةً من الجن لهم حوافر وأظلاف جاءوا للاستحمام على الرغم من أن الجن لا أظلاف لهم ولا حوافر.

إنه يتخيّل أشياء ما أنزل الله بها من سلطان، ويضع أشخاصاً في مصنع مخيَّلته الضارب في أطناب الخيال.

فعندما يطلق المرء لخياله العنان يتبنّاه الشيطان، ويرد مخيلته ليوسوس إليه

---

(١) بحار الأنوار، ج٩٤، ص ٩٥.
(٢) بحار الأنوار، ج٧٣، ص ١١٢.
(٣) بحار الأنوار، ج٧٣، ص ٣٩٨.
(٤) سورة الزمر، الآية: ٢٢.

بأن زوجته قد تفعل فعلاً سيئاً ـ والعياذ بالله ـ وأن جاره المؤمن قد يسرقه، وما إلى ذلك من الخيالات والأوهام التي يشرع الشيطان بها من (١) بالمليون لتصير بعد شهر واحد (٥٠٪) وهكذا، إلى أن يصل الأمر أن يشكَّ بأخيه أو أبيه أو ابنه (٩٠٪).

وهنا يصبح الأمر اتهاماً جاء به الخيال والوسواس.

ويقال: إن التهمة أكثر من القتل في بعض مواطنها، قال الإمام الصادق عليه السلام: «إذا اتهم المؤمن أخاه إنماث الإيمان من قلبه كما ينماث الملح في الماء»[1].

وقال أيضاً ـ سلام الله عليه ـ: «من اتَّهم أخاه في دينه فلا حرمة بينهما»[2].

قال الشيخ الجليل غلام رضا اليزدي ـ رحمه الله ـ: «إن الشيطان الذي يأتي إليك لا يقلّ علماً عنك إذا كان لا يزيد عليك، فالعالم يأتيه شيطان عالم مثله، والدكتور يأتيه شيطان عالم بعلمه الطبي والطالب لا يتصيّده إلا شيطان بنفس مستواه ليتمكن منه ويحرفه عن الجادة الصواب»[3].

ففي الخيال يسرح الشيطان ويمرح، وفي الخيال يبذر الشيطان الرجيم بذوره القذرة ليلوِّن الطاهر بنجاسته، وليحرف السويّ عن استقامته. فالتخيُّل والوسوسة بلاءٌ ومصيبةٌ كبرى على الضارب أطنابه في الخيال عدو الإنسان الشديد، فترى الشيطان مثلاً يأتي لإنسان عن طريق الوضوء، فترى الرجل أو المرأة يضعون أيديهم تحت مجاري المياه مدةً طويلةً، ثم يقولون: إن أيدينا ما زالت نجسةً، في الوقت الذي لا وجود أصلاً للنجاسة، وإن الذي يحدث هو أن خياله يجسِّم له الأشياء، وعندما يشرع بالصلاة طالباً ذكر تكبيرة الإحرام تسمعه يقول: «ال، ال، ال، وبعد بضعة دقائق يقول: «الله أكبر».

إنه يتخيَّل أن «ال» لم يقلها بشكلها الصحيح، ويتخيَّل أن هناك أحداً يقول

---

(١) الكافي، ج٢، ص ٣٦١.
(٢) الكافي، ج٢، ص ٣٦١.
(٣) جهاد النفس، ص ٤٠٤.

له: ليست هكذا، بل أصبر قليلاً، لتقولها على طبيعتها.

إنها الخرافة، ويد الشيطان ولسانه، والمعصية الكبرى لكونها تدخل ضمن البدع.

إن الشيطان الرجيم يطرق كل الوسائل والسبل من أجل تضييع الإنسان وحرفه عن سبل السلام والهداية والصواب، وإن التخيُّل أحد أبوابه ووسائله التي يقود الإنسان من خلالها إلى حيث الوضاعة والحطة ـ والعياذ بالله ـ وورد عن أهل البيت عليهم السلام الحذر وعدم الإعتناء بالوسوسة.

فقد جاء عن الإمام الصادق عليه السلام عندما ذكر أمامه أن رجلاً مبتلى بالوضوء والصَّلاة، وقيل له أنه عاقل، فقال عليه السلام: «وأيّ عقل له وهو يطيع الشّيطان؟!

فقيل له: وكيف يطيع الشيطان؟ فقال: سله هذا الَّذي يأتيه من أيّ شيءٍ هو؟ فإنه يقول لك من عمل الشيطان»[1] وهذه إشارة إلى عدم تعويد الشيطان من النفس. وجاء أيضاً عن الإمام الصادق عليه السلام: «لا تعوّدوا الخبيث من أنفسكم بنقض الصَّلاة فتطمعوه، فإنّ الشّيطان خبيث يعتاد لما عوّد، فليمض أحدكم في الوهم، ولا يكثرنّ نقض الصلاة، فإنّه إذا فعل ذلك مرات لم يعد إليه الشك. قال زرارة[2]، ثمّ قال عليه السلام: إنّما يريد الخبيث أن يطاع فإذا عصي لم يعد إلى أحدكم»[3].

وجاء في وصية الإمام علي عليه السلام لكميل بن زياد(رض): يا كميل: إذا وسوس الشيطان في صدرك، فقل أعوذ بالله القوي من الشيطان الغوي، وأعوذ بحمد الرضى، من شر ما قدر وقضى، وأعوذ بإله الناس، من شر الجنة والناس، تكفي مؤنة إبليس والشياطين معه ولو أنهم كلهم أبالسة مثله.

يا كميل: إن لهم ـ الشياطين ـ خدعاً وشقائق، وزخارف ووساوس، وخيلاء، على كل أحد قدر منزلته في الطاعة والمعصية، فبحسب ذلك يستولون

---

(١) أصول الكافي، ج١، ص ١١.

(٢) زرارة: أحد تلامذة الإمام الصادق عليه السلام.

(٣) فروع الكافي، ج٣، ص ٣٥٨.

عليه بالغلبة.

يا كميل: لا عدو أعدى منهم، ولا ضار أضر بك منهم، أمنيتهم أن تكون معهم غداً، إذا جثوا في العذاب.

يا كميل: إن الأرض مملوءة من فخاخهم، فلن ينجو منها، إلا من تشبث بنا..»[١].

ومن وصايا الإمام جعفر الصادق عليه السلام: قال لعبدالله البجلي الكوفي: (يا عبدالله: لقد نصب إبليس حبائله في دار الغرور، فلا يقصد فيها إلا أولياءنا، ولقد جلت الآخرة في أعينهم، حتى ما يريدون بها بدلاً)[٢].

٢ ـ التزيين:

ـ يعتبر التزيين أي تجميل الأفعال القبيحة من أبرز وسائل الشيطان لإضلال الإنسان، يقول الحق تعالى: **﴿إنَّ الذين ارتدُّوا على أدبارهم من بعد ما تبيّن لهمُ الهُدى، الشَّيطَانُ سَوَّلَ لهم وأملى لهم﴾**[٣].

والعقل دائماً يحكم بحسن الحسن وبقبح القبيح وكذلك الشرع يوافق العقل السليم في أحكامه وبالتالي فليس تناقض بين حكم الشرع وحكم العقل ويقوم الشيطان بالإخلال بهذه المعادلة المستقيمة فيسعى إلى تزيين القبيح وجعل الحسن مكروهاً لدى النفس البشرية في غياب العقل، قال تعالى فيما حكاه عن إبليس **﴿قال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض﴾**[٤]. وتشير الآيات الكريمة في قصة النبي سليمان عليه السلام إلى ذلك: **﴿وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم﴾**[٥].

وتشير الآية الكريمة: **﴿وإذ زيّن لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم**

---

(١) نهج السعادة، ج٨.
(٢) اللّهو هدر للطاقة، ص ١٠١.
(٣) سورة محمد، الآية: ٢٥.
(٤) سورة الحجر، الآية: ٣٩.
(٥) سورة النمل، الآية: ٢٤.

اليوم من الناس وإنّي جار لكم فلمّا تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إنّي بريءٌ منكم إنّي أرى ما لا ترون إنِّي أخاف الله والله شديد العقاب﴾[1].

إلى يوم الفرقان هو الوقت الذي زيّن الشيطان للمشركين ما كانوا يعملونه لمحادّة الله ورسوله وقتال المؤمنين، ويتلبسون به للتهيء على إطفاء نور الله، فزيّن ذلك ـ الشيطان ـ في أنظارهم، وطيّب نفوسهم بقوله: لا غالب لكم اليوم من الناس، وإني مجير لكم أذب عنكم فلما تراءت الفئتان فرأى المشركون المؤمنين والمؤمنون المشركين رجع الشيطان القهقرى منهزماً وراءه وقال للمشركين إني بريء منكم إني أرى ما لا ترونه من نزول ملائكة النصر للمؤمنين وما عندهم من العذاب الذي يهددكم إني أخاف عذاب الله والله شديد العقاب[2].

إذن: تزيين الشيطان للإنسان عمله هو إلقاؤه في قلبه كون العمل حسناً جميلاً يستلذ به وذلك بتهييج قواه الباطنة وعواطفه الداخلة المتعلقة بذلك العمل فينجذب إليه قلبه، ولا يجد فراغاً يعقل ما له من سوء الأثر وشؤم العاقبة.

فعن أمير المؤمنين عليه السلام: «الشيطان موكل بالإنسان يزين له المعصية ليركبها»[3].

ومن دعاء الإمام السجّاد عليه السلام: «فلولا أن الشيطان يختدعهم عن طاعتك ما عصاك عاص ولولا أنه صور لهم الباطل في مثال الحق ما ضل عن طريقك ضال»[4].

وعن الإمام علي بن الحسين عليه السلام: كان عابد من بني إسرائيل فقال إبليس لجنده: من له فإنه قد غمني، فقال واحد منهم: أنا له، فقال: في أي شيء؟ قال: أزين له الدين، قال: لست بصاحبه، قال الآخر: فأنا له قال: في

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٤٨.

(٢) وقيل أن الشيطان تصور للمشركين في صورة سراقة بن مالك بن جشعم الكناني ثم المدلجي ـ وكان من أشراف كنانة ـ انظر تفسير البرهان.

(٣) نهج البلاغة.

(٤) الصحيفة السجادية.

أي شيء؟ قال في النساء، قال لست بصاحبه، قال الثالث، أنا له، قال: في أي شيء؟ قال: في عبادته. قال: أنت له.

فلما جنه الليل طرقه فقال: ضيف، فأدخله، فمكث ليلته يصلي حتى أصبح، فمكث ثلاثاً يصلي ولا يأكل ولا يشرب فقال له العابد: يا عبدالله ما رأيت مثلك، فقال له: إنك لم تصب شيئاً من الذنوب وأنت ضعيف العبادة. قال: وما الذنوب التي أصيبها؟ قال: خذ أربعة دراهم فتأتي فلانة البغية فتعطيها درهماً للحم، ودرهماً للشراب ودرهماً لطيبتها، ودرهماً لها فتقضي حاجتك منها...»[1].

ولو تطلعنا حولنا اليوم لرأينا الكثير من تزيين الشيطان في حياة الإنسان من مبادئ هدامة وأفكار ضالة، وأعمال مدمرة، وأمور مستهجنة وقبيحة شرعاً وعقلاً وكلها باسم الحداثة والتمدن والحضارة ووراءها من ينشرها ويروج لها ويدافع عنها.

٣ ـ الإزلال:

ـ قال تعالى: ﴿**فأزلهماالشيطان عنها فأخرجهما عما كانا فيه**﴾[2].

ويعني: الإزالة عن الحق. ففي التفسير: إن إبليس أزل أبانا آدم وزوجه ولكن بماذا؟ بتلك الطبيعة الموجودة عندهما، فأخرجا من الجنة وأبعدا عن الطبيعة المسخرة لهما.

وهكذا سوف يزل إبليس أبناء آدم ويبعدهم عن الجنة في الآخرة وعما سخر الله للإنسان في الحياة من النعم إذا أطاعوه[3].

وقال تعالى: ﴿**إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا**﴾[4].

---

(١) بحار الأنوار، ج٦٣، ص ٢٧٠.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٣٦.
(٣) من هدى القرآن، ج١، ص ١٣٤.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٥٥.

وسبب نزول هذه الآية: هو هزيمة جماعة من المسلمين في معركة أحد أمام المشركين فبين الله سبحانه أن للشيطان يداً قوية في هذا الفرار حينما أزلهم بواسطة معاصيهم السابقة.

في التفسير: (دور الذنوب في الهزيمة: ويبقى أن نعرف الأسباب الأساسية وراء هزيمة طائفة وأمنة طائفة. هل هي أسباب وقتية تمليها مواقف الطرفين داخل المعركة، أم تمتد إلى خارج المعركة.

الجواب: بل هي امتداد لما قبل المعركة، وما المعركة إلا كالنار التي تكشف الذهب عن غير الذهب، إن الرجل المؤمن الذي يتحمل مسؤولياته الإيمانية كاملة هو الذي يثبت في المعركة، أما الذي لا يلتزم بواجباته الإيمانية ويكتسب المعاصي فإنه ينهزم في المعركة فهم «المنهزمون» قد كسبوا السيئات فأصبحت تلك السيئات مدخلاً للشيطان إلى قلوبهم، فوسوس عليهم وأضلهم عن الاقدام في سبيل الله)[1].

٤ ـ الإستفزاز، الإجلاب، المشاركة:

ـ قال تعالى: ﴿واستفزز من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعِدهُم وما يَعِدُهُمُ الشَّيطانُ إلاَّ غُروراً * إنَّ عبادي ليس لك عليهم سُلطانٌ وكفى بربِّكَ وكيلاً﴾[2].

والإستفزاز: يعني: الإزعاج والإستنهاض بخفة وإسراع.

والإجلاب: يعني: السوق بجلبة أي صوت شديد وأجلب الرجل على صاحبه إذ توعده بالشر وجمع عليه الجيش.

وكم يكون عظيماً ذلك الإنسان الذي يتحدى كل خطط الشيطان ويصل إلى الجنة بعد تجاوز الواقع والعقبات العديدة، ويذكر السياق القرآني بخمس خطط: التضليل الإعلامي، وتخريب الإقتصاد، وإفساد التربية، والإرهاب، والترغيب.

---

(١) من هدى القرآن، ج ١، ص ٦٨٣.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٦٥ ـ ٦٦.

أ ـ **التضليل الاعلامي**: «واستفزز من استطعت منهم بصوتك».

والاستفزاز بمعنى الإستنهاض، يقال فزت الدابة: أي قامت وتحركت.. وورد في التفسير: أي إستنهض للمعصية من استطعت أن تستنهضه من ذرية آدم ـ وهم الذين يتولونه منهم ويتبعونه ـ بصوتك، وكأن الإستفزاز بالصوت كناية عن استخفافهم بالوسوسة الباطلة من غير حقيقة، وتمثيل بما يساق الغنم وغيره بالنعيق والزجر وهو صوت لا معنى له[1].

إذن الخطاب موجّه إلى إبليس ـ لعنه الله ـ بتحريك من استطعت منهم، واستنهض من شئت، بإعلامك المضلل.. ويشمل الصوت، الدعاية والموسيقى والغناء، وكل أساليب الغواية المنطوقة.

ويعتبر التضليل الاعلامي، أمضى أسلحة الشيطان، حيث نرى بداية الخلق أن إبليس أغوى آدم وزوجته وأخرجهما من الجنة بالقسم الكاذب، وعلى امتداد التاريخ استخدم الشياطين أبواقهم الدعائية لمحاربة الحق، وكان حول الطغاة أبداً جيش من أدعياء الفكر والدين يؤيدون سلطانهم ويغوون عباد الله.

ولا تزال شبكات المستكبرين التضليلية تقوم بأسوأ دور في مد سيطرتهم الشيطانية على المستضعفين، وهكذا ينبغي أن تكون الشعوب على أعلى مستوى من الوعي حتى تقاوم هذا التضليل وإلا فإن الجزارين سوف يقودونها إلى المذبحة بسهولة بعد أن يخدعوها ويغروها.

ب ـ **الإرهاب**: «واجلب عليهم بخيلك ورجلك».

الإرهاب وسيلة شيطانية يستنجد بها أعوان الشيطان متى تحرك الناس تجاه دينهم أو بدأوا بممارسة حقهم في التفكير، أو بدأوا يستخدمون عقولهم (وخيلك) هم الخيالة أو بمعنى آخر هم القوة المحمولة للشيطان (ورجلك) إشارة إلى جيش المشاة. وورد في التفسير: أي صح عليهم لسوقهم إلى معصية الله بأعوانك وجيوشك فرسانهم ورجالتهم وكأنه إشارة إلى أن قبيله وأعوانه منهم من يعمل ما يعمل بسرعة كما هو شأن الفرسان في معركة الحرب ومنهم من

---

(١) تفسير الميزان، مجلد ١٣ ـ ص ١٤٦.

يستعمل في غير موارد الحملات السريعة كالرجالة، فالخيل والرجل كناية عن المسرعين في العمل والمبطئين فيه وفيه تمثيل نحو عملهم»[1].

ج ـ إفساد الإقتصاد: «وشاركهم في الأموال والأولاد».

الشركة إنما يتصور في الملك والإختصاص ولازمه كون الشريك سهيما لشريكه في الانتفاع الذي هو الغرض من إتخاذ المال والولد فإن المال عين خارجي منفصل من الإنسان وكذا الولد شخص إنساني مستقل عن والديه، ولولا عرض الإنتفاع لم يعتبر الإنسان مالية لمال ولا إختصاصاً بولد.

فمشاركة الشيطان للإنسان في ماله أو ولده مساهمته له في الإختصاص والإنتفاع كأن يحصل المال الذي جعله الله رافعاً لحاجة الإنسان الطبيعية من غير حله فينتفع به الشيطان لغرضه والإنسان لغرضه الطبيعي، أو يحصله من طريق الحل لكن يستعمله في غير طاعة الله فينتفعان به معاً وهو صفر الكف من رحمة الله وكأن يولد الإنسان من غير طريق حله أو يولد من طريق حله ثم يربيه تربية غير صالحة ويؤدبه بغير أدب الله فيجعل للشيطان سهماً ولنفسه سهماً. .»[2].

وجاء عن ابن عباس في تفسير الآية: «الأموال والأولاد التي يشارك فيها الشيطان كل مال أُصيب من حرام وأُخِذ من غير حقه وكل ولد زنا»[3].

إذن: هذا هو الأسلوب الثالث الذي يعتمده الشيطان وهو إفساد النظام الإقتصادي وحين يكون الإقتصاد فاسداً بسيطرة الرأسمال الكافر، فإن من الصعب جداً عبادة الله لأن الشيطان يقطع رزق المؤمنين بعد سيطرة أجهزته على المال.

د ـ إفساد التربية:

ـ أما المشاركة في الأولاد فتعني التربية الفاسدة للطفل، فالشيطان يشارك الأب في تربية أبنائه فمنذ نعومة أظفارهم يأخذهم ليرزقهم فكره، ليكونوا حملة رسالته.

---

(١) تفسير الميزان، مجلد ١٣ ـ ص ١٤٦.
(٢) تفسير الميزان، مجلد ١٣ ـ ص ١٤٦.
(٣) تفسير الميزان، مجلد ١٣ ـ ص ١٤٦.

والمعنى العميق لهذه الآية: أن الإنسان لو ترك وفطرته لاستفاد من حياته ولكن الشيطان يدخل مع الإنسان في كل شيء ويصير معه شريكاً فيمتص جهوده، فلا يستفيد الإنسان من حياته لحياته الأخرى، بل تكون حكراً للشيطان.

هـ ـ الترغيب: «وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً».

وهذه النقطة الأخيرة التي يعتمد عليها الشيطان وزبانيته وهي أسلوب الترغيب ولخطورة هذه النقطة سفهها الله سبحانه وتعالى لأن الإنسان تغريه رنة الدينار حتى يعمى بصره، فيصبح لا يرى الحق الأبلج..[1].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إن الله حرم الجنة على كل فحاش بذيء قليل الحياء لا يبالي ما قال ولا ما قيل له فإنك إن فتشته لم تجده إلا لغية أو شرك شيطان.

قيل يا رسول الله وفي الناس شرك شيطان؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم: أما تقرأ قول الله عز وجل: وشاركهم في الأموال والأولاد[2].

وفي الحديث: من لم يبال ما قال وقيل فيه فهو شرك شيطان ومن لم يبال أن يراه الناس مسيئاً فهو شرك شيطان، ومن اغتاب أخاه المؤمن من غيره ترة بينهما فهو شرك شيطان، ومن شغف بمحبة الحرام وشهوة الزنا فهو شرك شيطان[3].

٥ ـ التسويل:

قال تعالى: **﴿إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم﴾**[4].

ويعني: تسهيل اقتراف الكبائر والآية الكريمة تتحدث عن جماعة من

---

(١) من هدى القرآن، ج٦، ص ٢٦٤.
(٢) بحار الأنوار، ج٦٧، ص ٢٠٧.
(٣) بحار الأنوار، ج٥، ص ٩٥.
(٤) سورة محمد(ص)، الآية: ٢٥.

المنافقين ارتدوا على أدبارهم عن جبهة الحق والهدى بعدما عرفوها وذلك بتسهيل الشيطان لهم هذا الذنب العظيم، لأن الإرتداد عن الحق وجماعته، يسبب بلبلة وإرباك في النفوس الضعيفة ويضعف جبهة الحق، ويشمت العدو ويقوي جبهته.

وهكذا يسهل الشيطان للإنسان عمل الكبائر الأخرى ويستدرجه عن طريقها إلى الكفر.

ففي الخبر: أن رجلاً عابداً كان يتعبد في صومعة وأن امرأة كان لها أخوة فعرض لها شيء فأتوه بها فزينت له نفسه فوقع عليها، فجاءه الشيطان فقال: اقتلها، فإنهم إن ظهروا عليك افتضحت فقتلها، ودفنها، فجاؤوا فأخذوه فذهبوا به فبينما هم يمشون، إذ جاءه الشيطان فقال: إني أنا الذي زينت لك فاسجد سجدة أنجيك، فسجد له، فذلك قوله تعالى: **﴿كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر﴾**[1].

وكذلك طريق الإنحراف يبدأ بخطوة ثم ينتهي إلى ألف خطوة.

٦ ـ الإغواء:

﴿وعزتك لأغوينهم أجمعين...﴾[2].

وأغوى: أي أفسد الإعتقاد.

والشيطان حينما أقسم أن يغوي بني آدم أي يفسد عليهم فطرتهم السليمة، فطرة الإيمان والتوحيد، ومن ثم يأمرهم بارتكاب الذنوب فيطيعوه ـ وقد أشرنا إلى ذلك سابقاً.

٧ ـ الإملاء:

﴿الشيطان سول لهم وأملى لهم﴾[3].

---

(١) تفسير الدر المنثور، ج٦، ص ١٩٩.

(٢) سورة ص الآية: ٨٢.

(٣) سورة محمد (ص)، الآية: ٢٥.

والإملاء: الإمداد أو تطويل الآمال، وتعنى أيضاً الإمهال.

ودور الشيطان هنا هو دعوة الإنسان إلى تسويف العمل الصالح كالتوبة والإعداد للآخرة حتى يفاجئه الأجل وهو غافل.

٨ ـ النزغ:

﴿وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم﴾(١).

والنزغ: الدخول في الأمر لإفساده ومن الأمور التي يسعى الشيطان يجد في إفسادها وتخريبها وحدة المؤمنين وصلاح ذات بينهم وقوة جماعتهم.

وفي التفسير: الشيطان يمشي بين العباد بالعداوة، ويبث روح العداء، ويستفيد من الكلمات النابية، بل من سقطات اللسان، والأخطاء التي يتهاون الناس عادة فيها في بث روح العداء بين المؤمنين»(٢).

وتنبيهاً على خطورة نزغ الشيطان تكرر إرشاد الله سبحانه بالإستعاذة من نزغ الشيطان بالخصوص في سورتي الأعراف، وفصلت في آيات متقاربة في مضمونها.

قال تعالى في سورة الأعراف: **﴿وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم﴾**(٣).

وقال تعالى في سورة فصلت: **﴿وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم﴾**(٤).

وقيل النزغ هو الإزعاج والإغراء وأكثر ما يكون حال الغضب، وقيل: هو من الشيطان أدنى الوسوسة، والمعاني متقاربة، وأقربها من الآية هو الأوسط لمناسبته الآية السابقة الآمرة بالاعراض عن الجاهلين **﴿وأعرض عن الجاهلين﴾**

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٥٣.
(٢) من هدى القرآن، ج٦، ص ٢٤٧.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٠.
(٤) سورة فصلت، الآية: ٣٦.

فإن مماستهم الإنسان بالجهالة نوع مداخلة من الشيطان لإثارة الغضب، وسوقه إلى جهالة مثله. فيرجع معنى الآية إلى أنه لو نزغ الشيطان بأعمالهم المبنية على الجهالة وإساءتهم إليك ليسوقك بذلك إلى الغضب والإنتقام فاستعذ بالله إنه سميع عليم، والآية مع ذلك عامة خوطب بها النبي ﷺ وقصد بها أُمته لعصمته[1].

٩ ـ التخويف:

قال تعالى: **﴿إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين﴾**[2].

نزلت هذه الآية في غزوة بدر الصغرى، حيث بادر أحد المسلمين وبتحريض من المشركين للتهويل من قوة قريش أمام المسلمين وتخويفهم منهم، وهكذا يفعل الشيطان حينما يضخم العدو أمام المسلمين حتى يتراجعوا عن الجهاد ولكن النتيجة أن هذا التخويف لن يؤثر إلا في النفوس الضعيفة، أما المؤمنون الصادقون فلا يخافون أحداً إلا الله.

وفي التفسير: إن مصدر الهزيمة النفسية هو الخوف والخوف فطرة في البشر، ولكن على المؤمن أن يوجه خوفه إلى المصدر الحقيقي للخوف وهو الله، وليس إلى أعدائه من البشر، لأن الله ـ وليس البشر ـ هو القادر على إنزال أشد العقوبات في الدنيا والآخرة على الإنسان فعليه أن يخشاه.

أما البشر فالخوف منهم مجرد وسواس شيطاني لأن كل ما يملكه البشر، يمكن أن أملكه أنا، أو أملك ما يواجهه ولكن هل بإمكاني أن أملك ما يملكه الله؟ «والإيمان بالله وبأنه الضار النافع وأنه بصير بعباده هو الذي يجعلنا نخافه، فلا نخاف أحداً سواه، أما الإيمان بالشيطان بماله وشهرته وإغراءاته فهو الذي يجعلنا نخافه، ونخاف الناس الذين يملكون المال، والسلطة، والإغراء إذا دعنا

---

(١) تفسير الميزان، مجلد ٨ ـ ص ٣٨٠ ـ ٣٨١.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٧٥.

نطرد حب زينة الحياة الدنيا من قلوبنا حتى نتمتع بالشجاعة»[1].

١٠ ـ وعوده وأمانيه:

قال الله تعالى فيما حكاه عن الشيطان: ﴿**وَلأُضِلَّنَّهم وَلأُمَنِّيَنَّهم وَلآمُرَنَّهُم فَلَيُبَتِّكُنَّ آذان الأنعام وَلآمُرَنَّهُم فَلَيُغَيِّرُنَّ خلقَ اللهِ ومن يتَّخذ الشيطان وليّاً من دون الله فقد خسر خسراناً مبيناً * يعدهم ويمنِّيهم وما يعدُهُم الشَّيطانُ إلاّ غُرُوراً**﴾[2].

يقول: لأضلنهم بالإشتغال بعبادة غير الله واقتراف المعاصي، ولأغرنهم بالاشتغال بالآمال والأماني التي تصرفهم عن الإشتغال بواجب شأنهم وما يهمهم من أمرهم، ولآمرنهم بشق آذان الأنعام وتحريم ما أحل الله سبحانه، ولآمرنهم بتغيير خلق الله وينطبق على مثل الإخصاء وأنواع المثلة واللواط والسحق. وليس من البعيد أن يكون المراد بتغيير خلق الله الخروج عن حكم الفطرة وترك الدين الحنيف، قال تعالى: ﴿**فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم**﴾[3].

وأما المواعيد فهي الوساوس الشيطانية بلا واسطة، وأما الأماني فهي المتفرعة على وساوسه مما يستلذه الوهم من المتخيلات، ولذلك قال: «وما يعدهم الشيطان إلا غروراً» فعد الوعد غروراً دون التمنية على ما لا يخفى.

وكما جاء في الآية الكريمة: ﴿**إنّ الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم**﴾[4].

هو إبليس يريد بكلامه ردّ اللوم على فعل المعاصي إليهم ـ أي أولياءه ـ والتبرىء من شركهم فقوله: «إنّ الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم» أي وعدكم الله وعداً حققه الوقوع وصدَّقته المشاهدة من البعث والجمع والحساب وفصل القضاء والجنة والنار، ووعدتكم أنا أن لا بعث ولا حساب ولا جنة ولا

---

(١) من هدى القرآن، ج١، ص ٧٠٣.
(٢) سورة النساء، الآية: ١١٩ ـ ١٢٠.
(٣) سورة الروم، الآية: ٣٠.
(٤) سورة إبراهيم، الآية: ٢٢.

نار ولم أفِ بما وعدت حيث ظهر خلاف ما وعدت ـ كذا ذكره المفسرون ـ.

وعلى هذا فالموعود جميع ما يرجع إلى المعاد إثباتاً ونفياً أثبته الله سبحانه ونفاه إبليس لعنه الله ـ وإخلاف الوعد كناية عن ظهور الكذب وعدم الوقوع من إطلاق الملزوم وإرادة اللازم.

ومن الممكن ـ بل هو الوجه ـ أن يشمل الوعد ما يترتب على الإيمان والشرك في الدنيا والآخرة جميعاً لأنهما متطابقتان فقد وعد الله أهل الإيمان حياة طيبة وعيشة سعيدة، وأهل الشرك المعرضين عن ذكره معيشة ضنكاً وتحرُّجاً في صدورهم وعذاباً في قلوبهم في الدنيا، ووعد الجميع بعثاً وحساباً وجنة وناراً في الآخرة.

ووعد إبليس أولياءه بالأهواء اللذيذة والآمال الطويلة وأنساهم الموت وصرفهم عن البعث والحساب وخوّفهم الفقر والذلّة وملامة الناس، وكان مفتاحه في جميع ذلك إغفالهم عن مقام ربهم وتزيين ما بين أيديهم من الأسباب مستقلة بالتأثير خالقة لآثارها وتصوير نفوسهم لهم في صورة الإستقلال مهيمنة على سائر الأسباب تدبرها كيف شاءت فتغريهم على الإعتماد بأنفسهم دون الله وتسخير الأسباب في سبيل الآمال والأماني.

وخلاصة ما تقدم: إن الله تعالى وعدهم فيما يرجع إلى الدنيا والآخرة بما وفى لهم فيه، ودعاهم إبليس من طريق الإغفال والتزيين إلى الأوهام والأماني وهي بين ما لا يناله الإنسان قطعاً وما إذا ناله وجده غير ما كان يظنه، فيتركه إلى ما يظنه كما يريد هذا في الدنيا وأما الآخرة فينسيه شؤونها كما تقدّم(١).

والشيطان عندما يواجه أمامه نفسية قوية صامدة فإنه يتوسل بسلاح الوعود والأماني الكاذبة، التي يلقيها في نفس الإنسان، فتفعل فعلها السحري في إضعاف إرادته وتحطيم صموده، ومن الأماني الباطلة حب الخلود والبقاء في الحياة، والأمال العريضة الأخرى.

فعن الإمام الصادق عليه السلام: لما نزلت هذه الآية: **﴿والذين إذا فعلوا**

---

(١) تفسير الميزان، مجلد ١٢، ص ٤٧.

فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم﴾[1] صعد إبليس جبلاً بمكة يقال له ثور فصرخ بأعلى صوته بعفاريته. فاجتمعوا إليه فقالوا: يا سيدنا لم دعوتنا؟ قال: نزلت هذه الآية فمن لها؟ فقام عفريت من الشياطين فقال: أنا لها بكذا وكذا. قال: لست لها فقال الوسواس الخناس، أنا لها. فقال: بماذا؟ قال: أعدهم وأمنيهم حتى يواقعوا الخطيئة فإذا واقعوا الخطيئة أنسيتهم الإستغفار، فقال: أنت لها فوكله بها إلى يوم القيامة[2]!

الإنسان قد يرتكب الذنب مستخفاً به، بحجة أنه سيتوب عنه في المستقبل ولكنه لا يعلم أن الشيطان له بالمرصاد يقطع عليه طريق التوبة، فينسيه الإستغفار فيلاقي ربه مكبلاً بذنوبه القديمة التي استخف بها.

أما جانب وعوده: فإن وعود الشيطان تأتي دائماً معاكسة للواقع. فهو يعد المؤمنين بالفقر إن هم بذلوا أموالهم في سبيل الله فيثبطهم عن البذل والعطاء. **﴿الشيطان يعدكم الفقر﴾**[3].

وفي قصة النبي موسى عليه السلام مع إبليس قال: . . . وإذا هممت بصدقة فأمضها. فإذا هم العبد بصدقة كنت صاحبه دون أصحابي حتى أحول بينه وبينها وهو يعدهم بالخلود في الدنيا والنجاة من الموت إن هم قعدوا عن الجهاد في سبيل الله.

كما يعدهم بالمغفرة كي يستمروا في المعاصي ولا يبادروا التوبة.

فعن أمير المؤمنين عليه السلام: يا كميل: إن إبليس لا يعد عن نفسه. وإنما يعد عن ربه ليحملهم على معصيته فيورطهم[4].

وهكذا فإن وعود وأماني الشيطان لا تنتج إلا الخيبة والخسران لأنها كذب وغرور.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٣٥.
(٢) بحار الأنوار، ج٦٣، ص ١٩٣.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٦٨.
(٤) ميزان الحكمة، ج٥، ص ٨٨.

١١ ـ الإيحاء:

قال تعالى: ﴿**إن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم**﴾[١].

والإيحاء: ما يلقيه الشيطان في قلب الإنسان من حديث وهو خاص بأوليائه لتقويتهم على مواجهة الحق والجدل بالباطل.

جاء في التفسير: والإثم هو ما شرعه الله لا ما يوحيه الشيطان مثلاً: لا يجوز أكل الذبيحة التي لم يذكر اسم الله عليها حين تذبح لأنها فسق يدل على حالة الإنفصال بين الإنسان ومبادئه أو الزعم بأن الدين محصور في المسجد، أما الحياة سواء ما يرتبط بالأكل والشرب أو الزواج والطلاق أو السياسة والإقتصاد فإنها منفصلة عن الدين أن كل ذلك فسق وشرك بالله، وذلك يعني أن هناك إلهان ووليان وقائدان للبشر أحدهما للمسجد والثاني للسوق.

والشياطين يجادلون في الحق ويحاولون تمييع الواجبات وأن يقولوا: ما هو الفرق بين الذبيحة التي لم يذكر اسم الله عليها وبين الأخرى؟ دون أن يضعوا القضية في إطارها العام ليعرفوا أن ذلك مرتبط بكل سلوك البشر أن يكون سلوكاً توحيدياً فيقول: ﴿**إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين**﴾ أو سلوكاً شركياً فيقول: إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لنفسي. ﴿**وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم**. . .﴾.

أولاً: لأن طاعة غير الله في حكم الشرك بالله.

ثانياً: لأن منهج الشيطان هو منهج الشرك والفصل بين الدنيا والدين بين الدين والسياسة بين الجامع والجامعة بين المسجد والسوق وهكذا[٢].

١٢ ـ الهمز النفث، النفخ:

قال تعالى: ﴿**وقل ربّ أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك ربّ أن**

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٢١.

(٢) من هدى القرآن، ج٣، ص ١٧٧.

يحضرون﴾[1].

والهمز: شدة الدفع وهمز الشيطان: دفعه بالإغواء إلى المعاصي، وذلك عبر الخطرات التي يخطرها في القلب. وقد ورد: «أن الهمز هو أن يهمز الإنسان بقول قبيح من حيث لا يسمع أو يحثه ويؤيده على أمر قبيح أي يغريه به، واللمز أجهر من الهمز، وفي القرآن (همزات الشياطين)، ولم يقل لمزات لأن مكايدة الشيطان خفية»[2].

وقال صاحب (مجمع البيان): «همزات الشيطان بالاغواء الى المعاصي» وقال القمي في تفسيره: «إنه ما يقع في قلبك من وسوسة الشيطان»[3].

فتكون همزات الشيطان هي حضوره في القلب عن طريق الإغراء والوسوسة. وهل هناك ما يحوم حول القلب ويفتنه ويغريه أكثر من متع الدنيا ولذّاتها!؟

ففي ظاهر الإنسان حواسّه الخمس، تنقل إلى نفسه أخبار المشتهيات وأحوال الطيّبات واللذّات. وللنفس جنودٌ خفيَّةٌ تسكن في باطنها، تدرس لها هذه الأخبار وتشرح لها هذه الأحوال بطريقةٍ مغرية جذّابة. ومن هؤلاء الجنود الخيال الذي يحلل ويركّب، ويمزج ويفرّق، ويبعّد ويقرّب، حتى تثور شهوة النفس ويغلو ميلها إلى هذا الشيء أو ذاك. فحركة الخيال هي العنصر الذي به تدخل وسوسة الشيطان إلى النفس، ولذلك كان محطَّ خطاب الوحي ومحلَّ إنتباه الأنبياء والقادة المصلحين. ولعلَّ الخيال هو نفس مجرّدة قادرة على الظهور بالصورة المناسبة لها.

والنفث: ما يلقيه الشيطان من حديث في القلب.

والنفخ: الكبر الذي يلقيه في قلب الإنسان.

ولما كان قلب الإنسان محط أسراره ومنبع مشاعره وعواطفه، وهو في نفس الوقت قاعدة انطلاق الشيطان ومركز علمه صار من السهل على الشيطان

---

(١) سورة المؤمنون، الآية: ٩٧ ـ ٩٨.
(٢) مصطلحات قرآنية، ص ٤١٨.
(٣) تفسير الميزان، ج١٥، ص ٦٥.

التدخل السريع في مشاعر الإنسان وأحاسيسه وأفكاره عبر الهمز والنفث والنفخ فيحرفها عن الطريق السليم ويحدث فيها إرباكاً وخلخلة تظهر في سلوك الإنسان ومسيرته ومواقفه في الحياة.

فعن أمير المؤمنين عليه السلام : نفذ في الصدور حفياً ونفث في الأذان نجياً فأضل وأروى[١].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام : ينفخ الشيطان في أنف الإنسان من ريح الكبر ما يعقبه الندامة[٢] وعن رسول الله صلى الله عليه وآله : تعوذوا بالله من الشيطان الرجيم فإن من تعوذ بالله أعاذه الله، وتعوذوا من همزاته، ونفخاته، ونفثاته، أتدرون ما هي؟ أما همزاته فما يلقيه في قلوبكم من بغضنا أهل البيت قالوا: يا رسول الله وكيف نبغضكم بعدما عرفنا محلكم من الله ومنزلتكم، قال: تبغضوا أولياءنا، وتحبوا أعداءنا.

قيل: يا رسول الله وما نفخاتهم؟ قال: هي ما ينفخون به عند الغضب في الإنسان بما يهلكون به، أتدرون ما أشد ما ينفخون؟ وهو ما ينفخون بأن يوهموا أن أحداً من هذه الأمة فاضل علينا أو عدل لنا أهل البيت.

وأما نفثاته: فإنه يرى أحدكم أن شيئاً بعد القرآن أشفى له من ذكرنا أهل البيت ومن الصلاة علينا[٣].

١٣ ـ الأزّ:

قال تعالى: **﴿ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزّهم أزّاً﴾**[٤].

الأزّ والهز بمعنى واحد وهو التحريك بشدة وإزعاج والدفع بشدة إلى أمر ما والمراد تهييج الشياطين إلى الشر والفساد والتحريض على إتباع الباطل

---

(١) نهج البلاغة، ص ٢٨٨ ـ ٢٨٩.
(٢) نهج البلاغة، ص ٢٨٩.
(٣) بحار الأنوار، ج٦٣، ص ٢٠٤.
(٤) سورة مريم، الآية: ٨٣.

وإضلال الكافرين بالتزلزل عن الثبات والإستقامة على الحق.

ولا ضير في نسبة إرسال الشياطين إليه تعالى بعدما كان على طريق المجازاة فإنهم كفروا بالحق فجازاهم الله بزيادة الكفر والضلال ويشهد بذلك قوله: «على الكافرين» ولو كان إضلالاً إبتدائياً لقيل: «عليهم» من غير أن يوضع الظاهر موضع المضمر.

وجاء في التفسير: إن الشياطين يدفعون الكافرين دفعاً إلى العذاب إلى حيث النقمة والشقاء، هكذا يفعل الشياطين بالكافرين ولكن الله ليس بظلام للعبيد، فهو لا يبعث الشياطين على المؤمن المخلص الذي انتهج منذ البدء طريق الهدى، والشيطان لا يقدر عليه مهما حاول جهده، أما الذي كفر بالله وترك الإعتصام بحبله، وظل بدون محور صحيح يدور عليه، ولا قاعدة ثابتة يعتمد عليها، فإن الله يرسل عليه شيطاناً يدفعه إلى النار في الآخرة، والعذاب في الدنيا والآية هذه شاهدة على الآية السابقة. إذ أن الشياطين وهم الظلمة والأحزاب الكافرة، وإبليس وجنوده لا يزالون ينخسون مريديهم وتابعيهم ويحرضونهم على طاعتهم حتى يوردونهم نار جهنم[١].

١٤ ـ النجوى:

قال تعالى: **﴿إنما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا وليس بضارهم شيئاً إلاّ بإذن الله﴾**[٢].

والنجوى: تعني الحديث مع الشخص همساً، وهي حديث الشر، والكلام الخفي، وعادة ما تكون في مجال الشر والباطل. كالتآمر، أو الغيبة والتهمة، أو السخرية ونشر السلبيات والهمز واللمز للآخرين. وكل ذلك يستغله الشيطان ويستفيد منه في زرع الفتن وبذر الإختلاف والفرقة بين الناس، مما ينتج أن تثور العداوة والإنطباع السيء بين الجمع من الناس. وقد حذر الله سبحانه من هذه النوعية من التناجي وأمر بأن تكون في مجال الخير والتواصي بالحق حيث يقول

---

(١) من هدى القرآن، ج٧، ص ٩٧.
(٢) سورة المجادلة، الآية: ٩.

عز وجل: ﴿وتناجوا بالبر والتقوى، واتقوا الله الذي تحشرون﴾[1].

وحيث أن الشيطان يستغل النوع الأول من النجوى لبث الخلاف والعداء ونشر الفتنة وإضعاف صف المؤمنين. فقد نسبه الله سبحانه إلى الشيطان نفسه.

فقد جاء في التفسير: **﴿إنما النجوى من الشيطان﴾**.

العدو الأول والأخطر للإنسان المؤمن، وإنما يتناجى المنافقون مع بعضهم لتلك المضامين السيئة لأنه كان يأمرهم بذلك، وكل نجوى سلبية فهي بدوافع شيطانية، كالهوى والطمع، والمصالح المادية، وحب التفريق بين المؤمنين. ولعل الآية تدل على أن الأصل في النجوى الكراهة لأنها فطنة الغيبة والتهمة ومركز المؤامرة ضد النظام ولأن الشيطان يكون عند النجوى أقوى منه في أي حال آخر، ومن هنا يحسن تجنب النجوى إلا عند الحاجة **﴿ليحزن الذين آمنوا﴾**.

إنهم يحزنون حينما يلاحظون التكتلات السرية المعادية لمبادئهم ومصالحهم خوفاً من غلبتها وحكمها في المستقبل[2].

١٥ ـ الرؤيا المزعجة وحديث النفس:

وغرضها إيذاء المؤمنين وإزعاجهم نفسياً عبر إراءتهم ما يكرهونه ويخافون منه في المنام، وعبر بث الإيحاءات السيئة والهموم المقلقة في نفوسهم، فينشغلون بالتفكير في همومهم الشخصية، كالمرض، المعاش والزواج، والعيال، والعمل وغيرها وبذلك يسلبهم الشيطان التركيز والإندفاع في واجباتهم ومسؤولياتهم وقد تكون تلك الهموم واقعية أحياناً وقد تكون وهمية في أغلب الأحيان.

فقد جاء في الخبر: أن فاطمة عليها السلام رأت رؤيا أحزنتها فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فصلى ركعتين ثمّ ناجى ربه فنزل جبرائيل فقال: يا محمد هذا شيطان

---

(١) سورة المجادلة، الآية: ٨.

(٢) من هدى القرآن، ج١٥، ص ١٦٧.

يقال له الرها وهو الذي أرى فاطمة هذه الرؤيا. ويؤذي المؤمنين في نومهم ما يغتمون. فأمر جبرائيل فجاء به إلى رسول الله ﷺ فقال له: أنت الذي أريت فاطمة هذه الرؤيا؟ فقال: نعم يا محمد، فبزق عليه ثلاث بزقات، فشجّه في ثلاث مواضع[1].

كما وروي عن أبي عبد الرحمن قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: ربما حزنت فلا أعرف في أهل ولا ولد، وربما فرحت فلا أعرف في أهل ولا ولد فقال: إنه ليس من أحد إلا ومعه ملك وشيطان، فإذا كان فرحه كان دنو الملك منه، وإذا كان حزنه كان دنو الشيطان[2].

وروي أنه جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! هلكت. فقال له هل أتاك الخبيث فقال لك من خلقك؟ فقلت الله تعالى، فقال لك: الله من خلقه؟ فقال له: أي والذي بعثك بالحق لكان كذا. فقال رسول الله ﷺ: «ذاك والله محض الإيمان»[3].

وقريب منه ما روي: أن رجلاً كتب إلى أبي جعفر عليه السلام يشكو إليه لمماً يخطر على باله، فأجابه في بعض كلامه: «إن الله إن شاء ثبتك فلا يجعل لإبليس عليك طريقاً. قد شكى قوم إلى النبي ﷺ لمماً يعرض لهم لأن تهوى بهم الريح أو يقطعوا أحب إليهم من أن يتكلموا به، فقال رسول الله ﷺ: أتجدون ذلك؟ قالوا: نعم! قال: والذي نفسي بيده إن ذلك لصريح الإيمان، فإذا وجدتموه فقولوا: آمنا بالله ورسوله ولا حول ولا قوة إلاّ بالله»[4].

بعد أن تعرفنا على طرف من وسائل الشيطان بنوعيها الظاهر والخفي في إضلال البشر. هنا قد يظن البعض أن كل أخطائهم وانحرافاتهم سببها الشيطان المتشبث بأعناقهم وبذلك يبرؤون أنفسهم من تحمل تبعة تلك الأخطاء. ويبررون عدم التزامهم بالحق وعدم إستقامتهم عليه.

---

(١) دار السلام، ج٤، ص ١٩٤.
(٢) بحار الأنوار، ج٦٣، ص ١٩٤.
(٣) جامع السعادات، ج١، ص ١٩٥.
(٤) جامع السعادات، ج١، ص ١٩٥ ـ ١٩٦.

وهذا بلا ريب خداع للذات، فلو دقق كل واحد منا في نفسه، وما تضمه جوانحه من أهواء، وشهوات، وما تحمله روحيته من عوامل ضعف مختلفة، لوجد أنه كان مسؤولاً بالدرجة الأولى وقبل الشيطان عن كل ما وقع منه إلا أن الشيطان قد إستفاد من هذه العوامل السلبية في نفسيته وروحيته، وتسلل إليه عبرها ثم أوقعه في الخطأ.

إذن فدور الشيطان هو التحريض والإغراء على الباطل ليس إلا. وكما يصرح الشيطان نفسه بذلك ﴿**وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي**﴾[1].

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٢٢.

الفصل العاشر

العوامل والمداخل المساعدة للشيطان على الإنسان

ـ مداخل الشيطان كثيرة ومتعددة وبها يطبق خطته التي رسمها من قبل. وهو يستخدم كل مدخل على حسب نوعية الإنسان ومستواه الإيماني، وكذلك هو الحال بالنسبة للناس فعلى قدر قربهم من الله أو بعدهم عنه يدركون تلك المداخل وذلك لأن الله هو الذي يعين الإنسان لإكتشاف تلك المداخل، فعندما يقرب العبد من الله تتضح له جلياً تلك المداخل ويعينه الله على التغلب عليها أما عندما يبتعد عن الله فإن الله تعالى يطمس على قلبه فلا يرى تلك المداخل ولا يشعر بها بل يحسب أن كل ما يقوم به عمل صالح **﴿وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون﴾**[1].

والواقع يكذب ما يدعون **﴿ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون﴾**[2].

وهذا الفصل من أهم الفصول وهو لب البحث ومحوره. فمن غير معرفة مداخل إبليس يصعب على الإنسان مزاولة هذه الحرب التي عقدت بينه وبين عدوه إبليس، ويصبح من العسير التحفز لخططه التي يريد بها إغواء البشر وتزيين الباطل لهم ليقعوا فيه...

ومن العوامل والمداخل المساعدة للشيطان على الإنسان نذكر منها:

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١١.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٢.

ـ الشيطان والنفس الإنسانية:

خلق الله الإنسان وزوده بالعقل ودله على الصراط المستقيم وحذره من إتباع السبل المنحرفة بعد أن بصره بها، ثم وضعه في مقام الإمتحان والإختبار. فيم إذن امتحنه وآختبره؟

امتحنه بالنفس التي أودع فيها إمكانية الإختيار لسبيلي الخير والشر، وسلط عليه الشيطان يستثير فيه نوازع الشر، وأحاطه بدنيا مليئة بالأهواء والشهوات. كما يقول الشاعر:

إني بليت بأربع ما سلطوا ... إلا لعظم بليتي وشقائي
إبليس والدنيا ونفسي والهوى ... والله ينصرني على الأعداء
إبليس يسعى في سبيل مهالكي ... والنفس تأمرني بكل بلاءٍ[1]

وحول النفس:

ـ قال تعالى: ﴿إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي﴾[2].

﴿وما أصابك من سيئة فمن نفسك﴾[3].

﴿ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه﴾[4].

﴿ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾[5].

إلى غير ذلك من الآيات:

فالآيات صريحة على أن كلاّ من الشيطان والنفس عدو لهذا الإنسان يتعاونان عليه بغية هلاكه.

---

(١) المواعظ العددية.
(٢) سورة يوسف، الآية: ٥٣.
(٣) سورة النساء، الآية: ٧٩.
(٤) سورة ق، الآية: ١٦.
(٥) سورة الحشر، الآية: ٩.

وكذلك أشارت النصوص الصريحة عن الرسول ﷺ وأهل بيته إلى هذين العدوين.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام حول الشيطان: «والشيطان موكل به ـ أي بالإنسان ـ يزين له المعصية ليركبها ويمنيه التوبة ليسوفها»[1].

وعن الإمام علي عليه السلام قال في خطبة الغراء: «أوصيكم بتقوى الله الذي أعذر بما أنذر واحتج بما نهج وحذّركم عدواً نفذ في الصدور خفياً، ونفث في الآذان نجياً فأضل وأردى ووعد فمنّى[2]، وزين سيئات الجرائم، وهوّن موبقات العظائم حتى إذا استدرج قرينته، واستغلق رهينته أنكر ما زيّن، واستعظم ما هوّن وحذّر ما أمّن»[3].

واختبره بالسعي لمقاومة كل هذه الأمور وعدم الإستسلام لها.

ولعظم خطر النفس الإنسانية وتأثيرها المباشر والقريب على الإنسان ورد التحذير منها والتأكيد على تزكيتها وعدم الغفلة عنها لأنها مصدر الخطر الأول وبعدها يأتي خطر الشيطان.

يقول تعالى: **﴿ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها﴾**[4].

وقد أقسم الله سبحانه بهذه النفس الإنسانية لبيان خطرها ومكانتها من كيان الإنسان ككل. ثم بين الله تعالى أنه ألهم نفوسنا دوافع الخير ونوازع الشر، ولكن هذا الخير والشر ليس قدراً مسيطراً على شخصية الإنسان لا مندوحة عنه بل بإمكان الإنسان أن يزكو بنفسه ويرقى بها، وبإمكانه أن ينحط بها ويتدهور بشأنها[5] قال تعالى: **﴿قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها﴾**[6].

وقد جعل الله سبحانه في هذه النفس صفات ثلاث تتخذها النفس في

---

(١) الاستغفار، ص ١٨٨.

(٢) فمنى: أي صوّر الأماني كذباً.

(٣) الاستغفار، ص ١٨٩.

(٤) سورة الشمس، الآيتان: ٧ ـ ٨.

(٥) علم النفس الإسلامي.

(٦) سورة الشمس، الآيتان: ٩ ـ ١٠.

حالات ثلاث:

١ ـ حالة النفس الأمارة: وهي الداعية إلى الشر والفساد.

٢ ـ حالة النفس اللوامة: وهي التي تحاسب الإنسان وتلومه.

٣ ـ حالة النفس المطمئنة: وهي التي غلب عليها الخير فاستقرت.

* أنواع النفوس:

١ ـ النفس الأمارة:

وهي النفس الأمارة بالسوء، التي تُعد العدوَّ الأخطر على الإنسان. ونعني بها الميول والغرائز والرغبات والهوى، وتتمثل فيها الصفات الحيوانية. وحب التنقل هنا وهناك على وفق ما تمليه علينا الرغبات الترفية. وتبرز فيها الدوافع الشريرة فهي توجه صاحبها بما تهواه من شهوات، لهذا كانت مأوى كل سوء **﴿إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي﴾**[1].

والنفس الأمارة تنحرف بالإنسان إلى حيث الرذيلة، إذا ما غفل عن نفسه قليلاً مهما كان عفيفاً. إنها تشجع صاحبها وترغّبه في عملِ المعاصي التي يزينها الشيطان، وعندما يردُ الإنسان موارد السَّوء، تشجِّعه ثانيةً أن يستمرّ في عمل المعصية، وبعد ذلك تحبِّب إليه عمل المعصية، ليراها مسألةً طبيعيةً ولا غرابة فيها، وحينئذٍ يصبح عمل المعاصي ملكةً لا يمكن التخلي عنها إلا بصعوبة بالغة.

والنفس الأمّارة هي التي تأمر بالرغبات والأماني والهوى، وأمَّارة صيغة مبالغة تشير إلى أن النفس تلحُّ بالأمر الكثير، وهي كناية عن عدم شبعها، فالفرد الذي اتخذ إلهه شهوته الجنسية لا يتأتّى له أن يشبع من الجنس ولو أعطي كل نساء الدنيا، والفرد الذي اتّخذ آلهه الشهوة لا يروي غليله، حتى لو سخِّرت له الكرة الأرضية بكلها، والذي اتَّخذ آلهه حبَّ الرئاسة لا يشبع ولو تسلَّط على من في الأرض جميعاً؛ وأن هذه الشهوات لا تتزامن مع الأكل الكثير، ولو أكل

(١) سورة يوسف، الآية: ٥٣.

الإنسان إلى حد الإنفجار فالشهوات والرغبات لا تقف عند حد معين، لذا يقول علماء النفس: إن الرجل الشهوانيَّ أو المرأة الشهوانية يفضِّلان إرضاء شهواتهما؛ التلذُّذ بالحرام دون الحلال؛ وأن النفس الأمَّارة التي لا تردع تميل إلى استطعام الحرام دون الحلال هذا إذا تسلَّطت الغرائز والأمنيات على النفس البشرية، ولا ينتهي تسلُّط الشهوات على الإنسان إلا بعد أن يدخل نار جهنم الحامية، فالشهوات لا تترك الإنسان إلا بعد إدخاله في أسفل السافلين.

واعلم أن الشيطان الملعون، والنفس الأمارة بالسوء الخبيثة، يغرران الإنسان عبر طرق كثيرة ويقودانه إلى الهلاك الأبدي الدائمي، وآخر وسيلة يلتجآن إليها، هي تغرير الإنسان في بدء الأمر برحمة الحق سبحانه، ومنعه بذلك عن المضي في العمل الصالح، وهذا الإتكال على الرحمة من مكائد الشيطان وأساليب تضليله. والدليل على ذلك أننا في قضايانا الدنيوية، لا نعتمد على رحمة الحق سبحانه، بل نرى العوامل الطبيعية والظاهرية، مستقلة ومؤثرة بدرجة كأنه لا أثر في الوجود إلا للأسباب الظاهرية. ولكننا في الأمور الأخروية نتّكل غالباً حسب زعمنا على رحمة الحق سبحانه، ونغفل عن توجيهه لنا وتوجيه رسوله ﷺ، فكأنّ الله لم يزودنا بالقدرة على العمل، ولم يعلّمنا سبيل الصواب، والاعوجاج.

وخلاصة القول نكون في شؤوننا الدنيوية من المفوضية، وفي شؤوننا الأخروية من الجبريين، غافلين عن أن هذين المسلكين باطلان وفاسدان ومخالفان لإرشاد الأنبياء ﷺ، ومنهج أئمة الهدى، والأولياء المقربين. مع أنهم كانوا جميعاً يؤمنون برحمة الحق وكان إيمانهم أكثر من الآخرين. رغم ذلك كله، لم يغفلوا لحظة واحدة عن أداء واجبهم ولم يتوقفوا عن السعي وبذل الجهد دقيقة واحدة»[١].

٢ ـ النفس اللوامة:

وهي النفس التي تبرز فيها قوة الضمير، فيحاسب الإنسان نفسه كما

---

(١) الأربعون حديثاً، ص ٣٩٤ ـ ٣٩٥.

يحاسب غيره ولهذا أقسم الله تعالى بالنفس اللوامة. فقال: **﴿ولا أقسم بالنفس اللوامة﴾**[1].

٣ ـ النفس المطمئنة:

وهي النفس المؤمنة التي استوعبت قدرة الله، وتبلور فيها الإيمان العميق، والثقة بالغيب، لا يستفزها خوف، ولا حزن لأنها سكنت إلى الله واطمأنت بذكر الله وأنست بقرب الله فهي آمنة مطمئنة، تحس بالإستقرار النفسي والصحة النفسية والشعور الإيجابي بالسعادة[2].

والشيطان عادة ما يجد في الحالتين الأولى والثانية بغيته فيتصرف بهما ويتسلل إليهما ويبث خلالهما وسوسته ويستفيد من عوامل الضعف في النفس والتي تتمثل في أمراضها المتأصلة فيها.

ومن أمثلة هذه الأمراض:

١ ـ الوسواس، ٢ ـ الظن والشك، ٣ ـ اليأس والتشاؤم، ٤ ـ الضجر، ٥ ـ الخوف، ٦ ـ الهم والغم، ٧ ـ الحقد، ٨ ـ العجز، ٩ ـ الفخر، ١٠ ـ التكبر، ١١ ـ الغرور، ١٢ ـ الأنانية، ١٣ ـ البطر، ١٤ ـ عقدة الحقارة، ١٥ ـ النميمة، ١٦ ـ الغيبة، ١٧ ـ الحسد، ١٨ ـ الكذب، ١٩ ـ المكر، ٢٠ ـ النفاق، ٢١ ـ الرياء.

هذه الأمراض وغيرها يسخرها الشيطان في سبيل إضلال الإنسان وغوايته.

وإذا راجعنا النصوص الدينية والأدعية نراها تركز بصورة خاصة على بيان خطر هذه الأمراض، وتحذر من الوقوع فيها وتتعوذ بالله وتطلب العون من الله للتخلص منها وإستبدالها بأضدادها من صفات الخير.

ففي دعاء الإمام السجاد عليه السلام في الإستعاذة من المكاره وسيء الأخلاق ومذام الأفعال: (اللَّهمَّ إني أعوذ بك من هيجان الحرص، وسورة الغضب،

---

(١) سورة القيامة، الآية: ٢.

(٢) علم النفس الإسلامي (بتصرف).

وغلبة الحسد، وضعف البصر، وقلة القناعة، وشكاسة الخلق، وإلحاح الشهوة وملكة الحمية ومتابعة الهوى ومخالفة الهدى وسنة الغفلة. . .)[1].

وكما ورد في دعاء مكارم الأخلاق للإمام السجاد عليه السلام: «.. وأعزني ولا تبتلني بالكبر، وعبدني لك ولا تفسد عبادتي بالعجب، وأجر للناس على يدي الخير ولا تمحقه بالمن وهب لي معالي الأخلاق وأعصمني من الفخر. .»[2].

وفيما يلي نسلط الضوء على بعض الأمراض النفسية والقلبية وبعض السلوك المنحرف والتي قد يتقمصها الإنسان وتمثل عوامل ضعف تساعد الشيطان في عمله:

١ ـ الكفر: قال تعالى: **﴿إنّا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون﴾**[3].

الإنسان الكافر بالله، والجاحد بنعمته، يمثل اللقمة السائغة للشيطان، يعبث به كيفما شاء، وأنى شاء، فهو مطية سهلة، يمرر خططه ومكائده عبره لماذا؟ لأن الكافر قد وافق الشيطان في جميع خطواته وسلم زمامه بيده، فهو خادم مطيع بل عبد خاضع للشيطان.

وذلك حينما إستبدل عبادة الله سبحانه والخضوع له بعبادة الشيطان وطاعته. **﴿ألم أعهد إليكم يا بني آدم ألا تعبدوا الشيطان﴾**[4].

وليس شرطاً أن تكون العبادة للشيطان على صورة معينة كالسجود وغيره. بل تكفي الطاعة والخضوع وهي تمثل جوهر العبادة.

٢ ـ النفاق: قال تعالى: **﴿ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم﴾**[5].

في التفسير: إن قلوب الناس على ثلاثة أنواع: السليم، والمريض،

---

(١) الصحيفة السجادية ـ دعاؤه في الإستعاذة، ص ٤٥.
(٢) الصحيفة السجادية ـ دعاؤه في مكارم الأخلاق، ص ٨١.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ٢٧.
(٤) سورة يس، الآية: ٦٠.
(٥) سورة الحج، الآية: ٥٣.

والقاسي. والقلب السليم يعصمه الله عما يلقي الشيطان في أمنياته، بينما القلب المريض والقاسي يلقفان ما يلقيه الشيطان، ويصبح بالنسبة إليهما فتنة تستهويهما، ويصعب عليهما التخلص منها.

ما هو القلب المريض والقاسي:

ـ لعل أمراض القلب هي تلك العقد النفسية التي تظهر في الصفات الرذيلة كالحسد، والحقد، والكبر، واليأس، وحب الرئاسة، والجدل في الله بغير حق.

وأما قسوة القلب فهي التي تنشأ بسبب تراكم آثار الذنوب عليه، فإذا به لا يستجيب للحق، ولا يهتز للإنذار والتبشير، ولا يعتبر بمصير المجرمين، ولا ينتفع بآيات الله في الآفاق.

وكيف تصبح إلقاءات الشيطان بالنسبة له فتنة؟

لأن القلب المريض أو القاسي يبحث أبداً عما يتوافق معه، فإنه مستجيب سريعاً لوساوس الشيطان ويكون مثله مثل الجسم المريض الذي تكاثرت فيه الجراثيم، وضعفت مقاومته الذاتية، فإذا به يتلقف الجراثيم الجديدة بسهولة، إن مقاومة هذا الجسم للمرض ضعيفة، فخطر المرض عليه شديد، كذلك القلب المريض أو القاسي، يصعب عليه مقاومة الإشاعات الشيطانية التي تنتشر وتلقى هوى في النفس[1].

٣ ـ الجدال في الله بغير علم: يقول تعالى: **﴿ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد﴾**[2].

وجاء في التفسير: المريد: الخبيث وقيل المتجرد للفساد والمعرى من الخير، والمجادلة في الله بغير علم التكلم فيما يرجع إليه تعالى من صفاته وأفعاله بكلام مبني على الجهل بالإصرار عليه. ويتبع كل شيطان مريد: بيان لمسلكه في الاعتقاد والعمل بعد بيان مسلكه في القول كأنه قيل: إنه يقول في الله بغير علم ويصر على وجهه، ويعتقد بكل باطل ويعمل به وإذا كان الشيطان

(١) من هدى القرآن، ج٨، ص ٩٩.
(٢) سورة الحج، الآية: ٣.

هو الذي يهدي الإنسان إلى الباطل والإنسان إنما يميل إليه بإغوائه فهو يتبع في كل ما يعتقده ويعمل به الشيطان فقد وضع اتباع الشيطان في الآية موضع الإعتقاد والعمل للدلالة على الكيفية، فقوله تعالى: «ويتبع كل شيطان» ولم يقل: ويتبع الشيطان المريد وهو إبليس للدلالة على انخداعه بفنون الضلال وأنواعه فإن أبواب الباطل مختلفة وعلى كل باب شيطاناً من قبيل إبليس وذريته وهناك شياطين من الإنس يدعون إلى الضلال فيقلدهم أولياؤهم الغاوون ويتبعونهم وإن كان كل تسويل ووسوسة منتهياً إلى إبليس لعنه الله[1].

ويدخل في هذه الفئة من ينهج العقائد المنحرفة ويدافع عنها، ويجادل في الحقائق الواضحة والبراهين الساطعة الشريفة ويتبع في هذا الطريق الشياطين المردة، أي المتجردة للفساد، والعارية من الخير. وكأنها لا تتسلط إلا على من يختار هذا الطريق المظلم من أصحاب الجدل. ومصداق هؤلاء، واضعي ومبتدعي المذاهب الجدلية القديمة والحديثة.

والذين أنكروا الخالق سبحانه وتعالى وآمنوا بالصدفة والطبيعة، وحاربوا رسالات السماء فظلوا وأضلوا كثيراً من البشر تحت شعاراتهم البراقة التي تبطن الكفر والإلحاد والتحلل من كل القيم والأخلاقيات. ومثال ذلك في عصرنا الحاضر الماركسية التي رفعت شعار «الدين أفيون الشعوب» ولكنها بعد أن جربت هذا المذهب لم تحصد لشعوبها إلا الشقاء الروحي والمادي. وها هي الماركسية تتهاوى شيئاً فشيئاً كما يتهاوى البناء المنخور الذي بني على قاعدة مهترئة. ولتقول للعالم لن يحق إلا الحق، والباطل سوف يزول مهما طال الزمن.

يقول تعالى: **﴿ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق واتخذوا آياتي وما أنذروا هزواً﴾**[2].

وعن النبي ﷺ واصفاً تحريض الشيطان للإنسان على الجدل في ما لا علم له به: إن الشيطان يأتي أحدكم فيقول: من خلقك؟ فيقول: الله، فيقول:

---

(١) تفسير الميزان، مجلد ١٤، ص ٣٤٢ ـ ٣٤٣.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٥٦.

فمن خلق الله؟ فإذا وجد أحدكم ذلك فليقل: آمنت بالله ورسوله، فإن ذلك يذهب عنه.

فعن النبي ﷺ: إن للشيطان مصالي وفخوخاً وإن من مصاليه وفخوخه البطر بنعمة الله تعالى، والفخر بعطاء الله، والكبر على عباد الله، واتباع الهوى في غير ذات الله[1].

وفي قوله تعالى: **﴿وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم، حتى إذا جاؤوك يجادلونك يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين * ويعلم الذين يجادلون في آياتنا ما لهم من محيص﴾**[2].

إشارة بينة ودلالة واضحة إلى أن المجادلة هي فن من فنون الوسوسة التي تلقي بها الشياطين على مقربيهم وأوليائهم، لعلهم يخطفون بها بصائر من هم على جرف هار، ويزلقون أقدام من يمشون على ديانتهم وإعتقادهم مضطربين قلقين خائفين، وذلك بأن يصوروا لهم أن هذا الوحي الذي هو القرآن ليس إلا نسخة تردد ما عند الكتب الأخرى من أوهام وأباطيل وخرافات، ويعلم المجادلون أنه الحق من ربهم، وفي صنيعهم هذا تقوم عليهم الحجة، ولا محيص لهم ولا مخلص من المصير المحتوم الذي سيرجعون إليه.

ويعتقد الغزالي أن الباعث على المراء والجدل في النفوس هو: «الترفع بإظهار العلم والفضل والتهجم على الغير بإظهار نقص، أما إظهار الفضل، فهو من قبيل تزكية النفس، وهي من مقتضى ما في العبد من طغيان ودعوى العلو والكبرياء، وهي من صفات الربوبية، أما تنقيص الآخر فهو من مقتضى طبع السبعية (أي الوحشية) فإنه يقتضي أن يمزق غيره ويقمصه ويصدمه ويؤذيه»[3].

ونقلوا عن مسلم بن يسار أنه قال: «إياكم والمراء[4] فإنه ساعة جهل

---

(١) نهج الفصاحة.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٢١.

(٣) مصطلحات قرآنية، ص ١٢٨.

(٤) المراء = والمراء من أهم المعاني التي يثيرها الجدال ويشغل بها، وهو يعني المنازعة والخصومة في الكلام أثناء المحاورة، أو هو الجدال بعينه حين ينتقل عن أصله وفصله =

العالم وعندها يبتغي الشيطان زلته»[1].

٤ ـ الشح، التجبر، العجلة، الحرص، الحسد:

فعن الإمام علي بن محمد العسكري عليه السلام: جاء إبليس إلى نوح عليه السلام فقال: إن لك عندي يداً عظيمة.. إلى أن قال: فقال إبليس: إذا وجدنا ابن آدم شحيحاً أو حريصاً، أو حسوداً، أو جباراً، أو عجولاً، تلقفناه تلقف الكرة، فإن اجتمعت لنا هذه الأخلاق سميناه شيطاناً مريداً[2].

وعن أبي جعفر عليه السلام في قصة نوح عليه السلام مع إبليس: قال: ألا أعلمك خصلتين؟ إياك والحسد فهو الذي عمل بي ما عمل وإياك والحرص فهو عمل بآدم ما عمل[3]. فالحسد هو تمني زوال نعمة من مستحق لها، وربما كان مع ذلك سعي في إزالتها. فالحاسد لا يكتفي بذكر التمني الذي يظل مختبئاً في نية الإنسان الحاسد وباطنه، بل يقرنه إلى التحرك والإقدام على العمل الذي من شأنه أن يزيل النعمة، سواء إنتقلت إلى الحاسد أو لم تنتقل. ويروي لنا الشيخ الصدوق في كتابه «معاني الأخبار» أن الإمام جعفر الصادق عليه السلام سئل عن الحسد فقال: «لحم ودم يدور في الناس حتى إذا إنتهى إلينا يئس وهو الشيطان». ويعني ذلك أن الحسد يولد في المنطقة المظلمة من الإنسان وهي نفسه، أو غريزته المبثوثة في لحمه ودمه، وحين يكبر فيه الحسد ويثور، فإن دمه يغلي ويتحرك ويدفع صاحبه إلى القيام والحركة والسعي لإيذاء المحسود وخلق الأسباب لإزالة النعم عنه، وكأن الناس عندما تقوم وتمشي وتدور وتتحرك، إنما تفعل ذلك بدافع عدوان الحسد الذي هو آلة من آلات الشيطان أو صورة من صورة التي تسكن في الأجزاء المركبة الكثيفة وهي اللحم والدم، وتخاف أن

= اللذين هما اللين والإقناع، إلى الفظاظة والمكابرة.
وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «ذروا المراء فإنه لا تفهم حكمته ولا تؤمن فتنته» مصطلحات قرآنية، ص ١٢٨.

(١) مصطلحات قرآنية، ص ١٢٩.
(٢) بحار الأنوار، ج٦٣، ص ٢٥٠.
(٣) بحار الأنوار، ج٦٣، ص ٢٢٢.

تقترب من جزئه البسيط المضيء الذي هو العقل، لأنها لا تجد عنده قبولاً ولا ترى فيه مأوى، يكشفها بنوره ويمزقها بقدرته.

وعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال: «الحاسد مضر بنفسه قبل أن يضر بالمحسود، كإبليس أورث بحسده لنفسه اللعنة ولآدم الاحتباء والهدى، والرفع إلى محل حقائق العهد والإصطفاء»[1].

٥ ـ الرياء:

قال تعالى: ﴿**ويل للمصلين الذين هم في صلاتهم ساهون الذين يراؤون..**﴾[2]. والرياء من الأمراض القلبية الخطيرة التي تشغل قلب الإنسان وتنهك قوته وتضعف إرادته وتحبط عمله فالمرائي يطلب الإستحسان من الآخرين دائماً فيقوم بأعمال ويبذل جهوداً ما كان ليعملها لو كان وحده مع ربه ودور الشيطان هنا هو إذكاء نار الرياء والتشجيع عليه في كل الأعمال والمواقف وخاصة العبادية منها حتى يجعل من الإنسان شبه مجنون أو مهووس طلباً لرضى وقبول الآخرين.

وهاك قصة أحد المرضى بالرياء:

دخل أحدهم مسجداً ليصلي وكان المسجد مظلماً جداً بحيث لا يرى ما أمامه ولما شرع في صلاته شعر بحركة من خلفه، وسرعان ما تصور أن هناك شخصاً ما في المسجد يراقبه، فأخذ في إطالة صلاته وتحسينها. وصار تفكيره كله في هذا الشخص الجالس خلفه. حتى إذا ما انتقل من صلاته التفت إلى خلفه ففوجئ برؤية كلب نائم بالقرب منه. فعرف أن تلك الحركة التي انشغل بها كانت صادرة من هذا الكلب.

وهكذا يدخل الشيطان في كل عمل من أعمال البر ليحولها من وجه الإخلاص إلى الرياء فيفسد العمل.

---

(١) مصباح الشريعة.

(٢) سورة الماعون، الآيتان: ٥ ـ ٦.

وقد يستعمل الشيطان هذا السلاح بطريقة أخرى وخاصة مع المخلصين. فإذا ما قاموا بأداء العمل بإخلاص وتوجه أوحى إليهم بترك العمل وذلك بتخويفهم من الوقوع في الرياء وعلى الإنسان أن ينتبه لهذا الإيحاء الخبيث ولا يترك العمل.

فعن الحارث بن قيس: إذ أتاك الشيطان وأنت تصلي فقال: إنك ترائي فزدها طولاً[1].

كما جاء في الحديث: لا تفعل الخير رياء ولا تتركه حياءً.

٦ ـ الغضب:

عن أبي جعفر عليه السلام في قصة نوح مع إبليس: فقال له نوح عليه السلام ما الذي تريد أن تكافئني به؟ قال: أذكرني في ثلاث مواطن فإني أقرب ما أكون إلى العبد إذا كان في إحداهن: أذكرني إذا غضبت واذكرني إذا حكمت بين اثنين واذكرني إذا كنت مع إمرأة خالياً ليس معكما أحد[2].

لا يوجد إنسان ينكر الأثر المدمر للغضب، فقرار خاطئ، أو كلمة نابية، أو عمل ارتجالي اتخذ أو قيل في لحظة غضب قد يؤدي بحياة إنسان، أو يشق عصا جماعة، أو يكدر صفو علاقة اجتماعية أو يهدم ركن أسرة وهذا كله يريده الشيطان ويحبه.

فعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في وصف الغضب: الغضب من الشيطان، والشيطان خلق من النار، والماء يطفئ النار، فإذا غضب أحدكم فليغتسل[3].

ومن كتاب لأمير المؤمنين عليه السلام إلى الحارث الهمداني: احذر الغضب فإنه جند عظيم من جنود إبليس[4].

---

(١) تلبيس إبليس، ص ٢٦.

(٢) البحار، ج٦٣، ص ٢٢٣.

(٣) نهج الفصاحة.

(٤) نهج البلاغة، كتاب ٦٩.

وقال ﷺ: «الغضب جمرة من الشيطان»[1]، وعن رسول الله ﷺ قال: إنّ هذا الغضب جمرة من الشيطان تتوقّد في قلب ابن آدم، وإنّ أحدكم إذا غضب احمرّت عيناه، وانتفخت أوداجه ودخل الشيطان فيه[2].

ومن وصايا أمير المؤمنين عليه السلام لعبدالله بن العباس عند استخلافه إيّاه على البصرة قال: «وإيّاك والغضب فإنّه طيرة من الشيطان»[3].

وليس هناك قوة كرد الغضب، فقد جاء عن رسول الله ﷺ أنه سأل يوماً أصحابه: «ما الصّرعة فيكم؟» قالوا: الشّديد القويّ الذي لا يوضع جنبه، فقال ﷺ: «بل الصّرعة حق الصّرعة رجل وكز الشّيطان في قلبه واشتدّ غضبه وظهر دمه، ثم ذكر الله فصرع بحلمه غضبه»[4].

٧ ـ الصدود عن بر الإخوان في الله:

ـ ومن مداخل الشيطان الكبرى الصد عن بر الأخ في الله فقد ورد في الحديث: إن للشيطان مصائد يصطاد بها فتحاشوا شباكه ومصائده قلت: يا ابن رسول الله وما هي؟ قال: أما مصائده فصده عن بر الإخوان.. أما أنه ما يعبد الله بمثل نقل الأقدام إلى بر الإخوان وزيارتهم. يا ابن جندب: الماشي في حاجة أخيه كالساعي بين الصفا والمروة والقاضي حاجته كالمتشحط بدمه في سبيل الله يوم بدر وأحد[5].

٨ ـ التهاون باليمين:

قال تعالى: ﴿ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم﴾[6].

---

(١) بحار الأنوار، ج٧٣، ص ٢٦٥.
(٢) بحار الأنوار، ج٥، ص ٢٦٧.
(٣) نهج البلاغة، كتاب ٧٦.
(٤) ميزان الحكمة، ج٧، ص ٢٣٤.
(٥) البحار، ج٦٣.
(٦) سورة البقرة، الآية: ٢٢٤.

وعن النبي ﷺ: البلاء موكل بالقول، ما قال عبد لشيء لا والله لا أفعله أبداً، إلا ترك الشيطان كل عمل، وولع بذلك منه حتى يؤثمه[1].

وورد في قصة النبي موسى عليه السلام مع إبليس قال: وإياك أن تعاهد الله عهداً، فإنه ما عاهد الله أحد إلا كنت صاحبه دون أصحابي حتى أحول بينه وبين الوفاء به.

٩ ـ الغفلة عن ذكر الله:

قال تعالى: ﴿**ومن يعش عن ذكر الرحمٰن نقيض له شيطاناً فهو له قرين**﴾[2].

أي من تعامى عن ذكر الرحمٰن ونظر إليه نظر الأعشى جئنا إليه بشيطان وقد عبَّر تعالى عنه في موضع آخر بالإرسال فقال: ﴿**ألم ترَ أنّا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزّهم أزّاً**﴾[3].

وقوله: «فهو له قرين» أي مصاحب لا يفارقه.

وإن الشياطين ليصرفون العاشين عن الذكر ويحسب العاشون أنهم أي العاشين أنفسهم ـ مهتدون. وهذا أعني حسبانهم أنهم مهتدون عند انصدادهم عن سبيل الحق إمارة تقييض القرين ودخولهم تحت ولاية الشيطان فإن الإنسان بطبعه الأوّلي مفطور على الميل إلى الحق ومعرفته إذا عرض عليه ثم إذا عرض عليه فأعرض عنه اتباعاً للهوى ودام عليه طبع الله على قلبه وأعمى بصره وقيَّض له القرين فلم ير الحق الذي تراءى له وطبّق الحق الذي يميل إليه بالفطرة على الباطل الذي يدعوه إليه الشيطان فيحسب أنه مهتد وهو ضالّ ويخيَّل إليه أنه على الحق وهو على الباطل.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: من تصدق بالإثم أعشي عن ذكر الله تعالى،

---

(١) بحار الأنوار، ج٦٣، ص ٢٥١.

(٢) سورة الزخرف، الآية: ٣٥.

(٣) سورة مريم، الآية: ٨٣.

ومن ترك الأخذ عن أمر الله بطاعته قيض له شيطاناً فهو له قرين[١].

الغفلة والإهمال من موجبات فقدان سعادة الإنسان، ويترتب عليهما ضعفه أمام التحديات، حيث يستطيع العدو أن يحصل على مكاسب كثيرة من جهة الإنسان أو الغافل، ولذا فإن العدو يعمل أولاً على جر الإنسان إلى الغفلة مما يفقده العلم والذكاء والقدرة على المواجهة، وسيكون النصر من نصيب العدو، وفي هذا المجال يقول الإمام علي عليه السلام: «الغفلة أضرّ الأعداء» والشيطان عدو الإنسان الدائم، استفاد من هذا السلاح بواسطته هو حين يجر الإنسان إلى الغفلة فينسيه ذكر الله. حيث يقول تعالى: **﴿فأنساهُ الشيطان ذكرَ ربِّهِ فَلَبِثَ في السّجْنِ بضع سِنينَ﴾**[٢].

١٠ ـ الشذوذ عن الجماعة:

والشاذ: هو المخالف للحق وجماعة الحق بقول أو عمل. لأن يد الله مع الجماعة والشيطان لا يقوى على الجماعة المؤمنة ويقوى على الفرد الشاذ فيتمكن منه بسهولة ويسر كالذئب يترصد للشاذة من الغنم عن القطيع حتى يفترسها.

فعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: الشاذ من الناس للشيطان كما أن الشاذ من الغنم للذئب.

وجاء في الحديث الشريف: أن الشيطان مع الواحد وهو مع الإثنين أبعد[٣].

ومن هنا يعلم سبب أهمية صلاة الجماعة وكثرة فضيلتها وثوابها إلى حد أنه قد نهي عن الصلاة فرادى لأنه كلما كانت علاقة عدة أشخاص ورابطة صداقتهم الإلهية قد بلغت حداً بحيث وحدت قلوبهم ووقفوا بقلب واحد متجهين إلى الله فإن الشيطان أضعف من أن يستطيع أن ينفذ إلى قلوبهم ويسرق من

---

(١) نور الثقلين، ج٤، ص ٦٠٣.
(٢) سورة يوسف، الآية: ٤٢.
(٣) نهج الفصاحة.

جواهر إيمانهم.

وحقاً إن كل سعي الشيطان وأمنيته هو تفريق قلوب المؤمنين والفصل بينها لأنه كلما استطاع أن يفرق بين مؤمنين إثنين فإن قوته تزيد بهذا المقدار وبهذا المقدار أيضاً يستطيع الوصول إلى قلب من فرق وبين أخيه المؤمن ويجعل سهام وسوسته مؤثرة في هذا القلب كما ورد في حديث الإمام الصادق عليه السلام: «أكثروا من الأصدقاء في الدنيا فإنهم ينفعون في الدنيا والآخرة أما في الدنيا فحوائج يقومون بها وأما في الآخرة فإن أهل جهنم قالوا: فما لنا من شافعين ولا صديق حميم[1].

وحقاً إن المؤمن وحده لا يقوى على مقارعة عدو لدود كهذا.. والطريق الوحيد للإنتصار عليه الإستعانة بقلوب المؤمنين بأن يقوي رابطة صداقته الإلهية معهم ويصبح قلباً واحداً وروحاً واحدة.. وإذا أصبح كذلك فكلما اقترب الشيطان من قلبه رأى أنه ليس أمام قلب واحد بل مئات القلوب وأنه لا سبيل إلى مثل هذا القلب ومن هنا قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بعضه بعضاً»[2].

١١ ـ تضييع الصلاة:

ورد في الحديث الشريف: لا يزال الشيطان يرعب من ابن آدم ما حافظ على الصلوات الخمس، فإذا ضيعهن تجرأ عليه وأوقعه في العظائم[3].

فالصلاة سلاح قوي وحصن للإنسان فمتى ما ضيعها، أو استخف بها فقد سلاحه وصار أعزلاً، في مواجهة الشيطان. لذلك يبذل الشيطان جهداً مضاعفاً على المصلين من بني آدم حتى يغفلوا عن صلاتهم ويسهوا عنها فلا يؤدوها الأداء المطلوب.

ورد في الحديث: أن العبد إذا إشتغل بالصلاة جاء الشيطان وقال له: اذكر

(١) وسائل الشيعة، أحكام العشرة، باب ٧.
(٢) وسائل الشيعة، أحكام العشرة، باب ٧.
(٣) ميزان الحكمة، ج٥، ص ٤٠٤.

كذا واذكر كذا حتى يضل الرجل أن يدري كم صلى[١].

والوسواس الذي يبتلى به الإنسان أحد الأمور التي تضيع الصلاة.

فعن عبدالله بن سنان، قال: ذكرت لأبي عبدالله عليه السلام رجلاً مبتلى بالوضوء والصلاة وقلت: هو رجل عاقل فقال أبو عبدالله عليه السلام: وأي عقل له وهو يطيع الشيطان؟ فقلت له: وكيف يطيع الشيطان؟ فقال: سله هذا الذي يأتيه من أي شيء هو؟ فإنه يقول لك من عمل الشيطان[٢].

١٢ ـ الإعجاب بالنفس، إستكثار العمل وتصغير الذنوب:

الإعجاب بالنفس، حقيقته هي أن الشخص يرى نفسه خالية من أي عيب ونقص.. ويرى نفسه عظيماً لأنه في كمال ونعمة، شرط أن يكون يعتبر هذا الكمال من نفسه لا من الله ويعتمد على ذلك ويفرح به بحيث لا يخطر بباله زوال تلك النعمة ليخاف. وقال العلامة المجلسي في معنى العجب: «والعجب استعظام العمل الصالح واستكثاره والإبتهاج له والإدلال[٣] به وأن يرى نفسه خارجاً عن حد التقصير، وأما السرور به مع التواضع له تعالى والشكر له على التوفيق لذلك وطلب الاستزادة منه فهو حسن ممدوح، وقال الشيخ البهائي (قدس سره) ـ في معنى العجب في العبادة ـ: لا ريب أن من عمل أعمالاً صالحة من صيام الأيام وقيام الليالي وأمثال ذلك يحصل لنفسه ابتهاج، فإن كان من حيث كونها عطية من الله له ونعمة منه تعالى عليه، وكان مع ذلك خائفاً من نقصها مشفقاً من زوالها، طالباً من الله الإزدياد فليس ذلك الإبتهاج عجباً، وإن كان ـ الإبتهاج ـ من حيث كونها صفته قائمة به ومضافة إليه فاستعظمها وركن إليها ورأى نفسه خارجاً عن حد التقصير وصار كأنه يمن على الله سبحانه بسببها

---

(١) ميزان الحكمة، ج٤، ص ٤٠٦.

(٢) ميزان الحكمة، ج١٠، ص ٤٥١.

(٣) الإدلال = هو أن الشخص بالإضافة إلى إكبار نفسه بسبب العمل الذي أداه يرى نفسه صاحب حق ومقرباً إلى الساحة الإلهية بحيث أنه ـ بزعمه هو ـ في الآخرة يجب أن تكون الجنة مكانه حتماً.. وفي الدنيا كلما دعا فيجب أن يستجاب دعاؤه فوراً ولا يصيبه أي بلاء.

فذلك هو العجب[1].

وبعبارة أسهل: العجب أو الإعجاب بالنفس هو أن يرى الشخص نفسه عظيماً ويفتخر بنفسه بأني كيت وكيت وكذا وكذا، أديت عملاً عظيماً، أنا لا عيب فيّ ولا نقص، في حين أنه لا وجود لذرة من العظمة الإلهية في قلبه ولا ذرة من الخوف من عقوبته... فليس خائفاً من عدم قبول أعماله التي يراها خيراً.

والإعجاب بالنفس من صفات السقوط الحتمي في عالم الإنحراف والهلاك يقول الإمام علي عليه السلام: «من دَخَلَهُ العجب هلك»[2]. وصورة هذا السرور ـ الحاصل من العجب ـ في البرزخ وما بعد الموت، تكون موحشة ومرعبة جداً، ولا نظير لها في الهول[3].

وجاء في حديث للرسول صلى الله عليه وآله وسلم: «ثلاثٌ مهلكات: هوى متّبع وشحٌ مطاعٌ وإعجاب المرء بنفسه»[4]. وسأل موسى بن عمران على نبينا وآله وعليه السلام الشيطان: «أخبرني بالذَّنب الذي إذا ارتكبه ابن آدم إستحوذتَ عليه، قال: إذا أعجبتهُ نفسه، وإستكثر عَمَلَهُ، وَصَغُر في عَيْنِه ذَنبُه»[5].

وقال الله تعالى لداود عليه السلام: «يا داود بَشِّر المُذنبين وأُنذر الصديقين». قال: يا ربّ كيف أُبَشِّر المُذنبينَ وأُنذِر الصِّدِّيقينَ؟ قال: «يا داود بَشِّر المُذنبينَ أَني أقبلُ التّوبَة وأعفو عن الذَّنب. وأنذِرِ الصِّدّيقينَ ألاّ يُعجبُوا بأعمالِهِم، فإنهُ ليس عَبدٌ أَنصِبُه للحساب إلاّ هلك»[6].

وعن الإمام الصادق عليه السلام يقول: إن الشيطان يقول: «إذا ظفرتُ بابن آدم في ثلاثٍ فلا يُهِمّنِي عَمَلَهُ بعد ذلك لأنَّه لَن يُقبَلَ منه: إذا إستكثر عمله، ونسي

(١) مرآة العقول، ج١٠، ص ٢١٨ ـ ٢١٩.
(٢) وسائل الشيعة، المجلد الأول، الباب ٣، من أبواب مقدمة العبادات، ح١٨.
(٣) الأربعون حديثاً، الإمام الخميني(قدس سره) ص ٩٠، من مفاسد العجب.
(٤) كيف نعرف أعداءنا ـ الشهيد مطهري ـ ص ٣١.
(٥) أصول الكافي، المجلد الثاني، كتاب الإيمان والكفر، باب العجب، ح٨.
(٦) خصال الصدوق، باب الثلاثة، ح ٨٦.

ذنبه، وتَسَرَّبَ إليه العُجبُ»[1].

وفي هذا المجال أيضاً، نجد القرآن الكريم يصف النمط الإنساني الذي يرى نفسه متقدماً في أعماله، والذي يُعجب بنفسه كونه يحسب أنه يحسن صُنعاً.

قال تعالى: **﴿قُل هل نُنبّئكم بالأخسرين أعمالاً * الَّذين ضلَّ سَعيُهُم في الحياة الدُّنيا، وهم يَحسَبُونَ أنّهُم يُحسِنُونَ صُنعاً﴾**[2].

الإعجاب بالنفس وسيلة أخرى من الوسائل التي يدخل من خلالها الشيطان لإضلال الإنسان، فلو أوصله إلى ذلك كان سهلاً عليه جره إلى الضلال والخسران. كما أشار تعالى: **﴿وَزَيَّنَ لهم الشيطان أعمالَهُم فصدَّهُم عن السَّبيل﴾**[3].

وهناك مجموعة أخرى من التصرفات الخاطئة قد تصدر من الإنسان ويستغلها الشيطان في إيقاع الإنسان في الإثم والذنب. ومن هذه التصرفات:

أ ـ الإسراف والتبذير:

قال الله تعالى: **﴿كلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين﴾**[4].
﴿إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفوراً﴾[5].

الإسراف بمعنى تجاوز الحد والزيادة عليه، وذلك إما من جهة الكمية، وهو صرف المال في موضع غير مناسب شرعاً أو عقلاً، حتى لو كان المال بمقدار درهم واحد أو من جهة الكيفية، وهو صرف المال في موضع مناسب لكن بأكثر مما يستحق، مثل أن يشتري لباساً بقيمة عالية، ويلبسه، والحال أن اللباس الذي يناسبه ويليق بحاله يساوي أقل بخمس مرات.

وقال البعض: إن صرف المال في غير موضعه المناسب يسمى تبذيراً،

---

(١) خصال الصدوق، باب الثلاثة، ح ٨٦.
(٢) سورة الكهف، الآيتان: ١٠٣ ـ ١٠٤.
(٣) سورة النمل، الآية: ٢٤.
(٤) سورة الأعراف، الآية: ٣١.
(٥) سورة الإسراء، الآية: ٢٧.

وصرف المال بأكثر مما يستحق المورد يسمى إسرافاً[١]،

وجاء أيضاً: «وما الإسراف إلا إستعمال الشيء في غير محله الذي خلقه الله من أجله، وبذلك فإنه إنحراف عن مشيئة الله وسنته في الحياة وكل ما خالف أوامر الله وسنته في الخلق فهو نوع من الكفر والشيطان كافر، والشياطين من الإنس هم الطغاة. ومن يبذل ماله لا بد أن يفتش عن مصادر غير شرعية لجمع المال ولا يجدها إلا بالتحالف مع الطغاة[٢].

ب ـ كثرة الأكل:

وهو نوع من الإسراف، وقد ركزت الأحاديث الشريفة على آثاره الضارة لجسم ومعنويات الإنسان. ففي الحديث: ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطنه[٣].

وجاء أيضاً: «لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فإن القلب يموت كالزرع إذا كثر عليه الماء»[٤]. «من قل طعمه صح بدنه، ومن كثر طعمه سقم بدنه وقسى قلبه»[٥] ولأن صحة البدن وصحة الروح أمران مطلوبان لضمان إستقامة عبادة الإنسان ونشاطه فيها فلا شك أن الشيطان يجد في كثرة إقبال الإنسان على المأكل والمشرب فرصة لتثبيطه وصده عن عبادة ربه والتقرب إليه.

فقد جاء في قصة يحيى بن زكريا عليه السلام مع إبليس قال: هل أصبت في فرصتك قط في لحظة من سر، أو لفظة بلسان أو هم بقلب؟ قال: اللهم لا، إلا أنه كان يعجبني منك خصلة، فكثر ذلك عنك، ووقع عندي موقعاً شريفاً، فتغير لون يحيى من قوله، وتبلد، وتقاصرت إليه نفسه، وارتعدت فرائصه، وغشي عليه قال: وما ذلك يا أبا مرة؟ قال: أنت رجل أكول وكنت أحياناً تكثر الطعام فتبشم منه، ويعتريك الوهن والنوم والثقل والكسل والنعاس، فكنت تنام على

---

(١) الذنوب الكبيرة، ج٢، ص ٩٥.
(٢) من هدى القرآن.
(٣) الإنسان والشيطان، ص ١٠٨.
(٤) الإنسان والشيطان، ص ١٠٩.
(٥) الإنسان والشيطان، ص ١٠٩.

جنبك أحياناً من الأوقات التي كنت تقوم فيها من الليل، هذا يعجبني منك قال: وبهذا كنت تجد علي الفرصة؟ قال: نعم.

قال يحيى: لله علي أن لا أملأ بطني من طعام أبداً، فقال إبليس: لله عليّ أن لا أنصح مسلماً أبداً(١).

ج ـ كثرة النوم:

ـ بحيث يستغرق النوم أوقات الإنسان الثمينة، والتي يجب أن تصرف في ذكر الله، والعمل الصالح.

فعن أبي عبدالله عليه السلام: ليس من عبد إلا ويقظ في كل ليلة مرة أو مرتين، أو مراراً فإن قام كان ذلك، وإلا فجاء الشيطان فبال في أذنه، أو لا يرى أحدكم أنه إذا قام ولم يكن ذلك منه قام متخثراً، ثقيلاً كسلاناً(٢).

والنوم نعمة أنعمها الله على عبده لكي يستعين بها على أداء الطاعات لا ليستعين بها على معصيته فيجعل الليل معاشاً والنهار لباساً...

يــا مطــولاً بــالقيــام	مستلــذاً بــالمنــام
قــم فقــد فــاتــك يــا	مغبــون أربــاح الكــرام
وخلــوا دونــك بــالمــو	لــى وفــازوا بــالمــرام
وكــذا تسبقــك القــو	م إلــى دار الســلام(٣)

فالشيطان يهمه إذن صرف الإنسان عن العمل الجاد والهادف وعن التوجه لطاعة الله، والإعداد للآخرة من خلال الصلاة والتهجد والذكر.

فعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: أتاني جبرائيل فقال: يا محمد إن عفريتاً من الجن يكيدك في منامك فعليك بآية الكرسي.

وقد نهت الأحاديث الشريفة عن كثرة الأكل وكثرة النوم وكثرة الضحك.

---

(١) بحار الأنوار، ج٦٣، ص ٢٣٢.
(٢) بحار الأنوار، ج٦٣، ص ٢٣٢.
(٣) المدهش ـ ابن الجوزي ـ ص ١٩٣.

فقد جاء في الحديث الشريف: كبر مقتاً عند الله الأكل من غير جوع، والنوم من غير سهر والضحك من غير عجب[1].

وعن النبي ﷺ أخشى ما خشيت على أمتي كبر البطن، ومداومة النوم، والكسل، وضعف اليقين[2].

وعنه ﷺ: إن أحدكم إذا نام عقد الشيطان على رأسه ثلاث عقد مكان كل عقدة ليل طويل، فإذا انتبه وذكر الله حلت منها عقدة فإذا توضأ حلت أخرى، فإذا صلى حلت العقدة الثالثة فأصبح نشيطاً طيب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان[3].

د ـ كثرة الكلام:

ـ الكلمة سلاح ذو حدين. لها خطورتها إن خيراً أو شراً، وكلما أصبح الإنسان مهذاراً كثير الكلام كان إحتمال وقوعه في الخطأ كبيراً (من كثر كلامه كثر زلله).

وللشيطان حضور عند الكلام أيضاً فقد يتفوه الإنسان بكلمة فحش أو يتحامل على الآخرين بلفظة جارحة، عندها يستغلها الشيطان في إثارة العداء والخصومة وكما جاء في المثل العربي: (الحرب أولها الكلام).

فعن النبي ﷺ: عليكم بقلة الكلام ولا يستهوينكم الشيطان[4].

وقال ﷺ: لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله، فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله تُقسي القلب، إن أبعد الناس من الله القلب القاسي[5].

(١) الإنسان والشيطان، ص ١١٠.
(٢) الإنسان والشيطان، ص ١١٠.
(٣) مفاتيح الجنان، ص ١٣٦.
(٤) الإنسان والشيطان، ص ١١١.
(٥) الإنسان والشيطان، ص ١١١.

هـ ـ إتباع خطوات الشيطان:

قال الله تعالى: **﴿يا أيُّها الّذين آمنوا ادخلوا في السلم كافَّة ولا تَتَّبِعُوا خُطُوات الشّيطان إنَّهُ لكم عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾**[١] وقال تعالى أيضاً في موضع آخر: **﴿يا أيّها الذين آمنوا لا تتّبعوا خطواتِ الشَّيطان ومن يتّبع خطواتِ الشَّيطانِ فَإنَّهُ يأمُرُ بالفحشاء والمنكر﴾**[٢].

إن المراد من اتباع خطوات الشيطان ليس اتباعه في جميع ما يدعو إليه من الباطل بل اتباعه فيما يدعو إليه من أمر الدين بأن يزين شيئاً من طرق الباطل بزينة الحق ويسمي ما ليس من الدين بإسم الدين فيأخذ به الإنسان من غير علم وعلامة ذلك عدم ذكر الله ورسوله إياه في ضمن التعاليم الدينية[٣].

فإن الخطوات إنما تكون في طريق مسلوك، وإذا كان سالكه هو المؤمن، وطريقه إنما هو طريق الإيمان فهو طريق شيطاني في الإيمان، وإذا كان الواجب على المؤمن هو الدخول في السلم فالطريق الذي يسلكه من غير سلم من خطوات الشيطان، واتباعه اتباع خطوات الشيطان[٤].

إذن النداء لفئة خاصة هي أحب الفئات إلى الله أولئك هم المؤمنون، وهذا النداء حريّ بالمؤمنين أن تتفتح له قلوبهم ومسامعهم ليفقهوه، لأنه انبعث من خالقهم الذي يحبهم، ونداء التحذير هذا يكون له وقعه في أذن السامع عندما يأتي من المحب. وهنا يصدق قول الشاعر:

تعصي الإله وأنت تبدي حبه ... هذا لعمري في القياس بديع
لو كان حبك صادقاً لأطعته ... إن المحبَّ لمن يحب مطيع

فالشيطان يبعد المؤمن عن خط إيمانه بالإستغراق في أجواء اللهو والغفلة،

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٠٨.
(٢) سورة النور، الآية: ٢١.
(٣) تفسير الميزان، المجلد الثاني، ص ١٠١.
(٤) تفسير الميزان، المجلد الثاني، ص ١٠١.

فيتجمد إيمانه في داخل ذاته بعيداً عن حركة الحياة من حوله ليجعل كل الخطوات متحركة في طريقة السائر نحو الضلال والكفر والإنحراف وذلك بما يثيره في النفس من وساوس الشر ونوازع الشك وعوامل الإنحراف، فيفقده وعي الإيمان، فيرى الحق باطلاً والباطل حقاً وتضطرب مقاييسه عندما يختلف لديه ميزان الرؤية للأشياء، ولعل من بين هذه النتائج السلبية لذلك، هو ما نواجهه من حرب المؤمن للمؤمن بإسم الإيمان بتسويل الشيطان له بأنه يحارب الإنحراف لدى المؤمن ولكنه لو دقق النظر لاكتشف أنه يعاديه على أساس مزاجه الشخصي وهواه الذاتي..

وربما كان من مظاهر ذلك ما نواجهه من إثارة الخلافات المذهبية والطائفية بين المسلمين بالمستوى الذي يؤدي إلى التخاصم والتنازع في المجالات العامة بحجة الدفاع عن الحق، فيما يوحيه الشيطان له، بينما تكون الساحة مثاراً لخطط كافرة جهنمية تتحرك من مواقع الإستعمار تارة، وقواعد الكفر أخرى، مما يجعل من إثارة هذا الجو أساساً لتنفيذ كل مخططاته القريبة والبعيدة من دون شعور وانتباه.. تماماً ككثير من كلمات الحق التي يقصد بها الباطل أو تتحرك في خدمة الباطل»[1].

- ويلبس إبليس أحياناً على المؤمن ويوهمه بأن الخطوات التي يخطوها هي خطوات خير، ولكن على المؤمن أن يكون صاحب فطنة وعلم ليفرق بين خطوات الشيطان وخطوات الرحمان فأتباع الشيطان يشتمل على عدة أقسام بيَّنها الله تعالى في كتابه أهمها:

١ - اتباع الهوى:

قال تعالى: ﴿**ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله**﴾[2].

«وسببه وسخ يكون في القلب، لما فيه من طمع وحسد وإنتصار للنفس،

---

(١) من وحي القرآن، السيد فضل الله، ص ٩٠ - الحلقة ٤.

(٢) سورة القصص، الآية: ٥٠.

يحجب الرؤية أو يشوشها كالذي ينظر من وراء زجاجة سوداء»[1] ويتولد عن الهوى مرض أخطر منه، ألا وهو الإعراض عن الحق، فصاحب الهوى لا يستسلم للحق عندما يعرض عليه ويرده بسبب ذلك الوسخ الذي عكّر قلبه، لذلك كان همُّ كل المرابين على مر العصور أن يحذروا اتباعهم من الهوى. فكان الإمام علي عليه السلام يدرك خطورة هذا المرض مما جعله يقول: «إن أخوف ما أخاف عليكم إثنين: طول الأمل، إتباع الهوى فأما طول الأمل فينسي الآخرة وأما اتباع الهوى فيصد عن الحق»[2].

٢ ـ اتباع سبيل المفسدين:

قال الله تعالى على لسان نبيه موسى عليه السلام موصياً أخاه هارون عليه السلام: **﴿ولا تتبع سبيل المفسدين﴾**[3].

٣ ـ اتباع الشهوات:

قال تعالى: **﴿فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات﴾**[4]. واتبعوا الشهوات، أي فعلوا ما تشتهيه أنفسهم وترغب إليه من المحرمات.

٤ ـ اتباع السبل:

قال تعالى: **﴿ولا تتبعوا السبل فتفرّق بكم عن سبيله﴾**[5].

ومما حرم ربكم عليكم ووصاكم به أن لا تتبعوا السبل التي دون هذا الصراط المستقيم الذي لا يقبل التخلف والإختلاف وهي غير سبيل الله فإن إتباع

---

(١) العوائق، ص ٦١.
(٢) الزهد، أحمد بن حنبل، ص ١٣٠.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٤٢.
(٤) سورة مريم، الآية: ٥٩.
(٥) سورة الأنعام، الآية: ١٥٣.

السبل دونه يفرقكم عن سبيله فتختلفون فيه فتخرجون من الصراط المستقيم إذ الصراط المستقيم لا إختلاف بين أجزائه ولا بين سالكيه.

وقد نسب الصراط المستقيم إلى النبي ﷺ وإلى جمع من عباده الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

فالله تعالى ينهى عن اتباع سائر السبل فإن من شأنها إلقاء الخلاف والتفرقة لأنها طرق الأهواء الشيطانية التي لا ضابط يضبطها بخلاف سبيل الله تعالى المبني على الفطرة والخلقة ولا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم.

فقد جاء عن ابن مسعود أنه قال: «خط رسول الله ﷺ خطاً بيده ثم قال: وهذا سبيل الله مستقيماً، ثم خط خطوطاً عن يمين ذلك الخط وعن شماله ثم قال: وهذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه، ثم قرأ: ﴿وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾[1].

٥ ـ إتباع الظن:

قال الله تعالى: **﴿إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلاّ تخرصون﴾**[2].

٦ ـ اتباع الآباء:

قال تعالى: **﴿وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا﴾**[3]. فهذا هو سندهم الوحيد وهذا هو دليلهم العجيب التقليد الجامد المتحجر الذي لا يرتكز على علم ولا يعتمد على تفكير. التقليد الأعمى في العقيدة بدون دليل، التقليد الذي يريد الإسلام أن يحررهم منه، وأن يطلق عقولهم لتتدبر، ويشيع فيها اليقظة والحركة والنور فيأبوا هم الإنطلاق من أسار الماضي المنحرف ويتمسكوا بالأغلال والقيود.

---

(١) تفسير الميزان، المجلد السابع، ص ٣٨٥.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٤٨.
(٣) سورة لقمان، الآية: ٢١.

ويوجد في هذا العصر من الناس من يتبعون آباءهم في كل شيء، وكل شيء يعارض ما جاء به آباؤهم يعتبرونه خطأ.

٧ ـ اتباع المتشابه:

قال الله تعالى: **﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هنَّ أم الكتاب وأُخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه إبتغاء الفتنة وابتغاء تأويله﴾**[١].

الذين في قلوبهم زيغ يميلون عن الحقّ إلى البدع فيتبعون ما تشابه منه إبتغاء الفتنة وطلباً لإيقاع الناس في الكفر فيه أن يفتنوا عن تأويله وابتغاء تأويله بما يناسب رأيهم الفاسد بعيداً عن الله تعالى والراسخون في العلم.

كل هذه الأنواع من خطوات الشيطان، فعن ابن عباس قال: «كل ما خالف القرآن فهو من خطوات الشيطان»[٢].

وجاء في الحديث أن من خطوات الشيطان الحلف بالطلاق والنذور والمعاصي وكل يمين بغير الله[٣].

و ـ ظن السوء:

قال تعالى: **﴿ولقد صدَّق عليهم إبليسُ ظَنَّهُ فاتّبعوه إلاّ فريقاً من المؤمنين﴾**[٤].

كثيراً ما يحدث ظن السوء الخصومات، ويفتت الوحدة بين الأخوة، ويزعزع الثقة بينهم، إلى ما هنالك من أضرار جسيمة يحدثها سوء الظن بين أفراد المجتمع الإسلامي.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٧.

(٢) الدر المنثور، ج١، ص ١٦٧.

(٣) نور الثقلين، ج١، ص ١٥٢.

(٤) سورة سبأ، الآية: ٢٠.

وفي ذلك يقول الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «. . . فاحذروا عبادَ الله أن يعديكم بدائه ـ أي إبليس ـ وأن يستفزّكم بندائه، وأن يجلب عليكم بخيله ورجله، فلعمري لقد فوّق لكم سهم الوعيد، وأغرق إليكم بالنّزع الشّديد، ورماكم من مكان قريب، فقال: «ربِّ بما أغويتني لأزيّننّ لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين» قذفاً بغيب بعيد، ورجماً بظنّ غير مصيب، صدّقه به أبناء الحمية، وإخوان العصبيّة، وفرسان الكبر والجاهلية. . . »[1].

ولهذا نهى القرآن الكريم عن ظن السوء ووصفه بالإثم في قوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم**﴾[2].

فالمراد بالظن المأمور بالإجتناب عنه ظن السوء فإن ظن الخير مندوب إليه كما يستفاد من قوله تعالى: ﴿**لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً**﴾[3].

والمراد بالإجتناب عن الظن الإجتناب عن ترتيب الأثر عليه كأن يظن بأخيه المؤمن سوءًا فيرميه به ويذكره لغيره ويرتب عليه سائر آثاره، وأما نفس الظن بما هو نوع من الإدراك النفساني فهو أمر يفاجئ النفس لا عن إختيار فلا يتعلق به النهي اللهم إلا إذا كان بعض مقدماته إختيارياً.

وعلى هذا فكون بعض الظن إثماً من حيث كون ما يترتب عليه من الأثر إثماً كإهانة المظنون به وقذفه وغير ذلك من الآثار السيئة المحرمة، والمراد بكثير من الظن
وقد جيء به نكرة ليدل على كثرته في نفسه لا بالقياس الى سائر افراد الظن ـ هو بعض الظن الذي هو إثم فهو كثير في نفسه وبعض من مطلق الظن، ولو أريد بكثير من الظن أعم من ذلك كأن يراد ما يعلم أن فيه إثماً وما لا يعلم منه ذلك كان الأمر بالاجتناب عنه أمراً إحتياطياً توقياً من الوقوع في الإثم»[4].

---

(١) نهج البلاغة، خطبة ١٩٢ ـ/ ميزان الحكمة ـ المجلد الخامس ـ ص ٨٥.
(٢) سورة الحجرات، الآية: ١١٢.
(٣) سورة النور، الآية: ١٢.
(٤) تفسير الميزان، المجلد الثامن عشر، ص ٣٢٣.

وفي المقابل شجع الإسلام على حسن الظن بالآخرين وعدم التسرع باتخاذ قرار ضدهم لأول وهلة من الظن:

فقد جاء في الحديث: ضع أمر أخيك على أحسنه حتى يأتيك منه ما يغلبك.

ولا تظنن بكلمة خرجت من أخيك سوءاً وأنت تجد لها في الخير محملاً[1]. وعلة ذلك قطع الطريق على الشيطان كي لا يستغل هذا الظن المحدود في فتح باب الشر على مصراعيه بين الأخوة.

فإن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم في العروق وهو قريب يقتنص الفرص.

فعن الإمام علي بن الحسين عليه السلام عن صفية بنت حيي زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم معتكفاً فأتيته أزوره ليلاً فحدثته، ثم قمت لأنقلب فقام معي ليقلبني (أي يردني) وكان مسكنها في دار أسامة بن زيد، فمر رجلان من الأنصار، فلما رأيا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أسرعا، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: على رسلكما إنها صفية بنت حيي. فقالا: سبحان الله يا رسول الله. قال: إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شراً[2].

ز ـ أعمال الخير التي تجر إلى الشر:

ـ غالباً ما تكون همة المؤمن في عمل الخير والسعي إلى اكتساب الثواب ورضوان الله عبر كل وسيلة وسبيل.

ولكن الأمر المهم في ذلك هو التنفيذ أولاً لهذه المهمة والرغبة الطيبة وأن لا تبقى مجرد رغبة وأمل. وثانياً: استمرار النية الخالصة في هذه الرغبة إلى آخر المطاف. وعدم اختلاطها بأمر آخر يمكن أن يلوثها ويقلبها عن الخير إلى الشر بفعل الشيطان.

---

(١) ميزان الحكمة، ج٥، ص ٦٢٣.

(٢) تلبيس إبليس، ص ٣٠.

ويحتال الشيطان حيلاً عديدة ليجد منفذاً له إلى قلب المؤمن وقد ورد في الرواية أن الشيطان يضع أمام المؤمن المتقي تسعاً وتسعين طريقاً إلى الخير حتى يوقعه في الشر في الطريق المائة.

والمرشد لهذه الأعمال الخيرة هو الشيطان فهو حاذق ودقيق في التحضير للشر بحيث أن الإمام عليه السلام يقول: (وبصيرة في ديني) فهذا العمل الذي أريد أن أؤديه أرجو أن لا يكون بإغواء الشيطان ليوقعني في الشر[1].

ح ـ المكروهات طريق الشيطان إلى الحرام:

خلق الله الإنسان في أحسن تقويم، ووضع له أفضل منهج يتناسب مع تكوينه النفسي والروحي والجسدي وأمره باتباع هذا المنهج سعياً للوصول إلى تكامله الحياتي في الدنيا كأفضل وأكرم مخلوقات الله والوصول إلى تكامله الأخروي كي ينال عظيم ثواب الله ويسكن دار كرامته في الجنة.

ولكن الشيطان الخبيث لا يريد لهذا الإنسان أن يصل إلى النتيجة المرجوة فلا يسمح له بتطبيق المنهج الرباني في راحة ويسر بل يقف في الطريق ويصده بكل وسيلة كي يضل الإنسان متخبطاً في جهالته، راسخاً في أغلاله وقيوده ذليلاً غارقاً في ذنوبه وآثامه يائساً من النجاة قانعاً بنصيبه الحقير في الدنيا عما أعد الله له في الآخرة.

ومن وسائل الشيطان للوصول إلى ذلك الهدف إيقاع الإنسان فيما حرم الله وترغيبه في مخالفة إرادة ربه سبحانه وتعالى حتى في أصغر الأمور كالمكروهات الشرعية فيجعلها طريقاً لإرتكاب الحرام. والتي نهى عنها الشرع لضررها النفسي أو الروحي أو الجسدي، ومبالغة في تأديب الإنسان بآداب الله، وتربيته على الخلق الحسن والسلوك الطيب واللائق به كعبد من عباد الله الصالحين يمثل أكرم مخلوقات الله وأخصهم لديه. وللفائدة نشير إلى بعض هذه المكروهات ومن أراد التفصيل فعليه الرجوع إلى الكتب المختصة بذلك:

---

(١) الإستعاذة، ص ٧٨.

أ ـ الشرب عن قيام، والبول في الماء القليل، والتغوّط بين القبور، والمشي بنعل واحدة والمبيت مفرداً في بيت واحدة.

فلكل ما سبق أضراره على الإنسان مادياً ومعنوياً: فلعل في الشرب واقفاً ضرر صحي والبول في الماء القليل يدعو إلى تلويثه ونجاسته وبالتالي حرمان الآخرين من الإستفادة منه بل وجلب الضرر إليهم بسبب ذلك، أما التغوط في المقابر ففيها إهانة للموتى وخصوصاً المسلمين بينما المفروض احترام الإنسان المسلم بعد موته كما في حياته. أما مبيت الإنسان في بيت وحده فقد تثير في نفسيته الخوف والوجل من الأوهام والخيالات التي تحدث عادة في الأماكن الخالية والموحشة بسبب الشياطين.

كما أن المشي بنعل واحدة لا يخلو من مضار صحية مع ما فيها من المخالفة للعرف الإجتماعي والحياتي..

فعن الإمام الصادق عليه السلام ناهياً عن التلبس بمثل هذه الأمور: لا تشرب وأنت واقف، ولا تبل في ماء نقيع، ولا تطف بقبر، ولا تخل في بيت وحدك، ولا تمش بنعل واحدة فإن الشيطان أسرع ما يكون إلى العبد إذا كان على بعض هذه الأحوال[١].

ب ـ لبس ثياب الشهرة:

وهي كل لباس غريب وشاذ عن المتعارف إجتماعياً، فإذا ما لبسه الشخص فقد يتعرض للسخرية والإستهزاء من الآخرين وقد يكون اللباس حاملاً لفكرة أو منهج منحرف كأن يكون لباساً لفرقة ضالة أو مذهب منحرف. أو يكون بدعة مستحدثة لنشر الفساد والميوعة والتحلل كما نراه اليوم في «موضات» الغرب وابتداعاتهم في الألبسة وخصوصاً للشباب من الجنسين.

فعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ناهياً عن لبس كل ما فيه شذوذ وغرابة في الألبسة: (إن

---

(١) البحار، ج٦٣، ص ٢٦١.

الشيطان يحب الحمرة فإياكم والحمرة وكل ثوب ذي شهرة)[١].

ج ـ تعليق الثياب ليلاً:

ـ فعن أبي عبدالله عليه السلام: اطووا ثيابكم بالليل فإنها إذا كانت منشورة لبسها الشيطان[٢].

د ـ تغطية الأواني وإغلاق باب البيت:

ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أغلقوا أبوابكم وخمّروا آنيتكم وأوكئوا أسقيتكم، فإنّ الشيطان لا يكشف غطاء ولا يحلّ وكاء[٣].

هـ ـ ترك البسملة في جميع شؤون الحياة:

ـ البسملة تعني الإبتداء بذكر الله سبحانه والإستعانة به والتبرك باسمه تعالى. كما أن فيها مطردة للشيطان على وجه العموم.

فعن أبي عبدالله عليه السلام: إذا توضأ أحدكم ولم يسم كان للشيطان في وضوئه شرك، وإن أكل وشرب أو لبس لباساً ينبغي أن يسمي عليه، فإن لم يفعل كان للشيطان فيه شرك[٤].

وعنه عليه السلام في تأكيد البسملة حال مقاربة الزوجة: إذا أتى أحدكم أهله فليذكر الله فإن من لم يذكر الله عند الجماع فكان منه ولد كان شرك شيطان ويعرف ذلك بحبنا وبغضنا[٥].

وعنه عليه السلام: إذا انكشف أحدكم لبول أو لغير ذلك فليقل بسم الله، فإن

---

(١) نهج الفصاحة.

(٢) بحار الأنوار، ج٦٣، ص ٢٥٩.

(٣) بحار الأنوار، ج٦٠، ص ٢٠٤.

(٤) بحار الأنوار، ج٦٠، ص ٢٠٣.

(٥) بحار الأنوار، ج٦٣، ص ٢٠٣.

الشيطان يغض بصره عنه حتى يفرغ[1].

وعن الإمام الرضا عليه السلام: في التأكيد على ذكر الله عند الشروع في السفر: إذا خرجت من منزلك في سفر، أو حضر فقل: بسم الله، آمنت بالله، توكلت على الله، ما شاء الله، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. فتلقاه الشياطين فتضرب الملائكة وجوهها، وتقول: ما سبيلكم عليه وقد سمى الله وآمن به وتوكل على الله، وقال ما شاء الله لا حول ولا قوة إلا بالله[2].

و ـ الشيطان في السوق:

عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: شر بقاع الأرض الأسواق.

يجمع السوق مختلف أصناف الناس، فيكون منهم الطيب والخبيث، ويكون بينهم المرأة والرجل، و. . و. .

ولأن الطابع الغالب في سلوك هؤلاء حال كونهم في السوق هو الطابع المصلحي، حيث يغلب الهوى، والطمع ويكون توجه الإنسان للدنيا في أجلى صوره فلا يكون هناك مجال لذكر الله، وتضعف مراقبة النفس عن الوقوع في الحرام بسبب الغفلة والإنشغال بهذا المحيط المغري.

لذلك قل ما يسلم الإنسان عادة وهو يتجول في السوق سواء كان في حالة بيع أو شراء أو غيرها من الحالات من الوقوع في أحد المحاذير الشرعية، من لغو في يمين، أو بخس في سلعة أو غش في بضاعة، أو تطفيف في ميزان أو التفوه بكلمة فحش، أو التطلع بنظرة إلى حرام، أو تضييع لفريضة أو. . أو. . لكل ذلك نجد في الأسواق بؤرة موبوءة بالشياطين الذين يتصدون الفرص لإيقاع بني آدم في الإثم بكل وسيلة باستثناء إذا ما كان المتواجد في السوق ملتزماً بذكر الله، ومراعياً حدوده.

فعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: إن الشياطين تغدو براياتها إلى الأسواق فيدخلون مع أول داخل ويخرجون مع آخر خارج. . .

---

(١) بحار الأنوار، ج٦٣، ص ٢٠١.

(٢) بحار الأنوار، ج٦٣، ص ٢٠٢.

الفصل الحادي عشر

من أعمال الشيطان

١ ـ تلبيس الشيطان:

ـ والتلبيس هو: إظهار الباطل في صورة الحق. وقد استخدم الشيطان هذه الوسيلة المؤثرة ولا يزال يستفيد منها في إضلال البشرية. فقد ورد في الدعاء عن الإمام السجاد عليه السلام: (فلولا أن الشيطان يختدعهم عن طاعتك ما عصاك عاص ولولا أنه صور لهم الباطل في مثال الحق ما ضل عن طريقك ضال)[١].

وقد سعى الشيطان في تلبيس الحق بالباطل على البشر كل في مجاله وحسب تخصصه ولولا الشيطان وفعله الخبيث: لما رأينا كل هذه الآراء الشاذة والمذاهب الهدامة والأهواء المتفرقة ولما رفع صاحب كل رأي فاسد رايته يدافع عن رأيه ويزعم أنه الرأي الأصوب والأولى بالاتباع دون سواه ويتهم الآخرين بالزيغ والإنحراف.

وقد اخترت هنا جملة مما ورد في كتاب تلبيس إبليس من التلبيسات الشيطانية وأرفقتها بهذا البحث بشيء من التصرف والإختصار. ومع ملاحظاتنا على المؤلف إلا أن هذا لا يمنع من الإستفادة من الحكمة أينما وجدت ومن أي شخص صدرت.

وهذه بعض التلبيسات المنتخبة:

---

(١) الصحيفة السجادية، ص ٢٢١.

١ ـ تلبيسه على السوفسطائية:

ـ وهم قوم زعموا أن الأشياء لا حقيقة لها وأن ما نراه ونحسه وهم لا مصداقية له.

٢ ـ تلبيسه على الدهرية:

ـ وقد أوهمهم الشيطان أنه لا إله ولا صانع لهذا الكون. وقد يدخل في هذه الفئة من يقول بخلق الأشياء عن طريق الصدفة العمياء وأن المخلوقات من العدم.

٣ ـ تلبيسه على الثنوية:

وهم قوم قالوا صانع العالم إثنان ففاعل الخير نور، وفاعل الشر ظلمة، وهما قديمان لم يزالا ولن يزالا قويين حساسين سميعين بصيرين وهما مختلفان في النفس والصورة متضادان في الفعل والتدبير.

٤ ـ تلبيسه على الفلاسفة:

حيث انفردوا بآرائهم وعقولهم وتكلموا بمقتضى ظنونهم من غير التفات إلى الأنبياء والرسل ورسالات السماء حيث ادعوا الاستغناء عنها بما أوتوا من عقول كاملة. فأثبتوا أموراً لا وجود لها ونفوا أموراً ضرورية بحكم العقل والشرع.

٥ ـ تلبيسه على عبّاد الأصنام

حيث ابتدع لهم الأصنام في البداية لتذكيرهم بآبائهم وعلمائهم وكبرائهم الذين ماتوا وزيادة في احترامهم أمرهم بزيارتهم وتقديسهم حتى مرت على ذلك أجيال وجاءت أجيال جديدة مارست العبادة لهذه الأصنام واتخذتها آلهة تعبد من دون الله.

٦ ـ تلبيسه على جاحدي النبوات:

كالبراهمة والهندوس في الهند الذين يجحدون رسالات السماء الصحيحة ويزعمون بأن رسولهم ملك أتاهم في صورة البشر من غير كتاب له أربعة أيدي

واثنا عشر رأساً من ذلك رأس إنسان، ورأس أسد، ورأس فرس، ورأس فيل ورأس خنزير وغير ذلك من رؤوس الحيوانات وأنه أمرهم بتعظيم النار ونهاهم عن القتل والذبائح إلا ما كان للنار ونهاهم عن الكذب وشرب الخمر وأباح لهم الزنا وأمرهم أن يعبدوا البقر كما زين لهم الشيطان أن يتقربوا لها بإحراق نفوسهم، فيحفرون للإنسان منهم أخدوداً وتجتمع الناس فيجيء مضمخاً بالخلوق والطيب وتضرب المعازف والطبول. ثم يلقي نفسه في الأخدود فيحترق كما يصنعون ذلك لأمواتهم أيضاً.

٧ ـ تلبيسه على اليهود:

فمن مزاعمهم تشبيههم الخالق بالمخلوق، وأن الإله المعبود رجل من نور على كرسي من نور على رأسه تاج من نور وله أعضاء كما للآدميين. كما قالوا أن عزير ابن الله، وقالوا: إن الله فقير ونحن أغنياء، وقالوا: يد الله مغلولة، كما طلبوا من موسى عليه السلام أن يجعل لهم أصناماً آلهة كما لغيرهم من الكفار ولم يرضوا حتى عبدوا العجل كما أنهم قالوا: لا يجوز نسخ الشرائع تهرباً من التسليم بشريعة الإسلام.

٨ ـ تلبيسه على النصارى:

ـ فقد أوهمهم إبليس أن الخالق سبحانه جوهر فهو واحد في الجوهرية ثلاثة في الأقنومية فأحد الأقانيم عندهم الأب، والآخر الابن والآخر الروح القدس فبعضهم يقول: الأقانيم خواص، وبعضهم يقول صفات، وبعضهم يقول أشخاص.

كما سول لبعضهم أن المسيح هو الله، فزعموا أن الذي ولدته مريم هو الإله، وسول الشيطان لبعضهم أن المسيح هو ابن الله.

كما لبس الشيطان عليهم في أمر نبينا محمد ﷺ حتى جحدوه بعد ذكره في الإنجيل ومنهم من يقول عن نبينا أنه نبي إلا أنه مبعوث إلى العرب خاصة.

٩ ـ تلبيسه على المجوس:

وكان مما سنه زرادشت: عبادة النار والصلاة إلى الشمس، يتأولون فيها

أنها ملكة العالم وهي التي تأتي بالنهار وتذهب بالليل وتحيي النبات والحيوان وترد الحرارات إلى أجسادها كما كانوا لا يدفنون موتاهم في الأرض تعظيماً لهم ولا يغتسلون بالماء تعظيماً له وقالوا لأن به حياة كل شيء إلا أن يستعملوا قبله بول البقر ونحوه كما يستحلون نكاح الأمهات.

١٠ ـ تلبيسه على أمتنا في العقائد والديانات:

دخل إبليس على هذه الأمة في عقائدها من طريقين:

أحدهما: التقليد للآباء والاسلاف.

والثاني: الخوض فيما لا يدرك غوره، ويعز الخائض عن الوصول إلى عمقه، فأوقع أصحاب هذا القسم في نوع من التخليط. ولعل آخر ما وقع فيه أصحاب الطريق الأول هو التقديس الأعمى لكل ما هو موروث من السابقين من دون تمحيص ولا تدقيق حتى ولو كان بادي الخطأ واضح الانحراف فصدق عليهم قوله تعالى: ﴿**إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون**﴾.

أما أصحاب الطريق الآخر ممن حكموا أراءهم وعقولهم القاصرة فيما لم يكن لهم به علم فزادوا في الدين ما ليس فيه وأنقصوا منه ما كان ضرورياً سنة من كان من قبلنا من الأمم. فخرجت المذاهب المبتدعة كالقدرية والجبرية والمفوضة والمشبهة وغيرها كثير.

ولعل أكبر تلبيس فعله إبليس بأمتنا هو حرفهم عن وصية رسول الله ﷺ الحقيقية قبل موته. فصدهم عن التمسك بعدل الكتاب في وصية النبي ﷺ وهم عترة رسول الله ﷺ وآل بيته عليهم السلام حيث مالوا عنهم ورغبوا في غيرهم، وقدموا عليهم من هم أقل منهم علماً وحكماً وإيماناً ومن هنا بدأت الفتنة وحل الشقاق والخلاف بين أمة النبي محمد ﷺ وإلى يومنا هذا.

فعن جابر بن عبدالله الأنصاري (رض) تصور إبليس يوم قبض النبي ﷺ في صورة المغيرة بن شعبة فقال: أيها الناس لا تجعلوها ـ الخلافة ـ كسروانية ولا قيصرية وسعوها تتسع فلا تردوها في بني هاشم فينتظر بها الحبالى[1]..

---

(١) بحار الأنوار، ج٦٣، ص ٢٣٣.

وصدق رسول الله ﷺ حيث قال: تعوذوا بالله من الشيطان الرجيم. . إلى أن يقول: أتدرون ما أشد ما ينفخون؟ (أي الشياطين) وهو ما ينفخون بأن يوهموا أن أحداً من هذه الأمة فاضل علينا أو عدل لنا أهل البيت وأما نفثاته: فإنه يرى أحدكم أن شيئاً بعد القرآن أشفى له من ذكرنا أهل البيت ومن الصلاة علينا[1].

٢ ـ كيد الشيطان:

ـ يقول الخراز: اعلم أن عدوك إبليس لا يغفل عنك في سكوت ولا كلام، ولا صلاة ولا صيام، ولا بذل ولا منع، ولا سفر ولا حضر، ولا تفرد ولا خلطة، ولا في توقر ولا عجلة، ولا في نظر ولا في غض بصر ولا في ضحك ولا في كسل ولا في نشاط ولا في ضحك ولا في بكاء، ولا حزن ولا فرح. .

فالشيطان حاضر للإنسان في جميع أحواله الحياتية فهو كالجرثومة المنتشرة في الفضاء المحيط تدخل الجسم مع الهواء وحالما تجد فرصة الإستقرار في البدن تستقر وتتكاثر وتنشر سمومها ومضاعفاتها. كذلك الشيطان حالما يجد نقطة ضعف عند الإنسان يدخل منها إليه ويوقعه في المحذور.

ولعلّ من المفيد هنا أن نركز على بعض الحالات التي يجد الشيطان فيها فرصته ليكيد المؤمنين بصورة خاصة وأهم وأخطر هذه الحالات ما يلي:

١ ـ التثبيط عن العمل الصالح:

ـ كلنا جرب العزم على القيام بعمل صالح ما في حياته من قبيل الأعمال العبادية من صلاة وصيام وصدقة أو سعي لطلب علم أو إصلاح بين الناس، وحينها لاحظنا كيف أن شعوراً خفياً في داخلنا كان ينهانا عن المبادرة ويلقى في روعنا التبريرات السلبية المختلفة لترك ذلك العمل. ذلك هو الشيطان يسعى بكل جهده ليصدنا عن تنفيذ أعمال الخير والسعي في المعروف.

وهو قد لا ينهانا مباشرة عن القيام بهذه الأمور ولا ينفعنا بعدم جدواها

---

(١) بحار الأنوار، ج٦٣، ص ٢٠٤.

لأننا عارفون بماهية وقيمة هذه الأمور عند الله سبحانه وتعالى. وإنما يأتينا عن طريق آخر. كالتخويف بالرياء والسمعة والعجب في العمل. أو بتصغير صاحب العمل والإيحاء له بأنه غير لائق للقيام بهذا العمل مثلاً أو أن الله لن يتقبل منه عمله لأي سبب آخر. فيثير عنده الشكوك والوساوس حتى يتعبه وقد يوصله إلى ترك العمل من الأساس عند ذلك يصل الشيطان إلى هدفه. فعلى الإنسان المؤمن هنا أن يسد منافذ قلبه أمام تثبيط الشيطان ويقدم على العمل بكل ثقة وتوكل على الله. فقد جاء في الحديث:

(لا تعمل المعروف رياء ولا تتركه حياء).

وجاء أيضاً: (لا تستح من إعطاء القليل فإن الحرمان أقل منه).

٢ ـ التيئيس من المغفرة:

ـ قد يرتكب المؤمن الذنب كغيره من البشر لعدم عصمته فيبادر إلى التوبة، وطلب المغفرة من الله سبحانه لثقته بأن الله هو الغفور الرحيم، وهذا أمر طبيعي عند كل المؤمنين فقد ورد في الحديث القدسي: يا داود إن عبدي المؤمن، إذا أذنب ثم تاب من ذلك الذنب، واستحيا مني عند ذكره، غفرت له، وأنسيته الحفظة وأبدلته حسنة ولا أبالي وأنا أرحم الراحمين[١].

ولكن الشيطان لا يرغب في وصول الإنسان إلى مرحلة التوبة والعودة إلى الله بل يقف له في الطريق ويشككه في التوبة ويؤيسه من المغفرة وذلك بتعظيم ذنبه أمام عينيه، وبذلك يفقده الثقة بنفسه وبربه، ويقطع أمله بالمغفرة، فيبقى متردداً في خطيئته، وهموم الذنوب جاثمة على صدره. تسد أمامه طريق السعي والعمل الصالح حتى توصله إلى درجة القنوط من رحمة الله، وهنا يكون قريباً من الكفر.

لذا ورد في الآيات الكريمة التحذير الشديد للمؤمنين من اليأس والقنوط من رحمة الله:

---

(١) كلمة الله ـ السيد حسن الشيرازي.

﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم﴾[1].

٣ ـ تسهيل العمل بالكبائر:

ـ كلنا ندرك حرمة الكبائر وعقوبة مرتكبها ولكننا نرى أنفسنا نقارف بعض هذه الذنوب أحياناً وقد يستمر البعض في ارتكابها. فيا ترى ما هو سبب هذا السلوك؟

لا شكّ أن للشيطان يداً مباشرة في هذا الموضوع وذلك حينما يسهل ارتكاب الكبيرة أمام المؤمن يؤمنه من العقاب الفوري فيطمئن، ويقدم على الفعل ويكرره.

وغالباً ما تكون وسوسة الشيطان للإنسان فيما يظهره له منه بمنفعة عاجلة أو صورة براقة مع تيسير السبيل إليها. فكم يوسوس الشيطان للإنسان مثلاً أن يشرب كأساً من الخمر فقد يكون فيها الشفاء لوعكة في جسمه.. أو الراحة من تفكير في نفسه، وماذا تضر الكأس الواحدة.. فلتكن مرة ثم تقلع عنها ولماذا؟ هذا الصديق وذاك.. يشربون.. ويعربدون.. ألا تجد أنهم سعداء. عليك إذن بكأس واحدة.. لمرة واحدة.. أو غير ذلك من الذنوب. والآثام.. كبيرها وصغيرها.. والذنب مرة والخطيئة واحدة.. ثم يبدأ الشيطان في تزيين العودة إليها.. يضل الإنسان بذلك تحت تأثير غواية الشيطان[2].

وعن النبي ﷺ: أيها الناس إن الشيطان يئس أن يعبد في أرضكم هذه، ولكنه رضي أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم.

٤ ـ إشعال الفتنة بين المؤمنين:

قال الله تعالى: ﴿إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٥٣.

(٢) كتاب الرحمٰن الرحيم.

والبغضاء﴾[1].

﴿يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان﴾ قد يأخذ العجب من وقوع الفتنة بين المؤمنين وهل ذلك ممكن الحدوث؟ أليس المؤمنون أخوة؟ أليسوا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً؟ أليسوا كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له باقي الجسد بالسهر والحمى؟

الجواب ـ نعم بالتأكيد، وهذا هو الشيء الذي يجب أن يحصل، وهذا ما نصت عليه الآيات الكريمة وحضت عليه الأحاديث الشريفة.

ولكن ويا للأسف نرى أحياناً أن الواقع خلاف ذلك تماماً، فنرى بين الفينة والأخرى حدوث علامات الخلاف والخصومة بين بعض المؤمنين وقد تتطور الخصومة إلى التهمة والحقد المتبادل ومن ثم قد تصل إلى التقاتل والحرب.

وإذا ما بحثنا عن الأسباب الكامنة وراء هذه الخصومة وجدناها أموراً تافهة لا تستحق الذكر ولكن الشيطان وعبر تضخيمه للظنون السيئة، وإثارته للحساسيات وأشباهها يصل إلى هدفه وهو تفكيك وحدة المسلمين، وقطع أواصر المحبة والود بينهم.

المجتمع الإسلامي مجتمع حرب دفاعية ضد أعداء الإنسانية وأعداء الرسالة ولا يمكن لهذا المجتمع أن يواجه تحديات الحرب من دون وجود وحدة داخلية متينة، لذلك يدعو القرآن في الآية وقبل الحديث عن الحرب إلى الوحدة ويجعلها مسؤولية كل الأفراد.

إن رحاب السلام يتلوث بالحساسيات الصغيرة التي تتراكم على بعضها حتى تصبح كسحابة داكنة، وعلى كل فرد مسلم داخل المجتمع أن يقاوم نمو هذه الحساسيات ولا يتبع خطوات الشيطان منذ البداية ولأن الشيطان يستدرج الإنسان خطوة خطوة إلى الجحيم، فعلينا أن نحدد عدونا الحقيقي وعدو الجميع «الشيطان» ونتحذر من أول خطوة يدعونا إليها وهي الحساسية ضد أحد من إخواننا.. واعتباره عدواً لنا من دون الشيطان[2].

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٩١.

(٢) من هدى القرآن.

وعن جابر بن عبدالله يرفعه إلى رسول الله: إن إبليس قد يئس أن يعبده المصلون ولكن في التحريش بينهم.

وعن الإمام الصادق عليه السلام: يقول إبليس لجنوده: ألقوا بينهم الحسد والبغي فإنهما يعدلان الشرك[1].

٥ ـ تشكيك الإنسان في دينه عبر حياته وعند إحتضاره:

وهذا عبر ما يثيره في نفسه من شكوك، وأفكار خبيثة يريد بها إبعاد الإنسان عن خالقه وفصله عن الإيمان الذي هو أغلى ما يمتلكه، فيضيع عليه نتيجة جهوده الهائلة التي بذلها طيلة حياته في الطاعات والمجاهدات فيموت وهو شاك في دينه كافر بخالقه.

فعن أبي عبدالله عليه السلام: ما من أحد يحضره الموت إلا وكل به إبليس من شياطينه من يأمره بالكفر ويشككه في دينه حتىٰ تخرج نفسه، فمن كان مؤمناً لم يقدر عليه، فإذا حضرتم موتاكم فلقنوهم شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله حتى يفصل هذا الإنسان أي يموت.

٦ ـ الإنساء:

قال الله تعالى: ﴿**وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره**﴾ والإنساء من النسيان وعكسه التذكر. والنسيان من الأمراض الذهنية الخطيرة والتي وردت الأدعية والصلوات والأعمال الخاصة في مقاومته. ويحدث عادة بسبب كثرة الهموم، والذنوب وضعف الاتصال بالله تعالى وعدم الذكر والتذكر. كما قد يكون له عوامل وراثية ولكن هناك عامل مؤثر وخطير في إحداث النسيان ورميه على الإنسان وخاصة في المواقف الحرجة والحساسة وما يرتبط منها بأمور الدين وأعمال الخير ألا وهو الشيطان.

فهو يستخدم هذه الوسيلة لزيادة غفلة الإنسان عن فعل الخير وأداء

---

(١) ميزان الحكمة، ج٢، ص ٤٢٦.

الواجبات وتحمل المسؤوليات. فكم من عمل مهم ضاع، وكم من واجب أهمل؟ وكم من مسؤولية كبيرة تركت؟ كلها باسم النسيان.

وهذه قصة جميلة تعطينا مثالاً واضحاً للنسيان وأثره.

جاء رجل إلى المسجد للصلاة. وكان النشاط والحيوية باديان عليه، وأهم من ذلك كانت لديه رغبة شديدة وملحة في أداء الصلاة في أتم صورة وأكملها متقرباً بها إلى الله في وقار وخشية وخضوع عسى أن يتقبلها الله منه أحسن القبول. وينيله ثواب وأجر صلاته أضعافاً مضاعفة. كان هذا هو شغله الشاغل حتى دخل المسجد وشرع في الصلاة. ولما أن انتهى من صلاته، والسرور والحبور يغمران قلبه. وفيما هو يستعد للخروج من المسجد عائداً إلى منزله وإذا بالمفاجأة تسقط على رأسه كالمطرقة الثقيلة وإذا به يتذكر أنه قد أدى كل هذه الصلاة وهو على غير وضوء.

لقد أنساه الشيطان الوضوء فعاد وهو حزين كئيب منكسر الجناح يجر خطاه ثانية إلى مكان الوضوء وأعاد الصلاة ثانية.

وهكذا يكون النسيان أحد وسائل الشيطان في تثبيط همة وعزيمة المؤمنين عن واجباتهم ومسؤولياتهم.

٧ ـ التفريق بين المرء وزوجه:

الخلافات الزوجية مرض إجتماعي كثيراً ما يصيب الأسر فيفككها وقد يؤدي إلى الطلاق وهدم الأسرة المسلمة وهذا يؤدي إلى ضياع الأبناء وإفساد المجتمع. وهنا يأتي دور الشيطان وهو إذكاء نار الخلافات الزوجية وتضخيمها حتى يجعل من البيت الزوجي جحيماً لا يطاق. ويستغل في ذلك عوامل الضعف عند الزوجين من سرعة الغضب، وتحكيم العواطف، والغيرة في غير محلها، وغيره من السلوك المتطرف كما يستغل عوامل الضعف الموجودة عند أقارب الزوجين من سوء الظن.

وحب الإستطلاع والتدخل في شؤون الزوجين الداخلية وغيرها من العوامل. هذا مما قد يدعو البعض أن يتهرب من الزواج أساساً بدعوى الهروب من مشاكل الزواج ومسؤولياته الصعبة.

جاء عن رسول الله ﷺ في بيان جهود إبليس في هذا الجانب:

إن إبليس يضع عرشه على الماء، ثم يبعث سراياه فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة، يجيء أحدهم فيقول فعلت كذا وكذا فيقول: ما صنعت شيئاً، ثمّ يجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته. قال: فيدنيه منه، ويقول: نعم أنت[1].

٨ ـ أعمال الخير التي تجر إلى الشر:

ـ المؤمن حريص على عمل الخير والاستكثار منه رجاءً للثواب والأجر. وهذا لا يعجب الشيطان فلا يدع المؤمن وسبيله، بل يحاول أن يقطع عليه الطريق ويسرق الثواب ويحبط العمل.

ويحتال الشيطان حيلاً عديدة ليجد منفذاً له إلى قلب المؤمن. وقد ورد في الرواية أن الشيطان يضع أمام المؤمن المتقي تسعاً وتسعين طريقاً إلى الخير حتى يوقعه في الشر في الطريق المئة.

والمرشد لهذه الأعمال الخيرة هو الشيطان، فهو حاذق ودقيق في التحضير للشر، بحيث أن الإمام عليه السلام يقول في الدعاء: «وبصيرة في ديني» فهذا العمل الذي أريد أن أؤديه أرجو أن لا يكون بإغواء الشيطان ليوقعني في الشر[2].

ومن أمثلة ذلك:

١ ـ الأمر بالمستحب من أجل ترك الواجب.

٢ ـ الوقوع في الحرام حال أداء المستحب.

---

(١) تلبيس إبليس، ص ٢٥.

(٢) الاستعاذة، ص ٧٨.

٣ ـ إلقاء الكراهية للطاعة في قلب المؤمن بعد دفعه لعمل مستحب صعب عليه.

والأمثلة على حيل الشيطان كثيرة وواسعة فعلينا أن نكون على بصيرة واستعداد لفضح هذه الحيل كي لا تنطلي علينا.

فقد جاء في الخبر أن العلاء بن زياد وكان من أغنياء البصرة وهو من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام شكا أخاه إلى الإمام عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين أشكو إليك عاصم بن زياد. قال: وماله؟ قال: لبس العباءة وتخلى عن الدنيا قال: عليّ به فلما جاء قال له:

يا عديّ نفسه. لقد استهام بك الخبيث. أما رحمت أهلك وولدك. أترى الله أحل لك الطيبات، وهو يكره أن تأخذها. أنت أهون على الله من ذلك.

قال: يا أمير المؤمنين هذا أنت في خشونة ملبسك وجشوبة مأكلك. قال: ويحك، إني لست كأنت، إن الله تعالى فرض على أئمة العدل أن يقدروا أنفسهم بضعفة الناس، كيلا يتبيغ بالفقير فقره[١].

٩ ـ الإجتراء على قول الباطل:

ينبغي للمؤمن أن يصون لسانه عن الخوض في الباطل وعن الإجتراء على الآخرين في الحديث مراعاة لمشاعرهم واحتراماً لشخصياتهم لا سيما إذا كانوا من ذوي المقامات المحترمة والمراتب العالية كالعلماء والفضلاء وألا يجعل لسانه أداة للشيطان يتصرف بها في بث الفتنة والشر بين الناس، وأن يلتزم بالحديث الشريف الذي يقول: قل خيراً أو اسكت. فإن الشيطان قد يستغل لحظة الغفلة عند الإنسان ويتكلم على لسانه بكلمات لا يفطن إلى مغزاها ولكنها في الواقع من الخطورة بمكان. وقد تهوي به في قعر جهنم.

ففي قصة الإمام علي عليه السلام مع همام العابد حينما سأله عن صفة أهل التقوى، فوصفهم له فكانت النتيجة أن وقع همام مغشياً عليه من شدة التأثر ولما

---

(١) نهج البلاغة، ص ٣٢٥.

حركوه وجدوه قد فارق الحياة؟

وهناك قال أمير المؤمنين عليه السلام: أما والله لقد كنت أخافها عليه ثم قال: هكذا تصنع المواعظ البالغة بأهلها؟

فقال له قائل: (عن قصد أو عن غير قصد): فما بالك يا أمير المؤمنين: فقال عليه السلام: ويحك إن لكل أجل وقت لا يعدوه، وسبباً لا يتجاوزه فمهلاً لا تعد لمثلها، فإنما نفث الشيطان على لسانك[1].

أحبُّ الأشياء إلى إبليس

ـ يميل إبليس إلى كل ما هو قبيح ومرذول، لكن قلبه متعلق بأمور معينة أكثر من غيرها، من ذلك:

١ ـ **اللواط والسحاق**: «سأل سيدنا سليمان عليه السلام الشيطان: ما الشيء المحبوب له أكثر ومبغوض عند الله أكثر؟ أجاب: إختلاط الرجال بالرجال والنساء بالنساء...»[2].

٢ ـ **موت الفقيه ورجل الدين**: قال الإمام الصادق عليه السلام: «لا أحبَّ في نظر إبليس من موت الفقيه»[3] وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن موت العالم أحب إلى إبليس من موت سبعين عابداً».

٣ ـ **قهر المؤمنين وإبعاد بعضهم عن بعضهم الآخر**: روى أبو بصير عن الإمام الصادق عليه السلام: «إبليس يكون سعيداً وراضياً ما دام المسلم بعيداً عن أخيه المسلم».

٤ ـ **النساء نور عين إبليس**: في الحوار الذي جرى بين النبي يحيى عليه السلام وإبليس، من ذلك ما قاله يحيى عليه السلام لإبليس: ما الشيء الذي يزيد من بريق

---

(١) نهج البلاغة، ص ٣٠٦.

(٢) أعلام القرآن، ص ٨١.

(٣) (الكافي ـ الأصول) ط الإسلامية: ١/٤٦ ـ منية المريد، طبعة بومباي: ١٨٤ سفينة البحار ١/٩٩.

عينيك؟ قال: النساء، لأنهن أحبُلي وشباك صيدي، فحين يباشر الصالحون بأدعيتهم، ويهاجمونني بأدعيتهم ألجأ إلى النساء، فقلبي يُفعم بالسرور بشراكي لأنني أستطيع إغواء الرجال بهن وأجعلهم ينحرفون[1]..

ما يؤلم إبليس جداً:

ـ كما أن هناك أموراً يريدها إبليس وتسعده، فإن هناك أموراً تؤلمه وتقهره، لكن بعض الأعمال الطيبة والمقبولة تؤلمه جداً. ومما يزعجه ويقلقه أكثر:

١ ـ ذكر اسم الله ـ البسملة:

يرتجف إبليس من «بسم الله الرحمن الرحيم»، قال الإمام الصادق عليه السلام: «حين مواقعة الرجل لزوجته يحضر الشيطان بينهما فإن ذكر الرجل اسم الله هرب الشيطان من مكانه..». وقال أيضاً: «حين تجلس إلى الأرض لتتناول غداءك أو عشاءك قل بسم الله لأن الشيطان حين تذكر اسم الله على لسانك يقول لأصحابه: اخرجوا، فليس لنا في الطعام ولا في النوم نصيب..»[2].

٢ ـ السجدة وإطالتها:

ـ جاء في الحديث أن الإمام عليه السلام قال: «أطل سجدتك، فلا شيء أقسى على إبليس وأصعب من رؤية ابن آدم في حال سجوده، لأنه كان مأموراً بالسجود لآدم لكنه تمرّد على أمر الله، وهذا ابن آدم مأمور بالسجود ومنفذ لهذا الأمر وقد ظفر بالنجاة».

---

(١) سفينة البحار: ١/١٠١.

(٢) تهذيب الأحكام: ٤٠٧/٧. المحاسن: ٤٣٢ ـ البحار: ٢٠٢/٦٠، ٢٠٣.

٣ ـ ذكر فضيلة أهل البيت في أثناء ذكر الله:

«إذا التقى مؤمنان أو زار أحدهما الآخر وردَّدا على ألسنتهما ذكر الله وفضيلة أهل البيت عليهم السلام لا يجد إبليس مكاناً له بينهما ويسقط لحم وجهه، وتعتريه قشعريرة وترتعد أنفاسه حتى ليستنجد ويستغيث»[1].

٤ ـ وجود المصحف في المنزل أو تلاوته:

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «المنزل الذي يُتلى فيه القرآن ويُذكر فيه اسمُ الله تزداد بركته وتحضره الملائكة وتهجره الشياطين..» ويقول الإمام الباقر عليه السلام: «حينما أرى مصحفاً في المنزل فإنني أطمئن إلى أن الشيطان مطرود منه للبركة في هذا المصحف».

وكذلك الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم قال: «تلاوة القرآن تبعد الشيطان»[2].

٥ ـ الأذان للصلاة:

«إن إقامة الصلاة والأذان لها من الأمور التي تطرد الشيطان»[3].

٦ ـ الشهادة:

شهادة الإنسان في سبيل الله من الأمور العسيرة التي تُذهل إبليس. ولقد رُوي: «أن رجلاً كان يلعن إبليس ألف مرة كل يوم، وفي أحد الأيام جاءه آتٍ

---

(١) سفينة البحار: ١/٩.

(٢) الكافي: ٢/٤٤٦. ثواب الأعمال: ٩٣ ـ مسند أحمد: ٢/٤٤٣ ـ سنن الدارمي: ك ٢٣ ب١٤ ـ صحيح مسلم ك٦ ح ٢١٢ نقلاً عن مفتاح كنوز السنة: ٩» القرآن في أحاديث الرسول وأهل بيته: ٩٢. وفي هذا الكتاب أيضاً نرى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «لا أصعب ولا آلم لإبليس من قراءة القرآن من المصحف».

(٣) مفتاح كنوز السنة: ٨ و٣١.

في أثناء نومه وأيقظه وقال له: انهض فالجدار يريد أن ينقضَّ، فقال: من أنت حتى تتألم لحالي؟ أجابه أنا أبليس. فقال له مع أنني ألعنك كل يوم ألف مرة تأتيني متألماً لحالي لماذا؟ أجابه إبليس: لأنني علمتُ مقام الشهداء عند الله فخفت بهدم الجدار عليك أن تُعدّ من زمرتهم وتبلغ مرتبة الشهداء العالية»[1].

ذلك أن المهدوم عليه، والغريق، وموت المرأة في حال المخاض يعتبرون بمنزلة الشهداء[2].

٧ ـ مصالحة المؤمنين بعضهم بعضاً:

قال الإمام الصادق عليه السلام: «... حين يلتقي أخوان مؤمنان ويجدِّدان المحبة بينهما ويصطلحان ترتجف ركبتا إبليس وينهار فلا يستطيع الإستقرار في مكانه وتتقطع مفاصله وعروقه. فيصرخ: واويلتاه على حظي التعس!»[3].

٨ ـ الإحسان إلى مُحبي أهل البيت عليهم السلام:

قال الإمام الصادق عليه السلام لإسحاق بن عمار: يا إسحاق! أحسن إلى محبّي ما استطعت، فما أحسن مؤمن لمؤمن وأعانه إلا تخدّش وجه إبليس وجرح فؤاده[4].

---

(١) عرائس المجالس: ٤٣.
(٢) سفينة البحار: ١/ ٧٢٠.
(٣) الكافي: ٤٦ ـ منية المريد: ٨١٥٥.
(٤) سفينة البحار: ١/ ١٠٠.

أمور كان إبليس مؤسّسها

١ ـ الإستكبار:

ـ وهي المعصية الأولى. فقد جاء في روايات عديدة أن «أول معصية نجمت من الذات وانبعثت من الكبر كانت على يد إبليس. وكان الإستكبار أول معصية على أمر الله (بعد خلق آدم)[1] ـ كما تقدم ـ.

٢ ـ الكفر:

روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أن: «إبليس أول كافر وأول من رسَّخ الكفر». كما روي هذا الكلام عن الإمام الصادق عليه السلام، على أن الإمام زاد ووضح فقال: لم يكن كفر إبليس شركاً، لأنه لم يكن يعبد غير الله، لكنه دعا الناس فيما بعد إلى الشرك ثم أشرك[2].

٣ ـ اللواط:

ـ سئل أمير المؤمنين عليه السلام ـ حول اسم إبليس في السماء فقال: اسمه الحارث. كما أنهم سألوه عن أول من قام بعمل اللواط القبيح «عمل لوط» فقال: كان إبليس، وكان يقوم بنفسه بهذا العمل الشنيع. وروى الإمام عن رسول

---

(١) تفسير القمي: ص ٢٢/ البحار: ج ٦٠ ـ ص ٢٧٤/ الميزان: مجلد ٨، ص ٥٩ ـ ٦٠ نقلاً عن الكافي وتفسير القمي.

(٢) الكافي/ الأصول: ٣٨٤/٤ ـ البحار ١٩٨/٦٠ ـ الميزان: ٥٩/٨ نقلاً عن تفسير العياشي.

الله ﷺ: «حين أصدر الله أمره بهبوط آدم اهبط معه زوجه، في حين أن إبليس لم يهبط معه زوج، فكان أول اللوّاطين»[1].

٤ ـ السِّحاق:

روي عن الإمام محمد الباقر عليه السلام أنه قال: «... حين أدرك إبليس أن عمله [الإغواء باللواط] مشى بين الرجال اتجه نحو النساء وظهر لهنّ بصورة امرأة وقال: أرجالكنَّ يختلطون فيما بينهم [ملاعبة الجنس لجنسه]؟ قلن: بلى، رأيناهم ماذا يفعلون، لقد نصحهم لوط عليه السلام وأوصاهم بتركه.

فأغواهنَّ إبليس ليرتكبن هذه المعصية والتي هي السحاق فيما بينهن[2].

٥ ـ ٦ ـ ٧ ـ البكاء والنحيب، والغناء، والإنشاد:

ـ روي عن جابر عن النبي ﷺ أنه قال: «إبليس أول من بكى ونحب، وأول من غنّى، وأول من أنشد». وقال: «حين ذاق آدم من الشجرة المنهية صاح إبليس، وحين هبط آدم، غنَّى إبليس، وحين وصل إلى الأرض بكى ونحب على نعم الجنة [أسفاً] التي فقدها»[3].

٨ ـ الحسد:

روى جنادة بن أمية: «أول زلة ومعصية عرفت كانت الحسد، ذلك أن إبليس حين أمر بالسجود لآدم حسده، وهذا الحسد معصية [كان الإستكبار أول معصية]. ولهذا روي عن الإمام الصادق عليه السلام أن: «... إبليس قال لنوح: إياك والحسد، لأن الحسد كان دأبي...» وسبَّب هبوطي ولعني]»[4].

---

(١) علل الشرائع: ٢/٢٤٣ و٢٨١ و٢٨٣، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ص ١٣٤ و١٣٦.

(٢) الكافي: ٥/٥٤٤ ـ البحار: ٦٠/٢٧٨.

(٣) تفسير العياشي: ١/٤٠ و٢٧٦ ـ البحار ٦٠/١٩٩ و٤١٩.

(٤) الدر المنثور: ١/٥١ ـ الخصال: ١/٥٠ ـ البحار: ٦٠/٢٢٢ و٢٨١.

٩ ـ التعصب في غير محله:

ـ قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «.. كانت الحميّة أمراً طارئاً على إبليس.. ومعاداته لآدم من أجل خلقته. فإبليس عدو الله وزعيم المتعصبين وسلف المستكبرين. وإبليس واضع أساس العصبية»، وقال الإمام الصادق عليه السلام: «.. كان الله يعلم أن إبليس لم يكن من الملائكة، ووضّح هذا حميَّتهُ وعصبيته وغضبه التي كان يخفيها في نفسه..»[1].

١٠ ـ القياس:

ـ روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبعض الأئمة عليهم السلام أن إبليس كان أول من أبدى رأيه في أمر الدين وسار على قياسه.

وقال عيسى بن عبدالله القرشي: دخل أبو حنيفة على الإمام الصادق عليه السلام فقال له الإمام «أُخبرتُ أنك تعمل القياس [في الدين وأحكامه]؟ أجاب: نعم، إنني أقيس، قال الإمام: لا تقس في دين الله لأن إبليس أول من قاس فقد قال ـ في سبب رفضه السجود ورداً على أمر الله بالسجود ـ: «خلقتني من نار وخلقته من طين» حيث أن إبليس بهذا الكلام قاس بين النار والطين والتراب. فلو قيسَت نورانية آدم بضياء النار لفاق نورُ آدم وصفاؤه. بمعنى أنّ إبليس كان يقيس الجوهر الذي خلق الله منه آدم بالنار، وإن نور آدم وجوهره أقوى وأقدر من النار[2].

كلام الإمام جعفر الصادق عليه السلام مقتبس من حديث النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ومستلهم من قوله: «أول من قاس أمر الدين برأيه إبليس». وبعد أن روى الإمام

---

(١) نهج البلاغة: ٤/ ١٦٢، الكافي: ٢/ ٣٠٨ ـ تفسير العياشي: ٢/ ٩، البحار ٦٠/ ٢٢٠ ـ ٢٥٩.

(٢) البرهان: ٢/ ٤، الكافي (الأصول)، ح ١٧٦ ـ تفسير القمي: ص ٣٢ ـ الخصال: ٢/ ٦١٥ ـ قصص الأنبياء لابن كثير: ١/ ٣٨. الميزان: ٨/ ٥٩ ـ البحار: ٦٠/ ١٩٨ و٣٧٣.

الصادق عليه السلام حديثه قال: «إن قاس أحد أمراً متعلقاً بالدين على حساب رأيه جعله الله يوم القيامة جليس إبليس لأنه تعلم منه القياس»[1].

وورد في كتب التفسير والحديث وعن لسان آخرين أيضاً ما يدل على شهرته[2].

جهل إبليس في هذا القياس وما يتبعه:

ـ لقد وقع إبليس بقياسه بين النار والتراب والطين في عدة أمور كلها تدل على جهله هي:

ـ اعترض في البدء على أمر الله، وهذا يعدُّ كفراً بلا شك ـ وجهل في أصل الكفر أيضاً ـ.

ـ أعتقد أن الله يأمره بما يطابق هواه ورغبته ورأيه الضعيف وهو القياس.

ـ استدلَّ أن الله خلقه من مادّة ذات مزيَّة، وهذا وحده كاف ليُظهر جهل إبليس:

أ ـ لا يمكن إثبات أفضلية مادة على أخرى بالبرهان والقياس.

ب ـ إن بعض المواد والأشياء غالية وعلى حسب أصلها حقيرة وتافهة كالمسك الذي يستخرجُ من صرَّة الغزال، والماس الذي يستخرج من داخل الفحم.

ج ـ خلقت الملائكة من النور في حين أن إبليس خلق من نار ذات لهب حارق وملوث بالدخان، ومتصف بالإضطراب. والنور من غير شك أفضل من النار، لأن النار مخلوط بالدخان والأذى.

فمع أن الملائكة خلقت من النور وهو العنصر الأفضل والأكثر اعتباراً فإنها امتثلت لأمر ربها بكل تواضع وسجدت، في حين أن إبليس الذي خُلق من عنصر أقل قيمة ومؤذٍ ـ وأكثر تقديراً بوقوفه أمام آدم ـ كان يجدر به أن يمتثل لأمر الله

(١) الدر المنثور: ٣/ ٧٢، المنار: ٨/ ٣٣١ ـ الميزان: ٨/ ٥٩.

(٢) راجع المنار ٨٠/ ٣٣١، قصص الأنبياء: لابن كثير: ١/ ٣٩ ـ الجامع لأحكام القرآن: ١/ ١٧١.

ويسجد. الا أن إبليس كان يستحق التوبيخ ﴿أولى لك فأولى﴾[1].

إضافة إلى هذا نحن لا نستطيع أن نقبل بأن النار أفضل من التراب والطين، لأن جميع الموجودات الحية النباتي منها والحيواني على وجه الأرض ـ بواسطةٍ أو غير واسطة ـ إنما خلقت من التراب، في حين أن النار افتقدت هذه المزية.

غفل إبليس عن المزية التي منحها الله آدم حين خلقه بيده وقدرته، وجهل أنه نفخ فيه من روحه، وأنه خلق في آدم استعداداً علمياً وعملياً يفوق ما عند سائر المخلوقات وهو حين أمر الملائكة بأن تسجد لآدم إنما منحها بذلك شرفاً وكرامة، وهذا يعني أنه اعتبر آدم أفضل من الملائكة. ومما لا شك فيه أن عنصر خلق الملائكة أفضل من عنصر خلق إبليس، وبالتالي هي أكثر طاعة من إبليس.

ويورد القرطبي أدلة أخرى على جهل قياس إبليس ووهنه ويقول: قال الحكماء:

ـ إن في عنصر التراب والطين رزانة وهدوءاً ووقاراً وسكوناً، لذا فإن آدم بعد أن عصى ربه تاب وتواضع وتضرع. وفي النار خفّة وحدّة واضطراب وهذا ما جعل إبليس يثور ويتمرد ويستكبر.

ـ نرى في الأحاديث أن تراب الجنة من المسك والأذفر، في حين أن الأخبار لم تذكر قط وجود نار في الجنة.

ـ عرّف الله النار بأنها وسيلة للعذاب، في حين أنه لم يذكر التراب أداة للتعذيب.

ـ التراب لا يحتاج إلى النار، في حين أن النار محتاجة إلى مكان، وهذا المكان من تراب.

لذا قال ابن عباس: كان أولى بإبليس أن يطيع من أن يقيس، لكنه شغل بقياس الكلام، فكان أول موجود قاس بحسب فكره.

قال البيضاوي: إن إبليس واضع أساس الكبر والإستبداد والإعتماد على

---

(١) سورة القيامة، الآية: ٣٤.

الرأي الشخصي.

- إقتبس الأغنياء الغارقون بالمجون والسرور القياس من إبليس، فكما أن إبليس تباهى بأصله ومبدإ خلقه وفضَّل نفسه على آدم فإن المترفين يتباهَون بأموالهم وأولادهم ويُحسُّون بالكبرياء[1] ويقولون: **﴿نحن أكثر أموالاً وأولاداً وما نحنُ بمعذبين﴾**[2].

(١) انظر: مجمع البيان: ٢/ ٤٠٢ - المنار: ٨/ ٣٣٠ و٣٣٢، قصص الأنبياء لابن كثير: ١/ ٣٩. الجامع لأحكام القرآن ٧/ ١٧١ - أنوار التنزيل: ٣/ ٤ - نهج البلاغة شرح محمد عبده: ٢/ ١٦٢، ١٧٤ و١٧٥.

(٢) سورة سبأ، الآية: ٣٥.

الفصل الثاني عشر

ذريَّة إبليس وأبناؤه وعملهم:

ـ من دراستنا للروايات وتفاسير الآيات المتعلقة بإبليس ـ كما أسلفنا ـ نستنتج أن توالد إبليس وتناسله كان موضع التأييد. ولإبليس ذرية وأبناء ونسل، وأسماء بعضها ذُكرت في الروايات بعدد من الصور:

١ ـ **اللاقِسُ والوَلَهانُ**: وهو المشرف على ماء الطهارة والوضوء، ويُغري بكثرة باستعمالها. وقد جاء في بعض الروايات والأحاديث أن الإمام الصادق عليه السلام ـ قال في معرض تقبيح المساحقة: «ستقتل ابنة إبليس اللاقس».

٢ ـ **الهفاف**: الذي يحمي البوادي والصحاري ويُضلُّ الناس فيها ويقولون: إنه يُضلهم بشراب مُسكر.

٣ ـ **الزَّكنبور**: مأمور بالإشراف على الأسواق، ويحضُّ الناس على الثرثرة واليمين الكاذبة وتحسين البضاعة لدى التجار ليُظهروا حسنات مبيعاتهم، إنه يرفع رايته في كل سوق بين السماء والأرض وترفرف على أول دكان تُفتح وآخر دكان تغلق.

٤ ـ **الثبَّر**: مأمور على المصائب والأذى وتخريش الوجوه واللطم وتمزيق الثياب للمصابين والمنكوبين، ويدعو الناس إلى الإقتتال والإفناء.

٥ ـ **الأعور**: يسعى إلى الزنا، ويحثُّ عليه، ويبعث القوة في فرجي الرجل والمرأة. ويقولون: إنه يقف على أبواب السلاطين.

٦ ـ **الداسم**: عمله هو أن الرجل حين يدخل على أهله ولا يسلم عليهم ولا يذكر إسم الله يدخل معه فيوغِرُ صدور الأهل على بعضهم بعضاً ويحدث الشرور.

وحينما يبدأ المرء بتناول طعامه ولا يذكر إسم الله يشاركه في طعامه.

٧ ـ **المطرش أو المشوط أو الوشوط**: وهو مأمور على الأخبار، فيطعِّم هذه الأخبار بالكذب والبهتان وينشرها على ألسنة العامة، وهي الأخبار التي لا أساس لها من الصحة ولا الحقيقة.

٨ ـ **لُبَيْنَى**: وهو إسم إبنة إبليس، ولهذا يكنى إبليس بأبي لبينى. وقد ذكر السَّهيلي هذا الاسم في «الروض الأُنُف». ويقولون للُبَيْنَى أيضاً «الطُّرطبة».

ولا شك أن هناك أسماء أخرى لابناء إبليس، مثل: غيلان جمع غول[1].

ـ جند إبليس وجيشه:

ـ ورد في القرآن الكريم التعبير ﴿**جنود إبليس**﴾ مرة واحدة فقط وذلك في قوله: ﴿**فكبكبوا فيها هم والغاوون وجنودُ إبليس أجمعون**﴾[2].

تشابهت ـ كما سيتضح ـ كتب التفاسير والحديث في مضامين شرح التعبير «جنود إبليس»، وفيما يلي نماذج:

ـ ضمن رواية مفصلة للإمام الصادق عليه السلام نلاحظ أنه يعتبرهم أبناءه ونسله ـ وهم الشياطين[3].

ـ جنود إبليس: أتباعه، وهم أبناؤه وأبناء آدم[4].

---

(١) انظر البحار: ٦٠/٢٦٨ و٢٧٠ و٣٠٦ و٣٠٧ ـ الجامع لأحكام القرآن: ٧/٤٢١ ـ الإتقان: ٤/٨٣ سفينة البحار، ١/٩٩ و١٠٠، أعلام القرآن: ٧٨.

(٢) سورة الشعراء، الآيتان: ٩٤ ـ ٩٥.

(٣) الكافي (أصول): ٣/٤٦ ح ١٥١٠ ـ البرهان للبحراني: ٣/١٨٥، مجمع البحرين: ٣/٢١.

(٤) مجمع البيان: ٧/١٩٤ ـ جامع البيان: ١٩/٥٥ ـ التبيان للطوسي: ٨/٣٦ ـ الجامع =

ـ جنود إبليس: أتباع معصيته من الجن والإنس[1].

ـ جنود إبليس: هم الذين علَّمهم عبادة الأوثان، ولهذا يعدُّون أتباعه[2].

ـ وعن أمير المؤمنين عليه السلام يعرِّف الغضب بأنه واحد من جنود إبليس حين يقول: «احذر الغضب لأنه جندي من جنود إبليس وجيش عظيم من جيوشه»[3].

وكذلك يقول: «اتخذوا التواضع سلاحاً لأعدائكم، عدوُّكم إبليس وجنوده، لأن لإبليس في كل أمة جيوشاً وأتباعاً وجنوداً فرساناً وراجلين»[4].

ـ ويقول العلامة الطباطبائي: جنود إبليس هم جلساء الشياطين وهم الذين ذكر القرآن الكريم أنهم أشخاص من أهل الضلالة، مأواهم النار. قال تعالى: **﴿ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرينٌ﴾**[5] إلى قوله تعالى: **﴿ولن ينفعكم اليوم إذ ظَّلمتُم أنَّكم في العذاب مشتركون﴾**[6].

مجموعتان من جنود إبليس:

ـ جاء في تفسير الكلبي رواية عن ابن عباس أن جنود إبليس فئتان: فئة تتجه نحو الناس وفئة تُرسَل نحو الجن. فعلى هذا فإن شياطين الإنس والجن هم أعداء رسل الله والمؤمنين، فشياطين الإنس والجن متفقة في كل الأوقات، وكل واحد يقول للآخر إني جليسك وصديقك، طعنت فلاناً وفلاناً طعنات ضالَّة وإذ يسمع الآخر هذا الإغواء يقول: فعلى هذا عليّ أن أكون صديقك وتابعك

= لأحكام القرآن ١٣/ ١١٩.

(١) روض الجنان، تحقيق القمشة إي: ٧/ ٢٦٥. التفسير الكبير: ٢٤/ ١٥٢، روح المعاني: ١٩/ ١٠٣.

(٢) الجامع لأحكام القرآن: ١٣/ ١١٩.

(٣) نهج البلاغة: ٣/ ١٤٤.

(٤) نهج البلاغة: ٢/ ١٦٥.

(٥) سورة الزخرف، الآية: ٣٦.

(٦) سورة الزخرف، الآية: ٣٩. الميزان: ١٥/ ٢٩٠.

لأتبعك في إغوائك. فالشياطين، مثيرو الفتن ومبدعوا الشر، يعملون ويعلمون بعضهم بعضاً ويلتقون على الضراء[1].

- وعبّر القرآن الكريم عن جنود إبليس أيضاً بلفظ «قبيل» قال تعالى: ﴿**إنه يراكم هو وقبيلُه من حيث لا ترونهم**﴾[2]. وفسّر الطبرسي «القبيل» بذرية إبليس وأبنائه أو جنوده وجيوشه وأتباعه أي الجن والشياطين[3].

- أتباع إبليس

- من هم أتباع إبليس؟

- كل من يرتبط بعلاقة حميمة مع الشيطان، فيواليه ويتبع خطواته، ويناصره، وينفذ خططه. كل أولئك يدخلون في أتباع الشيطان. وأهم مصاديق هذا العنوان ما يلي:

١ - علماء السوء:

قال تعالى: ﴿**واتل عليهم نبأ الذي أتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين**﴾[4].

وقد نزلت هذه الآية في حق بلعم بن باعوراء أحد علماء بني إسرائيل، وقد آتاه الله علم الإسم الأعظم ولكنه لم يتحمل مسؤولية العلم الذي عنده. وركن إلى الأرض وانقلب على عقبيه فصار حرباً على الرسالة، بدلاً من أن يكون عوناً وكذلك يكون حال علماء السوء الذين يتبعون سبيل الشيطان ويخالفون الرحمٰن.

وورد في التفسير: لا بد للإنسان أن يتبع منهجاً ويلتزم بميثاق فإن اتبع منهج الله وميثاقه فقد فاز وإلا فسوف يملأ الشيطان فراغه، فيتبع منهجه، ويصبح

(١) مجمع البيان: ٤/٤٠٩، البحار: ٦٠/١٤٩ و١٧٦.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ٢٧.
(٣) انظر مجمع البيان: ٤/٤٠٩ - البحار: ٦٠/١٥٦.
(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٧٥.

من حزبه، وحين يؤتي الله فرداً نعمة الرسالة فينزل عليه آياته، فعليه أن يتعهد بميثاق الله فيها، وهو الالتزام المطلق بها دون أن يترك شيئاً منها تحت ضغط الشهوات أو بسبب الإهمال.

أما إذا ترك جانباً من آيات ربه بعد أن استوعبها فإن الشيطان سوف يصبح قرينه وساء قريناً، ويكون مثله مثل الكلب كما علماء السوء والأحبار والرهبان وكل من أوتي علماً فتركه..[1].

٢ ـ من يجادل في الله بغير علم:

قال تعالى: ﴿**ومن الناس من يجادل في الله بغير علمٍ ويتبع كل شيطانٍ مريد**﴾[2] وقد مر الحديث عن هذا الموضوع في فصل مداخل الشيطان.

٣ ـ من يتولى أعداء الله:

قال تعالى: ﴿**ألم تر إلى الذين تولوا قوماً غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم. استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله، أولئك حزب الشيطان الا أن حزب الشيطان هم الخاسرون**﴾[3].

فهذه الفئة التي توالي أعداء الله، وأعداء الرسالة مع إظهارها البقاء على رابطة الدين كذباً وزوراً هذه الفئة تمثل حزب الشيطان وطابوره الخامس الذي يعمل في الخفاء ضد الرسالة والمؤمنين بها ولحساب الشيطان الخاص.

فعن النبي ﷺ: (النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق، وأهل بيتي أمان لأمتي من الإختلاف، فإذا خالفتها قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا حزب إبليس)[4].

---

(١) من هدى القرآن، ج٣.
(٢) سورة الحج.
(٣) سورة المجادلة، الآية: ١٩.
(٤) الصواعق المحرقة، ص ١٥٠.

٤ ـ من يعرض عن ذكر الله:

قال تعالى: ﴿**ومن يعش عن ذكر الرحمٰن نقيض له شيطاناً فهو له قرين**﴾[١].

هذه الفئة التي أفرغت قلبها من ذكر الله وغفلت عن ربها، لا بد أن تبحث عن ذكر آخر لتملأ به الفراغ العقائدي الذي خلفه الاعراض عن ذكر الله.

ولن تجد غير الشيطان الذي سيتربع على كرسي قلوبهم ويقودهم إلى الشر.

٥ ـ المبذرون:

قال تعالى: ﴿**إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين**﴾[٢].

وقد عرفنا شيئاً عن المبذرين وصفة التبذير فيما سبق.

٦ ـ الكافرون:

قال تعالى: ﴿**إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون**﴾[٣].

وورد في التفسير: بين ولاية الله وسلطان الشيطان: «ولكن ليس للشيطان سلطان على البشر لأن البشر يملك الإرادة والعقل والضمير ولكن الكفار يفقدون إرادتهم في مقاومة الشيطان، فيصبح وليهم بسوء إختيارهم»[٤].

٧ ـ الأفاك الأثيم:

قال تعالى: ﴿**هل أنبّؤكم على من تنزل الشيطان تنزل على كل أفاك أثيم**﴾[٥].

---

(١) سورة الزخرف، الآية: ٣٦.
(٢) سورة الإسراء، الآية: ٢٧.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ٢٧.
(٤) من هدى القرآن، ج٣.
(٥) سورة الشعراء، الآية: ٢٢١.

ـ الأفاك: الكذاب، وأصل الأفك، القلب. والأفاك: الكثير القلب للخير من جهة الصدق إلى جهة الكذب.

والأثيم: الفاعل للقبيح، يقال أنه يأثم إثماً إذا ارتكب القبيح[1].

ويبدو أن الأفاكين هم أئمة الكفر وقادة فئات الضلالة وهم الغاوون الذين يصفون العدل ولا يطبقونه، وهم بالتالي صانعو القرار في معسكر المستكبرين. إن مصدر أفكارهم أهواؤهم التي يعبدونها وانحرافهم وفسادهم، إنما هو بوعي منهم وسابق إصرار، والشياطين يوحون إلى هؤلاء لأنهم أولياؤهم.

جاء في الحديث المأثور عن الإمام الباقر عليه السلام: (إنه ليس من يوم وليلة إلا وجميع الجن والشياطين تزور أئمة الضلال، ويزور إمام الهدى عددهم من الملائكة).

ويدخل في هذه الفئة السادة والكبراء الذين يصدون عن سبيل الله حفاظاً منهم على مناصبهم وشخصياتهم ومصالحهم الذاتية.

فعن أمير المؤمنين عليه السلام: (فالحذر من طاعة سادتكم وكبرائكم اتخذهم إبليس مطايا ضلال، وجنداً بهم يصول على الناس، وتراجمة لينطق على ألسنتهم)[2].

ومن خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام يذم فيها اتباع الشيطان:

اتخذوا الشيطان لأمرهم ملاكاً، واتخذهم له إشراكاً، فباض وفرخ في صدورهم ودب ودرج في حجورهم، فنظر بأعينهم، ونطق بألسنتهم، فركب بهم الزلل، وزين لهم الخطل، فعل من قد شركه الشيطان في سلطانه، ونطق بالباطل على لسانه[3].

---

(١) مفردات القرآن في مجمع البيان.

(٢) من هدى القرآن.

(٣) ميزان الحكمة، مجلد ٥، ص ٨٧.

٨ ـ المنافقون:

وهم الذين يقومون بأخبث الأدوار في المجتمع الإسلامي. فينشرون السلبيات ويثبطون العزائم ويتواطؤون مع العدو ضد المؤمنين ويكونون ظهيراً عليهم. وهم مع ذلك يظهرون غير ما يبطنون.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام محذراً من هذه الفئة: .. قد أعدوا لكل حق باطلاً ولكل قائم مائلاً، ولكل حي قاتلاً، ولكل باب مفتاحاً، ولكل ليل مصباحاً، يتوصلون إلى الطمع باليأس ليقيموا به أسواقهم، وينفقوا به أعلاقهم، يقولون فيشبهون، ويصفون فيموهون، قد هونوا الطريق وأضلعوا المضيق، فهم لمة الشيطان، وحمة النيران.

﴿أولئك حزب الشيطان، الا أن حزب الشيطان هم الخاسرون﴾[1].

---

(١) نهج البلاغة، ص ٣٠٨.

الفصل الثالث عشر

ـ هل يمكننا مقاومة الشيطان؟

ـ بعد أن تعرفنا على لمحة عامة عن الشيطان تاريخه، وصفاته، ووسائله، وأتباعه يبقى لنا أن نتعرف على النقطة الخطيرة والمهمة في علاقتنا بالشيطان وهي كيفية مقاومة كيد الشيطان والتحصن ضدّه، والسؤال هنا هو: هل باستطاعتنا أن نقاوم الشيطان وأن نتحصن ضدّه؟

قد يظن البعض بأننا حين نتحدث عن أسلحة الشيطان وصفاته وإمكاناته في مواجهة البشر أن نتيجة الصراع بيننا وبين الشيطان محسومة سلفاً لصالحه.

إذن فلماذا التعب في البحث والتدليل على خطر هذا الصراع وما هي فائدة التهيؤ والإستعداد؟

كلّا فالقضية ليست محسومة مئة بالمئة لصالح الشيطان بل إن الإمكانات التي زوّد الله بها الإنسان قادرة على رد كيد الشيطان والإنتصار عليه، بشرط استخدامها وعدم إهمالها من قبل الإنسان.

ويتفاوت البشر في مقدار وعيهم لهذه الإمكانات التي زودوا بها.

ولا شك أن جميع البشر الواعين لخطر الشيطان يريدون النجاح والظفر في معركتهم الأصلية مع النفس والشيطان البعض ينجحون والأكثرية تفشل فلماذا ينجح هؤلاء ويفشل أولئك؟

وإذا نظرنا إلى تلك القوة الكامنة في البشر، وجدنا أنها تقسم البشر إلى ثلاثة أقسام واضحة:

أ ـ القسم الأول من الناس: من غفل عن الله سبحانه وتعالى بالتالي أسقط عن نفسه أعظم الأسلحة التي زوده الله بها ضد الشيطان فصار أسيراً له وبالتالي أصبح من أوليائه وهم غالبية البشر.

ب ـ القسم الثاني من الناس: من توجه إلى الله سبحانه وتعالى ولكنه قد يغفل أحياناً فيطمع الشيطان فيه وبسرعة يتدارك الأمر، فيرجع إلى الله، ويشهر السلاح ضد عدوه وهم أغلب المؤمنين.

ج ـ القسم الثالث من الناس: من ارتبط بالله سبحانه فاختاره الله لرسالته فعصمه من الشيطان وكيده، وهم الأنبياء والأوصياء عليهم السلام.

فقد جاء في الخبر: أن إبليس تمثل ليحيى بن زكريا عليه السلام فقال له: أنصحك فقال: لا أريد ذلك. ولكن أخبرني عن بني آدم. فقال: هم عندنا ثلاثة أصناف. صنف منهم أشد الأصناف عندنا، نقبل على أحدهم تفقه في دينه ونتمكن منه، فيفزع إلى الإستغفار والتوبة، فيفسد علينا كل شيء نصيبه منه، ثم نعود إليه فيعود إلى الإستغفار والتوبة، فلا نيأس منه ولا نحن ندرك منه حاجتنا فنحن معه في عناء، وصنف في أيدينا بمنزلة الكرة في أيدي صبيانكم نتلفقهم كيف شئنا قد كفينا مؤنة أنفسهم، وصنف منهم مثلك معصومون لا نقدر منهم على شيء[1].

وكلما زاد إيمان المؤمن ومعرفته ازداد ولع الشيطان في إيذائه وإضلاله لأنه يعتبر نجاحه في ذلك مكسباً عظيماً لا يعوض.

فعن زرارة قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام قوله: **﴿لأقعدن لهم صراطك المستقيم، ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين﴾**.

فقال أبو جعفر له: يا زرارة إنما قعد لك ولأصحابك فأما الآخرين فقد فرغ منهم[2].

---

(١) بحار الأنوار، ج٦٣، ص ٢٦٥.

(٢) ميزان الحكمة، ج٥، ص ٨١.

كما جاء في الحديث: إذا مات المؤمن خلى على جيرانه من الشياطين عدد ربيعة ومضى كانوا مشتغلين به.

بالإضافة إلى أن دور الشيطان في الواقع ليس الإجبار على الذنوب والإكراه على الإنحراف بل إن دوره يتلخص في الخداع والمكر، والحيلة وعلى الإنسان أن ينتبه فلا يدع للشيطان عليه سبيلاً.

﴿وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم﴾.

إن جذر التبريرات التي يلقيها الشيطان الرجيم في فؤاد الإنسان هو إشعاره بأنه مكره على أفعاله وأن قضاءً حتمياً يفرض عليه هذا العمل أو ذاك بتهويل الأشياء والأحداث والأشخاص عنده وتصغير نفسه أمامها وتحجيم دور الإرادة عنده مثلاً يقول له: إن تغيير مسيرة الأباء مستحيل، أو أن تغيير الأوضاع السياسية أو الاقتصادية أمر لا نقدر عليه، أو أن مخالفة هذا الطاغية وذلك المستكبر غير ممكنة أو يقول له: كيف تقوم الحطبة وقد عملت فيها السنون ما عملت، وكيف تغير الزمان وقد أفسده السلطان وماذا عسى أن تفعل؟

وفي يوم القيامة يعترف الشيطان بأنه كان خادعاً في قوله هذا وأنه لا حول ولا قوة له، فلا يغيث ولا يغاث[1].

عن المفضل بن عمر قال قلت لأبي عبدالله عليه السلام: جعلت فداك ما لإبليس من السلطان؟ قال: ما يوسوس في قلوب الناس[2].

ومع أن الشيطان قد توعد وهدد بإضلال البشر وبمختلف وسائله وإمكاناته ولكن يبقى سبيل النجاة مفتوحاً للإنسان ما دام مريداً ومتوجهاً لذلك.

فعن أبي جعفر عليه السلام قال: **﴿ثم لأتينهم من بين أيديهم﴾** معناه أهون عليهم أمر الآخرة.

﴿ومن خلفهم﴾ آمرهم بجمع الأموال والبخل بها عن الحقوق لتبقى

---

(١) من هدى القرآن.

(٢) ميزان الحكمة.

لورثتهم ﴿وعن أيمانهم﴾ أفسد عليهم أمر دينهم بتزيين الضلالة وتحسين الشبهة ﴿وعن شمائلهم﴾ بتحبيب اللذات إليهم وتغليب الشهوات على قلوبهم[1].

وجاء في الخبر: يروى أن الشيطان لما قال هذا الكلام رقت قلوب الملائكة على البشر فقالوا: يا إلهنا كيف يتخلص الإنسان من الشيطان مع كونه مستولياً عليه من هذه الجهات الأربع، فأوحى الله تعالى إليهم: أنه يبقى للإنسان جهتان: الفوق والتحت، فإذا رفع يديه إلى فوق في الدعاء على سبيل الخضوع ووضع جبهته على الأرض على سبيل الخشوع غفرت له ذنب سبعين سنة[2].

فإدامة ذكر الله واللجوء إليه يعينان العبد على مقاومة وساوس الشيطان بل ويمحو ما يخلفه عليه من أثار المعصية.

فعن رسول الله ﷺ: إن الشيطان قعد لإبن آدم بطريق الإسلام فقال له: تدع دين آبائك؟ فعصاه وأسلم. ثم قعد له بطريق الهجرة فقال له: تدع ديارك وتتغرب؟ فعصاه وهاجر. ثم قعد له بطريق الجهاد فقال له: تقاتل فتقتل فيقسم مالك وتنكح امرأتك؟ فعصاه فقاتل[3].

إذن فمهما كان عند الشيطان من وسائل وخطط فبالاستعانة بالله نستطيع الإنتصار عليه لأنه يستخدم كيده ضدنا وكيده ضعيف.

قال تعالى: ﴿إن كيد الشيطان كان ضعيفاً﴾[4].

وجاء في مواعظ الإمام الكاظم عليه السلام لهشام: فله فلتشتد عداوتك ولا يكونن أصبر على مجاهدتك لهلكتك منك على صبرك لمجاهدته، فإنه أضعف منك ركناً في قوته وأقل منك ضرراً في كثرة شره إذا اعتصمت بالله هديت إلى صراط مستقيم[5].

ويحدثنا التاريخ عن تاريخ الشيطان الأسود مع البشر عن الأعداد الهائلة من

---

(١) بحار الأنوار، ج٦٣.
(٢) بحار الأنوار، ج٦٣.
(٣) بحار الأنوار، ج٦٣.
(٤) سورة النساء، الآية: ٧٦.
(٥) المواعظ العددية.

ضحاياه والذين سقطوا في شراكه وحبائله ولا تزال المسيرة في تصاعد وتضاعف، ولكن الأمر ليس كذلك دائماً. فهناك من البشر من استطاع بإرادته وتذكره وخوفه من ربه سبحانه وتعالى أن يغير المعادلة التي صنعها الشيطان والتي تقول: بأن الغلبة هي دائماً للشيطان على الإنسان. وهذا يعني أن مقاومة الشيطان ووساوسه وتضليله هي أمر ممكن وليس بمستحيل وليس من الصحيح إذن أن نستسلم أو نضعف أمام إغواء الشيطان تحت أي مبرر بل علينا أن نقاوم ونجاهد ونثبت ونستعين بالله والنتيجة بلا شك هي في صالحنا.

الفصل الرابع عشر

ـ الإنتصار على الشيطان

عرفنا فيما سبق من فصول هذا البحث:

أولاً: أن الشيطان مع ما أوتي من إمكانات ومع ما لديه من مكر وحيلة ومع ما يكنه من عداء وضغينة للإنسان ولكنه يبقى ذلك المخلوق الضعيف المحتاج أمام قدرة الله سبحانه وسلطانه العظيم.

ثانياً: أن كل تلك القدرة عند الشيطان لم يكن لها الأثر والفعالية لولا إذن الله سبحانه وإرادته.

ثالثاً: إن هذه الإرادة الإلهية لنشاط الشيطان لم تكن إلا لحكمة بالغة وهدف دقيق حيث أنها تصب في الهدف العام لخلق الإنسان وغرض وجوده في هذا العالم وهو الابتلاء والإمتحان.

رابعاً: كما أن الشيطان يمثل أحد مخلوقات الله في هذا الكون والذي نال من فضل الله وجوده وكرمه ما إستطاع له أن يبقى ويستمر في الوجود، وكما استطاع به أن يمارس دوره الخبيث في الإضلال والإفساد. كذلك الإنسان أيضاً يمثل هو الآخر جزءاً من خلق الله بل يمثل الكائن والمخلوق المفضل والمدلل بين بقية المخلوقات الأخرى والذي أعطي من الإمكانات والمميزات ما يستطيع به الإستمرار في هذه الحياة وممارسة دوره الطبيعي كما أراده الله وقدره له. وقد ضمن له السلامة والأمن من جميع الأخطار والآفات في دار الدنيا والتي يمثل الشيطان أبرز مظاهرها. كما ضمن له السلامة والأمن في دار الآخرة طالما كان متبعاً لسنن الله وشرعه ومنهجه.

إذن فالإنسان يستطيع أن يقاوم الشيطان وينتصر عليه إذا ما سلك سبيل الله واتبع إرشاداته ونهجه.

وإذا ما وفر لديه بعض الشروط المهمة في صراعه معه فإنه يستطيع أن يضمن النجاح والإنتصار.

- شروط المواجهة وهي أربعة:

أولاً: الإلتزام بوصايا الله سبحانه في اعتبار الشيطان عدواً أصيلاً للبشر، وبالتالي التعامل معه كعدو لا يقبل الصلح والمهادنة مع الحذر والمراقبة لتحركاته وكيده والإستعداد لإعلان الحرب عليه كلما رام الاعتداء والهجوم.

﴿ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين﴾[1].

﴿إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً﴾[2].

﴿أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو﴾[3].

﴿يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة﴾[4].

ثانياً: الحذر من الوقوع في مصائده وفخوخه التي أعدها لاقتناص بني آدم والإحاطة بهم وقد أوجزناها في بحث وسائل الشيطان الذي قد مر علينا. فتجنب هذه المصائد يمكن للإنسان أن يسد المنافذ الخطرة التي يدخل منها الشيطان إليه.

ثالثاً: التزام وتطبيق الوسائل المضادة لكيده والمحددة لنشاطه والتي تتمثل في الوصايا القيمة التي قدمها أهل البيت عليهم السلام في هذا المجال وأهم هذه الوسائل ما يلي:

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٤٢.
(٢) سورة فاطر، الآية: ٦.
(٣) سورة الكهف، الآية: ٥٠.
(٤) سورة الأعراف، الآية: ٢٧.

١ ـ الإعتصام بالله، والإتكال عليه:

ـ والإعتصام هو الإمتناع: واعتصم بالله أي امتنع عن الشرك به، والعصمة من الله تعني الحفظ منه لعبده أيضاً.

فالمعتصم بالله من طلب منه المنعة والحفظ والحماية والله هو العاصم لعبده من كيد الشيطان ومكره، قال تعالى: **﴿فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه﴾**[١] وقال أيضاً: **﴿ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم﴾**[٢] وجاء فيما أوصى الله إلى داود:

(ما اعتصم بي أحد من عبادي، دون أحد من خلقي، عرفت ذلك من نيته، ثم تكيده السماوات والأرض ومن فيهن إلا جعلت له المخرج مما بينهن)[٣] والتوكل: هو إظهار العجز والإعتماد على الغير والتوكل على الله هو تفويض الأمر إليه والثقة بحسن تدبيره[٤].

والمؤمن حينما يتوكل على الله فإنه يفوض أمر حمايته وحراسته من الشيطان وجنوده إلى خالقه. **﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾**[٥] ويقول تعالى: **﴿إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون﴾**[٦].

٢ ـ ذكر الله:

ـ والذكر: هو الحفظ للشيء بذكره وضده النسيان[٧]. فأما المؤمن حينما يكون الله حاضراً في قلبه، وذكره على لسانه فلا مجال لدخول الشيطان ووسوسته في قلبه وبالتالي يتعذر عليه إضلاله وإغواؤه. **﴿ألا بذكر الله تطمئن**

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٧٥.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٠١.
(٣) كلمة الله، ص ١٨٠.
(٤) مفردات القرآن في مجمع البيان، ص ٤٢٣.
(٥) سورة الطلاق، الآية: ٣.
(٦) سورة النحل، الآية: ٩٩.
(٧) مفردات القرآن في مجمع البيان.

القلوب﴾[1]. ﴿فاذكروني أذكركم﴾[2]. وجاء في الحديث القدسي: «أنا مع عبدي ما ذكرني، وتركت بي شفاه»[3]. وجاء في الحديث القدسي: «أيما عبد اطلعت على قلبه، فوجدت الغالب عليه التمسك بذكري، توليت سياسته، وكنت جليسه ومحادثه وأنيسه»[4].

٣ ـ المواساة للإخوان في الله:

والمواساة هي المؤازرة والعون. ومن واسى إخوانه في الله فقد قوى جانب الجماعة والوحدة في المجتمع وقطع الطريق على الشيطان لبث الفرقة والخلاف والشقاق.

٤ ـ عدم الجزع عند المصيبة:

والجزع: هو إظهار قلة الصبر وعدم احتساب المصيبة، والجزع يفتح على الإنسان طرقاً لدخول الشيطان إليه عبر السخط لقضاء الله، والتلفظ بما لا يرضي الله والتصرف بخلاف ما أمر الله.

فقد جاء في الحديث: عن أمير المؤمنين عليه السلام: «من جزع فنفسه عذّب، وأمر الله سبحانه أضاع وثوابه»[5].

٥ ـ الرضا بما قسم الله:

فالرضا عكس السخط والإنسان الراضي بما قسم الله له يكون دائم الطمأنينة وسكينة النفس، لا يسمح للشيطان بالتسلل إليه عبر تغير الأحوال وتقلب الظروف.

---

(١) سورة الرعد، الآية: ٢٨.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٥٢.
(٣) كلمة الله، ص ١٥٢.
(٤) كلمة الله، ص ١٥٢.
(٥) ميزان الحكمة، ج٢، ص ٣٠.

وجاء في الحديث القدسي: (عبدي المؤمن لا أصرفه في شيء إلا جعلته خيراً له فليرض بقضائي، وليصبر على بلائي، وليشكر نعمائي اكتبه ـ يا محمد ـ من الصديقين عندي)[1].

ويلخص ما سبق الحديث الشريف التالي: قال إبليس: خمسة ليس لي منهن حيلة وسائر الناس في قبضتي: من اعتصم بالله عن نية صادقة واتكل عليه في جميع أموره، ومن كثر تسبيحه في ليله ونهاره، ومن رضي لأخيه المؤمن ما يرضاه لنفسه، ومن لم يجزع على المصيبة حين تصيبه ومن رضي بما قسم الله له ولم يهتم لرزقه[2].

٦ ـ الخوف من الله:

عن النبي ﷺ: «تحرز من إبليس بالخوف الصادق»[3].

فبالخوف الصادق من الله سبحانه نجتنب معاصيه، ونسلك سبل طاعته، ونرغب في مرضاته وبذلك تحصل لدينا حالة المراقبة لله سبحانه في جميع ما نقدم عليه من سلوك ولا نعطي الشيطان الفرصة لإغوائنا أو أن يطمع نفسه في طاعتنا له واتباعنا لخطواته.

فعن أمير المؤمنين عليه السلام: الخوف سجن النفس من الذنوب ورادعها عن المعاصي[4].

٧ ـ إدامة الدعاء:

فعن النبي ﷺ: أكثر الدعاء تسلم من سورة إبليس.

فبالدعاء يكون التعلق والإرتباط بالله دائماً وكلما كان الإنسان داعياً صار

(١) كلمة الله، ص ٤٥.
(٢) ميزان الحكمة.
(٣) ميزان الحكمة.
(٤) ميزان الحكمة، ج٣، ص ١٨٣.

قريباً من الله السميع المجيب لدعوته يعينه إذا استعانه ويغيثه إذا استغاثه.

٨ ـ تلاوة القرآن:

يجد تالي القرآن بين دفتيه ما يعطيه البصيرة والعبرة من خلال وصايا الله، وتحذيراته وأوامره ونواهيه وذلك يجعل الإنسان قادراً على التمييز بين الحق والباطل متحصناً ضد خطوات الشيطان وخدعه. لا سيما إذا افتتح تلاوته للقرآن بالإستعاذة من الشيطان الرجيم علاوة على ما يكتنف تالي القرآن من أنوار القرآن المضيئة للروح فقد جاء في الدعاء المأثور:

(واجعل القرآن لنا في ظلم الليالي مؤنساً ومن نزغات الشيطان وخطرات الوساوس حارساً)[١].

٩ ـ المحافظة على الصلوات:

ففي الحديث: لا يزال الشيطان يرعب من بني آدم ما حافظ على الصلوات الخمس فإن أضاعهن تجرأ عليه، وأوقعه في العظائم.

كما ورد في حديث آخر:

(الصلاة حصن من سطوات الشيطان)[٢].

ما دامت الصلوات عمود الدين معيار قبول العمل. لما فيها من مضامين جليلة في تربية الإنسان وتزكيته وإعداده لمقام العبودية لله سبحانه فقبولها يعني وصول الإنسان لهذه المضامين وردها يعني فشل الإنسان الذريع في الوصول. وبمقدار ما يراعي الإنسان صلاته ويهتم بأدائها الأداء الكامل بمقدار ما يجني ثمار الصلاة والعكس حينما يهمل صلاته ويستخف بها. وأول ما يجنيه المستخف بصلاته هجوم الشيطان عليه والشروع في استدراجه الى الباطل فالصلاة إذن سلاح للمؤمن يحارب به الشيطان ولذا سمي محراب الصلاة بهذا

---

(١) الصحيفة السجادية.

(٢) كلمة الله، ص ٣٧٥.

الإسم لأنه موقع متقدم لمحاربة الشيطان.

١٠ ـ الصوم:

يمثل الصوم صمام أمان لدى الإنسان في مقاومة الأهواء والشهوات لأنه يقوي الإرادة، وكلما ازدادت إرادة الإنسان قوة كلما كان قادراً على تحدي عوامل الضعف المختلفة في نفسه، والتي قد يستغلها الشيطان للإيقاع به كما أن الصوم يزيد في التقوى ويورث الإنسان صفاءً ذهنياً ويسهل عليه التفكير والتأمل ويوصله إلى الحكمة. جاء في الحديث القدسي:

(الصوم يورث الحكمة والحكمة تورث المعرفة والمعرفة تورث اليقين) ويتوفر في صوم شهر رمضان من العطاءات ما لا يتوفر في الصيام المستحب في غيره من الشهور. فإضافة على ما سبق فإن فرصة محاربة الشيطان منه تكون أقوى وأشد أثراً حيث أن الشيطان يكون في أضعف حالاته وأقلها نشاطاً على المؤمنين.

كما جاء في الحديث عن النبي ﷺ: «إذا استهل رمضان غلقت أبواب النيران وفتحت أبواب الجنان، وصفدت الشياطين، فأسألوا ربكم أن لا يغلقها عليكم وأبواب النيران مغلقة فأسألوا ربكم أن لا يفتحها عليكم والشياطين مغلولة فأسألوا ربكم أن لا يسلطها عليكم» (مفاتيح الجنان).

١١ ـ الصدقة:

فالصدقة زكاة للمال والنفس، وتكاتف بين أفراد المجتمع. تزيد المودة والتحابب بينهم. والصدقة تقصم ظهر الشيطان.

١٢ ـ الحب في الله:

الحب في الله يختلف عن مطلق الحب لأنه حب خالص صاف من الشوائب والكدورات النفسية والمصالح الشخصية، فهو قوي ثابت لا يتزلزل يمكن أن

نبني عليه مختلف أنواع العلاقات وننطلق على أساسه في مختلف السبل والأعمال الصالحة.

١٣ ـ التعاون على العمل الصالح:

فالتعاون يجعل العمل سهلاً يسيراً مهما كانت الصعوبات التي تكتنفه فيد الله مع الجماعة علاوة على ما فيه من التشجيع على العمل والروح الجماعية المنتجة.

١٤ ـ الاستغفار:

من أعطي الإستغفار لم يحرم التوبة كما جاء في الحديث الشريف فالاستغفار ضمانة دائمة لكنس الذنوب والحجب النفسية والروحية. ومهما كانت جهود الشيطان كبيرة لإسقاط الإنسان في الذنوب، ومهما كانت الذنوب كثيرة فلا تقدر أن تمنع تأثير سلاح الإستغفار متى ما أدمنه الإنسان وجاء به على الوجه الصحيح.

فعن أبي عبدالله عليه السلام عن آبائه عليهم السلام أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لأصحابه: ألا أخبركم بشيء إن فعلتموه تباعد الشيطان منكم كما تباعد المشرق من المغرب؟

قالوا: بلى. قال: الصوم يسود وجهه والصدقة تكسر ظهره، والحب في الله والمؤازرة على العمل الصالح يقطع دابره والإستغفار يقطع وتينه.

فإذا ما طبق الإنسان هذه الأعمال فهل سيجرؤ الشيطان على الدنو منه؟

١٥ ـ قول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم والصلاة على محمدٍ وآله الطاهرين:

فعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ألا فاذكروا يا أمة محمد محمداً وآله عند نوائبكم وشدائدكم لينصر الله بهم ملائكتكم على الشياطين الذين يقصدونكم فإن كل

واحد منكم معه ملك عن يمينه يكتب حسناته وملك عن يساره يكتب سيئاته ومعه شيطانان من عند إبليس يغويانه فإذا وسوس في قلبه ذكر الله وقال: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله على محمد وآله حبس الشيطانان.

ثم قال رسول الله ﷺ: فإن أردتم أن تديموا على إبليس سخنة عينه وألم جراحاته، فداوموا على طاعة الله، وذكره، والصلاة على محمد وآله وإن زلتم عن ذلك كنتم أسراءه فيركب أقفيتكم بعض مردته[1].

١٦ ـ التمسك بولاية محمد وآل محمد ﷺ:

فعن حماد بن عيسى رفعه إلى أبي عبدالله عليه السلام قال: سألته عن قول الله ﴿**إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون**﴾ قال: ليس له أن يزيلهم عن الولاية فأما الذنوب وأشباه ذلك فإنه ينال منهم كما ينال من غيرهم.

فالموالي لآل بيت النبي ﷺ والمتمسك بحبلهم المتين والمقتدي بنهجهم المبين في حصن حصين من الانحرافات الكبرى والتيارات الجارفة التي تتقاذف البشر ذات اليمين وذات الشمال كالكفر والإلحاد ومعاداة أولياء الله وموالاة أعداء الله وغيرها من الأمور التي تحبط العمل.

فعن أبي عبدالله عليه السلام في قوله تعالى: «إن عبادي ليس لك عليهم سلطان» قال: ليس له على هذه العصابة خاصة سلطان. قال: قلت كيف جعلت فداك وفيهم ما فيهم؟

قال: ليس حيث تذهب إنما قوله (ليس لك عليهم سلطان) أن يحبب إليهم الكفر ويبغض إليهم الإيمان.

١٧ ـ طلب العلم:

حينما جعل الإسلام طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة فلأنه أراد أن يطرد الجهل وهو أحد أسلحة إبليس الكبرى ـ من أوساط المسلمين وينشر

---

(١) الإنسان والشيطان، ص ١٩١.

الوعي والبصيرة بينهم فكلما كان الجهل معشعشاً في الأمة كان مجال الشيطان أكبر للتحرك والنشاط والعكس صحيح فحينما ينتشر الوعي والثقافة الإسلامية بين المسلمين فإن المجال أمام الشيطان سيكون أصعب والطريق أضيق في إضلالهم ولذلك برز دور العلماء والفقهاء كأسلحة مضادة لتحركات الشيطان وحصون منيعة أمام كيده وخططه الخبيثة فصاروا بحق أشد الخلق عليه، وأقواهم في الصمود له. فعن الإمام السجاد والإمام الباقر عليه السلام: «متفقه في الدين أشد على الشيطان من عبادة ألف عابد»[١].

١٨ ـ التواضع:

ـ الشيطان متكبر ويدعو اتباعه إلى التكبر وينفخ في الإنسان الكبر فيوقعه في العظائم. جاء في الحديث: اتخذوا التواضع مسلحة بينكم وبين عدوكم إبليس وجنوده فإن له من كل أمة جنوداً وأعواناً ورجالاً وفرساناً[٢].

فبالتواضع يستطيع الإنسان أن يحبط عمل الشيطان ويرد كيده ويكون التواضع عوناً له على طاعة الله وعلى الإرتباط بعباد الله. ونيل الشرف والرفعة دنياً وآخرة.

ففي الحديث: من تواضع قلبه لله لم يسأم بدنه من طاعة الله[٣].

كما ورد في الحديث: أن الله تعالى أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد[٤]. وجاء في الحديث: التواضع ينشر الفضيلة، والتكبر يظهر الرذيلة[٥].

---

(١) شورى الفقهاء، ص ٨.
(٢) نهج البلاغة.
(٣) ميزان الحكمة، ج١٠.
(٤) ميزان الحكمة، ج١٠.
(٥) ميزان الحكمة، ج١٠.

١٩ ـ كثرة السجود لله سبحانه:

ـ في السجود تعبير صادق عن تواضع العبد لربه وخضوعه له. وأقرب ما يكون العبد إلى ربه وهو ساجد، كما في الحديث. ولما كانت عقدة إبليس الكبرى هي السجود لآدم بأمر الله سبحانه. فهو يكره صفة السجود، ويزداد حسرة ولوعة كلما رأى العبد ساجداً خاضعاً لله. هذا من جهة ومن جهة أخرى فالسجود يقرب العبد من ربه وهو ما لا يريده الشيطان وهل جهده وسعيه إلا لفصل العبد عن ربه وإحاطته بالغفلة والهجران لكل ما يتصل بالله ويصب في مرضاته.

فعن أبي عبدالله عليه السلام: إن العبد إذا سجد فأطال السجود نادى إبليس: يا ويله أطاع وعصيت وسجد وأبيت.

وجاء في الحديث (إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي ويقول يا ويله).

ولعل التركيز هنا على السجود وإطالته وخصوصاً أثناء أداء الصلاة فيه إشارة إلى ضرورة الخشوع وإظهار الخشوع أثناء السجود لله ولا يتأتى ذلك في السجود السريع بل في السجود الطويل وقد يكون المقصود بطول السجود كثرته والمداومة عليه عند تجدد النعم وزوال النقم وغيرها من المناسبات كما كان يفعل أهل البيت عليهم السلام.

فعن الإمام الباقر عليه السلام: إن أبي علي بن الحسين ما ذكر لله عز وجل نعمة عليه إلا سجد ولا قرأ آية من كتاب الله عز وجل فيها سجود إلا سجد ولا فرغ من صلاة مفروضة إلا سجد ولا وفق لإصلاح بين إثنين إلا سجد وكان أثر السجود في جميع مواضع سجوده فسمي السجاد لذلك.

٢١ ـ الصمت إلا عن خير:

اللسان سلاح ذو حدين فهو قابل لأن يكون أداة لنشر الخير والفضيلة وهو قابل أيضاً لأن يكون أداة لنشر الشر والرذيلة والشيطان يستغل سقطات اللسان

وفلتاته لبحث الفرقة بين الناس ويستفيد من اللسان أيضاً في نشر الضلالة والإنحراف.

فعن النبي ﷺ: ليردك عن الناس ما تعرف من نفسك واخزن لسانك إلا من خير فإنك بذلك تغلب الشيطان[1].

كما جاء في الحديث: لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله تقسّي القلب إن أبعد الناس من الله القلب القاسي[2].

وقال داود لسليمان عليه السلام: يا بني عليك بطول الصمت إلا من خير فإن الندامة على طول الصمت مرة واحدة خير من الندامة على كثرة الكلام مرات يا بني لو أن الكلام كان فضة فينبغي للصمت أن يكون من ذهب[3].

٢٢ ـ الزواج المبكر:

ويمثل الزواج المبكر حصانة مثالية للشاب والشابة عن الانحراف الخلقي في أخطر مرحلة من مراحل حياتهم النفسية والجسمية وأكثرها حساسية على بنائهم النفسي والديني والتربوي وهي مرحلة المراهقة لا سيما إذا انعدمت الأجواء التربوية والدينية المحصنة.

ولا نبالغ إذا قلنا بأن الشيطان يستثمر هذه الفترة ويجد فيها فرصته الذهبية أكثر مما يجد في غيرها من المراحل لأنها تكون القاعدة الأساسية لما يأتي بعدها إن خيراً أو شراً وليس عجباً أن يكون شرار الأحياء وشرار الأموات من العذاب لما تمثله مرحلة العزوبة من الإضطراب والقلق وعدم الإستقرار النفسي كما ورد في الحديث الشريف: شراركم عزابكم وأراذل موتاكم عزابكم.

ونرى مصداق ذلك واضحاً في سهولة تحريض الشيطان للشباب العازب

(١) الإنسان والشيطان، ص ١٩٤.
(٢) الإنسان والشيطان، ص ١٩٤.
(٣) الإنسان والشيطان، ص ١٩٤.

على الوقوع في الرذيلة وممارسة الفحشاء وخاصة إذا توفرت الأجواء المساعدة لذلك من ضعف في التربية وقلة الرقابة من قبل الوالدين وفتح أبواب الرذيلة المختلفة كما يحصل اليوم في أغلب بقاع العالم.

ولذا فإن الزواج المبكر سيكون سلاحاً فعالاً لمقاومة أمواج الفساد، وإنتشار الفاحشة وبالتالي نظافة أجواء المجتمع.

فعن النبي ﷺ في بيان أن الزواج المبكر للشاب المسلم يساهم في قطع طريق الشيطان إليه: (ما من شاب تزوج في حداثة سنه إلاّ عج شيطانه، يا ويله يا ويله عصم مني ثلثا دينه ثم يعقب النبي ﷺ قائلاً: فليتق الله العبد في الثلث الباقي) وإذا تأملنا في هذا الحديث الشريف لرأينا فيه تأكيداً قاطعاً من النبي ﷺ لشباب أمته على الزواج المبكر وفي حداثة سنهم ليأمنوا الوقوع في محاذير فترة المراهقة حيث القلق والبلبلة الذهنية وحيث فورة الغرائز. ولكن ويا للأسف فإن القليل من الناس من يعي هذه النصيحة النبوية القيمة، بل إن الواقع عكس ذلك تماماً فلا يتزوج الشاب اليوم إلا بعد أن يمر بكثير من المنزلقات النفسية والخلقية غالباً وهذا بسبب العراقيل التي وضعت أمام الزواج. والفتاة تمرّ أيضاً بنفس الظروف ولو أن وضع الفتاة أكثر خطورة من الشاب. ولذا أكد الشرع المقدس على تزويج الفتاة في سن مبكر جداً حفاظاً عليها من الانحراف وحفظاً لحقها في الزواج قبل فوات فرصتها. فقد جاء في الحديث القدسي: إن الإبكار بمنزلة الثمر على الشجر، إذا أدرك ثمارها فلم يجتن أفسدته الشمس ونثرته الرياح، فكذلك الإبكار إذا أدركن ما يدرك النساء فليس لهن إلا البعولة وإلا لم يؤمن عليهن الفساد لأنهن بشر.

٢٣ ـ الزهد:

ـ الزهد أحد الحصون المنيعة ضد كيد الشيطان والبلسم الناجع ضد جميع مغريات الحياة الدنيا والتي يستخدمها الشيطان عادة في إضلال البشر.

جاء في الحديث الشريف: الزهد في الدنيا قصر الأمل وشكر كل نعمة

والورع عن كل ما حرم الله[1].

فإرادة الزاهد فولاذية تقاوم تقلبات الحياة وتحصن نفسه من الإهتزاز والهزيمة والضعف. لذلك فقد أكد الإسلام على تربية هذه الصفة في النفس، بعد أن بين معنى الزهد الواقعي والحقيقي. فليس الزهد هو ترك الدنيا بل الزهد هو عدم عبادة الدنيا بل جعلها طريقاً إلى رضوان الله وعدم صيرورتها مزرعة للشيطان.

ورد في الدعاء: وعمرني ما كان عمري بذلة في طاعتك فإذا كان عمري مرتعاً للشيطان فاقبضني إليك قبل أن يسبق مقتك إليّ أو يستحكم غضبك عليّ[2].

٢٤ ـ المداومة على حضور مجالس الوعظ:

جاء في الحديث: المواعظ حياة القلوب[3].

وجاء أيضاً: بالمواعظ تنجلي الغفلة[4].

من العادات الحسنة التي سنها الإسلام مجالس الوعظ، فالإنسان يحتاج في مسيرته الحياتية إلى التذكير دائماً فقد يغفل وقد ينسى، فيأتي الواعظ فيذكره ويرجعه إلى الصراط السويّ. وما أحوجنا اليوم إلى هذه المجالس والإكثار منها لأن الغفلة قد عمت ولأن القلوب قد ماتت وعمت عن هداها وأصبح الشيطان مسيطراً فهو ينمو ويترعرع في مثل هذه الأجواء الموبوءة. ولقد كان المسلمون في العصر الأول للإسلام يتواصون فيما بينهم ويطلبون الموعظة ويسعون إليها ويتقبلونها بصدر رحب ونفسٍ راضية قدوتهم في ذلك رسول الله ﷺ الذي طالما كان يسأل من جبرائيل عليه السلام الموعظة بقوله ﷺ: عظني يا أخي جبرائيل.

---

(١) ميزان الحكمة، ج٤، ص ٢٥١.

(٢) الصحيفة السجادية.

(٣) ميزان الحكمة، ج١٠، ص ٥٣٩.

(٤) ميزان الحكمة، ج١٠، ص ٥٣٩.

كما ذكر في بعض التفاسير: أن الفضيل بن عياض كان قد قضى فترة من حياته في الطغيان والعصيان حتى سمع في أحد الليالي وهو يتعقب إحدى القوافل من أجل سرقتها تلاوة من آي الذكر الحكيم ومنها هذه الآية الشريفة: **﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله﴾**. فإذا بقلبه يصحو وقد أثرت فيه هذه الآية الشريفة تأثيراً كبيراً فقال: بلى والله ثم رجع وقد تاب توبة نصوحاً وأدى ما عليه من الحقوق الشرعية وأرضى كل من كان له حق عليه وأصبح من أخيار زمانه[1].

ولا بد من القول بأن الشخص الذي لا تسمح له الظروف بسماع المواعظ أو لا يتصل بأشخاص وعاظ ومرشدين فإنه يجب عليه أن يستفيد من قراءة كتب الوعظ والإرشاد والقرآن الكريم على رأس تلك الكتب، وأن يدقق ويتدبر جيداً في معاني الآيات الشريفة، ثم قراءة نهج البلاغة وشرحه وخطب أمير المؤمنين عليه السلام البليغة حيث أنها ترجمة وشرح للآيات القرآنية الشريفة ثم عليه أيضاً ببعض الكتب الأخلاقية مثل (معراج السعادة) و(جامع السعادات) للنراقي وغيرها من الكتب. . .

إن الموعظة تفضح النفس الأمارة والشيطان وتنقذها من الشر وتبعدها عن الوساوس والاضطرابات وتؤمن لها الهدوء وكثيراً ما كان لدى العديد من الناس وبسبب الوسواس الخناس، والخيالات الشيطانية استعداداً للإنتحار، ولكن ونتيجة للموعظة والإرشاد هدأ بالهم واستقرت سريرتهم وهدأت أنفسهم وتركوا الانتحار[2].

وهنا يأتي دور العلماء المخلصين العاملين، فدور التذكير والوعظ والإرشاد من أخطر الأدوار وأكثرها فعالية في المحافظة على التزام الناس بالدين والحماية لهم من الإنحراف عن الطريق المستقيم وتحصينهم ضد خطط الشيطان وجنوده المترصدين فعن الإمام الصادق عليه السلام: (علماء شيعتنا مرابطون بالثغر الذي يلي إبليس وعفاريته يمنعونهم عن الخروج على ضعفاء شيعتنا ومن أن

---

(١) القصص العجيبة، ص ٧٩.

(٢) القصص العجيبة، ص ٨٠.

يسلط عليهم إبليس وشيعته النواصب، إلا فمن انتصب لذلك من شيعتنا كان أفضل ممن جاهد الروم والترك والخزر ألف ألف مرة لأنه يدفع عن أديان محبينا وذلك يدفع عن أبدانهم[1].

٢٥ ـ أطعمة لها أثر في دفع وسوسة الشيطان:

أ ـ الرمّان:

ـ فعن النبي ﷺ: كلوا الرمان فليست منه حبة تقع في المعدة إلا أنارت القلب وأخرست الشيطان أربعين يوماً.

وفي رواية: ونفت عنه وسوسة الشيطان[2].

ب ـ التمر:

عن النبي ﷺ: مع كل تمرة حسنة، ويرضى الرب ويسخط الشيطان[3].

وعن النبي ﷺ: إن جبرائيل عليه السلام عد له من خصال التمر: أنه يحيل الشيطان ويقرب من الله عز وجل، ويباعد من الشيطان[4].

ج ـ السفرجل:

عن النبي ﷺ: إن من أكله على الريق صفا ذهنه، وامتلأ جوفه حلماً وعلماً ووقي من كيد إبليس وجنوده[5].

ولا يغيب عن أذهاننا أن هذه الفوائد لا يحصل عليها إلا من كان قلبه مؤمناً مهيئاً لتلقي تلك الآثار الرحمانية.

---

(١) القصص العجيبة، ص ٨٠.
(٢) دار السلام، ج٤، ص ٥٠.
(٣) دار السلام، ص ٢١٧.
(٤) دار السلام، ص ٢١٦.
(٥) دار السلام، ص ٢١٨.

٢٦ ـ الوضوء سلاح فعال:

ـ من المستحبات المؤكدة بقاء المؤمن على طهارة دائماً، يجدد الوضوء بعد كل حدث إذ أن الوضوء ذو أثر فعال على روحية الإنسان المؤمن.

قد ورد عن رسول الله ﷺ: «الوضوء سلاح المؤمن» فيجب أن يكون حاله في مقابل الشياطين كمن يقف أمام العدو وجهاً لوجه يعني يجب أن يكون على وضوء دائماً ولذلك يستحب أن يكون الإنسان متطهراً في كل وقت. والأكثر من ذلك يستحب تجديد الوضوء حتى لو لم يبطل وضوءه «الوضوء نور، والوضوء على الوضوء نور على نور» فهو النور في مقابل الظلمة[١].

٢٧ ـ الأذان لطرد الشيطان:

ـ فعن رسول الله ﷺ: «إذا تغولت بكم الغيلان فأذنوا بأذان الصلاة»[٢].

كما ورد في الحديث لدفع الشيطان عن المنزل: أذن في بيتك فإنه يطرد الشيطان ويستحب من أجل الصبيان[٣].

٢٨ ـ الدواجن لأشغال الشيطان:

ـ فعن رسول الله ﷺ: أكثروا من الدواجن في بيوتكم تتشاغل بها الشياطين عن صبيانكم[٤].

رابعاً: شهر سلاح الإستعاذة في وجه الشيطان:

ـ الإستعاذة: الاستجارة: فمعناها: أستجير بالله من دون غيره. وقد أكدت

---

(١) الإستعاذة، ص ٥٠.
(٢) بحار الأنوار، ج٦٣، ص ٢٦٨.
(٣) بحار الأنوار، ج٦٣، ص ٢٦٨.
(٤) بحار الأنوار، ج٦٣، ص ٢٠٦.

الآيات الكريمة على الالتزام بالإستعاذة بالله سبحانه من الشيطان وكيده. وبذلك أثبتت بعدين مهمين في حياة البشر هما:

١ ـ حقيقة وجود الشيطان الفعلي في حياتنا الإنسانية ووجود نشاطه الخبيث ضد البشرية وعدائه المتأصل لهم.

٢ ـ حاجة البشر الماسة إلى سلاح إلهي قوي وحاسم لمواجهة الشيطان وكيده يتقلده الإنسان أينما كان وفي مختلف ظروفه الحياتية.

وهذا السلاح يختلف عن الأسلحة المألوفة فهو سلاح ملائم لمحاربة هذا المخلوق الغريب الذي يتمتع بإمكانات مدهشة لا يدركها البشر ولا يتمكنون من مواجهتها بدون المدد الإلهي فالإستعاذة إذن هي هدية الخالق الرحيم لعباده الضعفاء ومدد إلهي لحمايتهم ونصرتهم من هجمات الشيطان وجنده فقد قال تعالى: ﴿**وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم**﴾[(١)].

كما أوصى الله الإنسان المستهدف من الشيطان بقوله: ﴿**وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون**﴾[(٢)].

وكان الرسول الأعظم ﷺ مشمولاً بهذه الوصية والأمر بالإستعاذة مع ما للرسول ﷺ من مقام وعصمة وتأييد من الله سبحانه.

وكان الأوصياء والأولياء ملتزمون أيضاً بها لما عرفوا من خطر الشيطان عليهم وعلى ذرياتهم. فكانوا يتعوذون بالله منه ويعوذون ذرياتهم فهذه أم مريم بنت عمران تعوذ ابنتها وهي للتو جنين في بطنها حين دعت ربها وقالت: ﴿**وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم**﴾[(٣)].

ولعلنا نتساءل: كيف يكون لهذه الكلمات الموجزة هذا الأثر الفعال والنتيجة الحاسمة والجواب: إن هذه الكلمات ليست من وضع البشر بل هي كلمات قدسية صدرت عن رب العالمين. فهو الذي أمر بها بعد أن قدر فيها هذا

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٠.

(٢) سورة المؤمنون، الآية: ٩٧.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٣٦.

الأثر وهذه النتيجة فصانع الشيء أدرى بخواصه فهو صانع الإنسان وصانع الشيطان فهو أدرى بخواص كل منهما ومهيمن عليها.

ومما نقل عن بعض السلف في تربية تلميذ له وتقريب معنى الإستعاذة من ذهنه ـ أنه قال لتلميذه: ما تصنع بالشيطان إذا سوّل لك الخطايا؟

قال: أجاهده.

قال: فإن عاد.

قال: أجاهده.

قال: فإن عاد.

قال: أجاهده.

قال: هذا يطول. أرأيت إن مررت بغنم فنبحك كلبها أو منعك من العبور ما تصنع؟

قال: أكابده وأرده جهدي.

قال: هذا يطول عليك. ولكن استعن بصاحب الغنم يكفه عنك.

شروط الاستعاذة:

ـ عندما يقول القرآن الكريم ﴿**فاستعذ بالله**﴾ فإنه يريد حقيقته. واللازم له أمران:

أحدهما: الفرار من الشيطان. والآخر هو اللجوء إلى الرحمن فلو حصل هذان الأمران فعند ذلك فقط تكون الاستعاذة.

وليست هي قول: «أعوذ بالله»[1].

إذن لا يمكن لهذه الحروف والكلمات المتمثلة في الإستعاذة أن تؤتي ثمارها وتعطي النتيجة المرجوة منها إلا بشروط يجب توفرها فيها وهنا يكمن سر قوتها وفعاليتها وأهم هذه الشروط ما يلي:

---

(١) الاستعاذة، ص ٣٧.

أ ـ التقوى:

أهم شروط الاستعاذة وأقواها تأثيراً. فالإنسان الذي يمتلك التقوى إذا ما استعاذ من الشيطان فلإحساسه الصادق بخطورته، ولخوفه الحقيقي على نفسه من مكره، وحينما يعوذ بالله منه فإنه يلجأ بصدق وإخلاص كاملين إليه سبحانه مع اعتقاده الفعلي بأن لا ملجأ ولا منجى له من الشيطان إلا إلى الله سبحانه وتعالى بعكس من لا يمتلك التقوى فإنه لا يمتلك ذلك الإحساس الصادق ولا الخوف الحقيقي على نفسه من الشيطان، وهل يمكن أن يتحقق ذلك لمن سلم نفسه إلى الشيطان. فهو بالتالي لن يتوجه بصدق وإخلاص إلى الله في استعاذته.

واعلم أن إبليس مع التقي والمخلط ـ غير المتقي ـ كرجل جالس بين يديه طعام فمر به كلب، فقال له: أخسأ فذهب. فمر بآخر بين يديه طعام ولحم، فكلما أخسأه ـ طرده ـ لم يبرح فالأول مثل المتقي يمر به الشيطان فيكفيه في طرده الذكر والثاني: مثل المخلط لا يفارقه الشيطان لمكان تخليطه[1].

وجاء في التفسير: الذين تكرست في أنفسهم ملكة الالتزام بالتعاليم الإلهية وأصبح الدين بالنسبة إليهم عادة بسبب المزيد من العمل فإنهم إذا انزلقوا بسبب ضغط الشهوات، فإنهم سرعان ما يتذكرون، ويلتزمون بالواجبات مرة ثانية.

وحين يعودون إلى الله ترتفع عن أنفسهم غشاوة الشهوات فيبصرون حقيقة الذنب فيجتنبونه[2].

فالقلب الذي لا يمتلك التقوى لا يستفيد من الإستعاذة لأنه صار موطناً وبيتاً للشيطان وتكون الاستعاذة منه حروفاً مجردة بلا معاني.

ب ـ التذكر:

ـ وهو حضور الذهن والالتفات إلى خطر الشيطان وعدائه ومكره. فالإنسان الذي يتذكر هذه الأمور ويتصور دائماً «تاريخ الشيطان المليء بالشر

---

(١) تلبيس إبليس، ص ٣٧.

(٢) دار السلام، ج٤، ص ٢٢٥.

والفساد، فإنه سيضع في حسابه أمر مواجهته وبالتالي فلن يستسلم له بسبب الغفلة والسهو عنه بأي حال من الأحوال.

وإذا تأمل المتقي في عواقب دعواته وفظائع دلالاته السابقة والحاضرة واللاحقة وتذكرها تنفَّر عنه وعن أوامره وخطواته تنضَّر العدو الضعيف من عدوه القاهر المتجاهر ويهرب بطبعه من كل ما احتمل انتسابه إلى هذا الغادر[1].

ويقول تعالى: ﴿**إن الذين اتقوا إذا مسَّهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون**﴾[2].

وقد ورد في الحديث الشريف شرح لهذه الآية في قول الإمام الصادق عليه السلام: «إذا ذكّرهم الشيطان المعاصي وحملهم عليها يذكرون اسم الله فإذا هم مبصرون».

عندما يوسوس إبليس فإنه يريد أن يفتح له مكاناً في القلب ولكن صاحب التقوى يتذكر الوعيد الإلهي، فإذا ارتكبت الآن هذا الذنب فماذا أصنع بعد ذلك مع الإبتعاد عن رحمة الله تعالى؟ ويمكن أن يوسوس مرة أخرى بأنه سوف تتوب بعد ذلك.

فيجيبه: من يعلم بأني سوف أوفق للتوبة، ومن يعلم بأن هذه التوبة مقبولة؟ والخلاصة بأن مخالفة الله تعالى «كبيرة» في كل حال ومن الأمور التي تساعد على التذكر زيارة القبور، وتذكر الموت والآخرة مع الاحتياط في جميع الأمور.

وعلى كل حال يجب أن يكون لك واعظ من نفسك ولأجل أي شيء ورد كل هذا التأكيد على زيارة القبور في الشرع المقدس خصوصاً قبر الوالدين؟ عندما تقرأ الفاتحة من نفس هذا المكان فإنها تصل إليهما.. إن أعظم الفائدة ترجع إليك بالذات حيث تتذكر بأن والدك إذا لم يبق حياً فأنت أيضاً كذلك. وسوف تلحق به عن قريب أو بعيد، لا تغتر بأيّام الدنيا المعدودة ولا تسمح

---

(١) الإستعاذة، ص ١١١.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٢٠١.

للوساوس بالنفوذ إلى قلبك والخلاصة أن تكون متذكراً[1].

والإنسان المحتاط في أموره قليلاً ما يخطىء وينزلق مع الشيطان لأنه لا يتسرع في إتباع وساوسه. بل يثبت ويتدبر في العواقب، فإن كان العمل خيراً مضى فيه وإن كان شراً توقف عنه.

ج ـ التوكل:

قال تعالى: ﴿**إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون**﴾ حينما يتوكل الإنسان على الله فإنه أقر بأمرين مهمين:

الأول: إقراره بضعفه وحاجته وفقره كإنسان إلى من يدفع عنه ويحميه ويعينه ولا يعتمد على قوته وحوله فيغتر بها.

الثاني: إقراره بأن ليس هناك من يستحق أن يفضي إليه بهذه الأمور ويتكل عليه في قضائها وإتمامها له سوى الله سبحانه فهو القادر القاهر المهيمن على كل شيء فالتوكل إذن يلخّص الإيمان الفعلي بكل معانيه وتطبيقاته.

القلب البشري يلفه الظلام الآتي من طبيعة الضعف والجهل فيه، ومن تأثير جاذبية الطبيعة وبالرغم من أن هذه النفس قد أوتيت قبساً من نور الحقيقة هو الذي نسميه العقل والإرادة إلا أن على الإنسان أن يتحدى الظلام المحيط بنفسه عن طريق إثارة عقله ويتحدى ضعفه ويأسه، وخوفه بالتوكل على الله تعالى.

فالاستعاذة بالله والطلب المباشر منه لكي يحفظ الإنسان من خطر القوى التي ترفض الحق: إنه العلاج المباشر لمشكلة الخوف من الحقيقة، ولمقاومة سلطان الشيطان على القلب[2].

د ـ الإخلاص:

قال تعالى: ﴿**لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين**﴾.

---

(١) الاستعاذة، ص ١١٥.

(٢) من هدى القرآن.

إذا عجز الشيطان من التسلل إلى الإنسان عن مختلف الطرق والوسائل فإنه غالباً ما ينجح بالتسلل إلى نيته فيزلزل إخلاصه ويشوبه بمفسدات العمل، كالرياء وحب السعة، والعجب وغيرها من الأمراض الروحية.

إذا كانت هناك قيمة حقيقية فهي للنية الخالصة (إنما الأعمال بالنيات) فإذا كانت النية خالصة لله وكان العمل لله فقط فسوف يوصله إلى المقامات العالية، ولكن لو كان العمل بنية شيطانية أو كانت نيته مخلوطة من شيطانية ورحمانية فإنها لا قيمة لها وسيأتي غداً صفر اليدين مهما لقن نفسه أنه قربة إلى الله تعالى، ومهما كان حسناً في الظاهر ولو صدقت النية وكانت خالصة لله فسيصلح كل شيء تبعاً لها[1] وحينما أقسم الشيطان على إغواء آدم لم يغفل أن يستثني منهم فئة المخلصين لماذا؟

لأنه أدرك بأن وساوسه لا تؤثر إلا في القلوب الفارغة من الإخلاص والمزدوجة في ولائها حسب المصالح والأهواء.

ولا شك أن القلب غير المخلص يعيش اضطراباً وخلخلة يستطيع الشيطان من خلالها التسلل والعمل فيفسد ويخرب كما يحلو له.

فقد يعمل الإنسان في الطاعات ويؤدي العبادات ويتحمل المشاق الكبيرة في سبيل ذلك ولكنه في النهاية يجد أن عمله كان مشوباً بالرياء.

وكذلك يكون حال من يبذل ماله رغبة في الثناء، ومن يدرس طلباً في الجاه، وغيرها من أعمال البر التي تفقد عنصر الإخلاص فلا تزيد صاحبها إلا بعداً عن الوصول إلى النتيجة والثمرة الحقيقية وهي رضا الله تعالى وثوابه الجزيل.

أما المخلص الذي لا يوجد في قلبه سوى الله سبحانه، فإن الشيطان لا يجد منفذاً للدخول إلى قلبه بل يرى بأن هذا القلب محصن أيضاً ضد وساوسه ومكره لأن الله سبحانه قد تولاه بالحفظ والصيانة.

فقد جاء في الحديث القدسي: «لا أطلع على قلب عبد فاعلم منه حب

---

(١) الإستعاذة، ص ١٩٩.

الإخلاص لطاعتي وابتغاء وجهي، إلا توليت تقويمه وسياسته ومن إشتغل بغيري فهو من المتهزئين بنفسه، مكتوب اسمه في ديوان الخاسرين»[1].

ولأن الإستعاذة هي صنف من أصناف الدعاء، والدعاء لا يستجاب إلا بحصول شروطه ومن شروط استجابة الدعاء الإخلاص في المسألة.

إذن فدعاء المخلصين مستجاب وإستعاذتهم كذلك. بينما دعاء واستعاذة غير المخلصين غير مستجابة وبالتالي ستكون أيضاً حروفاً بلا معاني.

هـ ـ التضرع:

ـ والتضرع لازم ضروري حال الاستعاذة، لأن الإستعاذة تعني طلب العون والمساعدة من الله على عدو شرس ماكر. فالإستعاذة تكون عادة في حالة الاضطرار والإحساس بالحاجة الملحة وتتطلب الضراعة والإلحاح في الطلب، مع الإستكانة وإبداء الحاجة والإستغاثة وإظهار العجز.

فقد ورد في الدعاء: فواغوثاه بك يا الله من هوى قد غلبني ومن عدو قد استكلب علي.

وجاء في دعاء آخر: إليك أشكو عدواً يضلني وشيطاناً يغويني قد ملأ بالوسواس صدري وأحاطت هواجسه بقلبي يعاضد لي الهوى ويزين لي حب الدنيا ويحول بيني وبين الطاعة والزلفى.

كما جاء في دعاء الإمام السجاد عليه السلام بعد فراغه من صلاة الليل:

«وقد استحوذ علي عدوك الذي استنظرك لغوايتي فأنظرته واستمهلك إلىٰ يوم الدين لإضلالي فأمهلته فأوقعني وقد هربت إليك من صغائر ذنوب موبقة وكبائر أعمال مردية حتى إذا قارفت معصيتك، واستوجبت لسوء سعيي سخطك، فتل عني عذار غدره، وتلقاني بكلمة ثغره، وتولى البراءة مني، فأظهرني لغضبك فريداً واخرجني إلى فناء نعتك طريداً لا شفيع يشفع لي إليك ولا غفير يؤمنني عليك ولا حصن يحجبني عنك ولا ملاذ ألجأ إليه منك».

---

(١) الإنسان والشيطان، ص ٢٠٦.

ولما كانت الإستعاذة الكاملة بالله وقدرته، وعلمه، وكماله والإقرار بعجز نفسه وإفتقاره في جميع أموره إلى معونته تعالى، وتوكله في كل الأحوال عليه فلذا ذكر بعد الإستعاذة أنه ليس له سلطة واستيلاء على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون[1].

إذن الإستعاذة الحقيقية هي التي تتوفر على شروطها اللازمة حتى تؤدي دورها الكامل وتؤثر أثرها المطلوب، والمستعيذ به تعالى سيكون بالتالي في أمانه وحفظه إذا راعى شروط الاستعاذة. (راجع كتاب الإستعاذة للشهيد آية الله السيد دستغيب رضوان الله عليه).

ـ آيات وأدعية مأثورة في الإستعاذة:

أ ـ بعض الآيات المخصوصة في الإستعاذة:

١ ـ سورتي المعوذتين.

٢ ـ آية الكرسي وآخر سورة البقرة ﴿**آمن الرسول**﴾ إلى آخرها ففي الرواية: لا يقرأ به في بيت إلاّ لم يلج فيها شيطان ثلاثاً.

٣ ـ آية السخرة لدفع الشيطان.

فعن النبي ﷺ اقرأ آية السخرة وهي: ﴿**إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثاً والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين**﴾.

ب ـ بعض الأدعية المخصوصة في الإستعاذة:

١ ـ لدفع الوساوس الشيطانية وحديث النفس.

في وصية لأمير المؤمنين عليه السلام: يا كميل إذا وسوس الشيطان في صدرك فقل أعوذ بالله القوي من الشيطان الغوي، وأعوذ بمحمد الرضي من شر ما قدر

---

(١) بحار الأنوار، ج٦٣، ص ١١٣.

وقضى وأعوذ بآله الطيبين من شر الجنة والناس أجمعين وعظم الله وصلى الله على محمد وآله وسلم تكفي مؤنة إبليس والشياطين معه وأنهم كلهم أبالسة).

* وعن أمير المؤمنين عليه السلام: إذ وسوس الشيطان لأحدكم فليتعوذ بالله وليقل بلسانه وقلبه «آمنت بالله ورسله مخلصاً له الدين»[1].

* وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ألا فاذكروا يا أمة محمد محمداً وآله عند نوائبكم وشدائدكم لينصر الله بهم ملائكتكم على الشياطين الذين يقصدونكم، فإن لكل واحد منكم ملك عن يمينه يكتب حسناته وملك عن يساره يكتب سيئاته ومعه شيطانان من عند إبليس يغويانه فإذا وسوسا في قلبه وقال: «لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله على محمد وآله» حبس الشيطانان[2].

* وعن الصادق عليه السلام: شكا آدم إلى الله عز وجل حديث النفس فنزل عليه جبرائيل عليه السلام فقال: قل لا حول ولا قوة إلا بالله، فقالها فذهب عنه عليه السلام.

* عن الرضا عليه السلام: من قال ثلاثاً حين يصبح ويمسي «بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم» لم يخف شيطاناً ولا سلطاناً.

* وعن الصادق عليه السلام: قل قبل طلوع الشمس وقبل غروبها عشر مرات أعوذ بالله السميع العليم من همزات الشياطين، وأعوذ بك ربي أن يحضرون إن الله هو السميع العليم[3].

٢ ـ لدفع شر إبليس:

«اللهم إن إبليس عبد من عبيدك يراني من حيث لا أراه وأنت تراه من حيث لا يراك، وأنت أقوى على أمره كله وهو لا يقوى على شيء من أمرك اللهم فأنا أستعين بك عليه يا رب فأنا لا طاقة لي به ولا حول ولا قوة لي عليه

---

(١) دار السلام، ص ٢٢٨.

(٢) دار السلام، ص ٢٢٨.

(٣) مفاتيح الجنان، ص ١٥٩.

إلا بك يا رب، اللهم إن أرادني فأرده وإن كادني فكده، واكفني شره واجعل كيده في نحره يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين»[1].

* من دعاء الإمام السجاد عليه السلام إذا ذكر الشيطان فاستعاذ منه ومن عداوته وكيده: «اللهم إنا نعوذ بك من نزغات الشيطان الرجيم، وكيده ومكائده، ومن الثقة بأمانيه ومواعيده، وغروره ومصائده، وأن يحسن عندنا ما حسن، أو أن يثقل علينا ما كره إلينا اللهم أخسأه عنا بعبادتك وأكبته بدؤوبنا في محبتك، واجعل بيننا وبينه ستراً لا يهتكه، وردماً مُصمِتاً لا يفتقه..»[2].

* ومما علم جبرائيل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الإستعاذة.
«يا محمد قل ما أقول: أعوذ بكلمات الله التامات اللاتي لا يجاوزهن فاجر من شر ما خلق وبرأ وذرأ ومن شر ما ينزل من السماء ومن شر ما يعرج فيها ومن شر ما ذرأ في الأرض ومن شر ما يخرج منها ومن شر فتن الليل والنهار، ومن شر كل طارق إلا طارقاً يطرق بخير يا رحمن»[3].

٣ ـ في تعويذ الأولاد من شر الشيطان:

من دعاء الإمام السجّاد عليه السلام لأولاده: «وأعذني وذريتي من الشيطان الرجيم فإنك خلقتنا وأمرتنا ونهيتنا، ورغبتنا في ثواب ما أمرتنا، ورهبتنا عقابه وجعلت لنا عدواً يكيدنا سلطته منا على ما لم تسلطنا عليه منه، أسكنته صدورنا، وأجريته مجاري دمائنا لا يغفل إن غفلنا ولا ينسى إن نسينا يؤمننا عقابك ويخوفنا بغيرك إن هممنا بفاحشة شجعنا عليها، وإن هممنا بعمل صالح ثبطنا عنه، يتعرض لنا بالشهوات، وينصب لنا بالشبهات، إن وعدنا كذبنا وإن منانا أخلفنا وإلا تصرف عنا كيده يضلنا، وإلا تقنا حباله يستزلنا. اللهم فأقهر سلطانه عنا بسلطانك حتى تحتبسه عنا بكثرة الدعاء لك فنصبح من كيده من المعصومين بك»[4].

---

(١) مفاتيح الجنان، ص ٣١٨.
(٢) الصحيفة السجادية، ص ١١٣.
(٣) بحار الأنوار، ج٦٣، ص ٢٨٢.
(٤) الصحيفة السجادية، ص ١٠٦.

* ومما عوذ به جبرائيل الحسن والحسين عليه السلام علمه لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أعيذ نفسي وذريتي وأهل بيتي ومالي بكلمات الله التامات من كل شيطان رجيم، ومن كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة»[1].

٤ ـ لدفع الأحلام الشيطانية السيئة:

عن الإمام الصادق عليه السلام: إذا خفت الجنابة فقل على فراشك: «اللهم إني أعوذ بك من الاحتلام ومن سوء الأحلام ومن أن يتلاعب بي الشيطان في اليقظة والمنام»[2].

٥ ـ الاستعاذة عند قراءة القرآن الكريم:

عن سماعة عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله تعالى: **﴿وإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم﴾** قلت: كيف أقول؟ قال تقول: أستعيذ بالسميع من الشيطان الرجيم[3].

٦ ـ الإستعاذة لدفع الرؤيا المكروهة في النوم:

إن جبرائيل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: يا محمد إذا رأيت في منامك شيئاً تكرهه أو رأى أحد المؤمنين فليقل: «أعوذ بما عاذت به ملائكة الله المقربين وأنبيائه المرسلون وعباده الصالحون من شر ما رأيت من رؤيا»[4].

٧ ـ دعاء يوم الثلاثاء الوارد في الصحيفة السجادية:

«الحمد لله والحمد حقه كما يستحقه حمداً كثيراً وأعوذ به من شر نفسي،

---

(١) مكلرم الأخلاق، ص ٢٨٩.
(٢) مكارم الأخلاق، ص ٢٩٠.
(٣) البحار، ج٦٣، ص ٢٥٥.
(٤) دار السلام، ج٤، ص ١٩٤.

إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي. وأعوذ به من شر الشيطان الذي يزيدني ذنباً إلى ذنبي..».

* أذكر الله واستعذ به من الشيطان الرجيم في هذه المواطن:

١ ـ عند الصلاة:

ـ فعن الإمام السجّاد عليه السلام: (يا ثمالي إن الصلاة إذا أقيمت جاء الشيطان إلى قرين الإمام فيقول هل ذكر ربه؟ فإن قال: نعم، ذهب، وإن قال: لا، ركب على كتفيه فكان إمام القوم حتى ينصرفوا..)[١].

٢ ـ عند قراءة القرآن الكريم:

ـ عن الحلبي عن الصادق عليه السلام قال: سألته عن التعوذ من الشيطان عند كل سورة يفتحها؟ قال: نعم فتعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: والاستعاذة في ما قد أمر الله به عباده عند قرائتهم القرآن بقوله **﴿وإذا قرأت القرآن﴾** الآية، ومن تأدب بآداب الله أداه إلى الفلاح الدائم[٢].

٣ ـ عند الخلاء:

فعن الإمام الصادق عليه السلام: «إذا دخلت المخرج فقل: «بسم الله اللهم إني أعوذ بك من الخبث المخبث الرجس النجس الشيطان الرجيم»[٣].

٤ ـ عند الجماع:

ـ عن الصادق عليه السلام: «إذا دخلت عليك أهلك فخذ بناصيتها واستقبل بها القبلة وقل: اللهم ـ إلى أن قال: ولا تجعل لي فيه للشيطان شركاً ولا نصيباً»[٤].

وعن النبي صلى الله عليه وآله: إذا أتى أحدكم أهله فيذكر الله فإن لم يذكر الله عند

---

(١) البحار، ج٦٣، ص ٢٠٣.
(٢) دار السلام، ج٤، ص ١٩٧.
(٣) دار السلام، ج٤، ص ١٩٧.
(٤) دار السلام، ج٤، ص ١٩٧.

الجماع فكان منه ولو كان شريك شيطان[1].

٥ ـ عند الخروج من المنزل:

ـ عن الإمام الصادق عليه السلام: من قال حين خرج من منزله أعوذ بالله مما عاذت به ملائكة الله من شر هذا اليوم ومن شر الشياطين[2].

وعن الرضا عليه السلام: إذا خرجت من منزلك في سفر أو حضر فقل بسم الله آمنت بالله توكلت على الله ما شاء الله لا حول ولا قوة إلا بالله[3].

٦ ـ عند الركوب:

ـ عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: إذا ركب الرجل الدابة فسمى، ردفه ملك يحفظه حتى ينزل وإذا ركب ولم يسمّ ردفه شيطان فيقول له: تغن فإن قال له: لا أحسن. قال له: تمن فلا يزال يتمنى حتى ينزل[4].

٧ ـ عند صعود الجسر:

ـ عن الصادق عليه السلام: إن على ذروة كل جسد شيطاناً فإذا انتهيت إليه فقل بسم الله يرحل عنك[5].

٨ ـ عند دخول المنزل:

ـ عن أمير المؤمنين عليه السلام: إذا بلغ أحدكم باب حجرته فليسم فإنه يفرّ الشيطان.

٩ ـ عند النوم:

ـ عن الصادق عليه السلام لا يدع الرجل أن يقول عند منامه: أعيذ نفسي وذريتي وأهل بيتي ومالي بكلمات الله التامات من كل شيطان هامة ومن كل عين لامة.

---

(١) دار السلام، ج٤، ص ١٩٧.
(٢) دار السلام، ج٤، ص ١٩٨.
(٣) دار السلام، ج٤، ص ١٩٨.
(٤) دار السلام، ج٤، ص ١٩٨.
(٥) دار السلام، ج٤، ص ١٩٨.

١٠ ـ عند الفراغ من بناء المسكن:

عن رسول الله ﷺ: من بنى مسكناً فذبح كبشاً سميناً وأطعم لحمه المساكين ثم قال: اللهم ادحر عني مردة الجن والإنس وبارك لي في بنائي أعطي ما قال[١].

١١ ـ عند الوضوء والأكل والشرب واللبس:

ـ عن الصادق عليه السلام: إذا توضأ أحدكم ولم يسم كان للشيطان في وضوئه شرك، وإن أكل أو شرب أو لبس لباساً ينبغي أن يسمي عليه فإن لم يفعل كان للشيطان فيه شرك[٢].

وجاء في الدعاء عند لبس السراويل: «اللهم استر عورتي وآمن روعتي وأعفّ فرجي ولا تجعل للشيطان في ذلك نصيباً ولا له إلى ذلك وصولاً فيضع لي المكائد ويهيجني لارتكاب محارمك»[٣].

١٢ ـ عند سماع نباح الكلاب ونهيق الحمير:

عن رسول الله ﷺ: إذا سمعتم نباح الكلاب، ونهيق الحمير فتعوّذوا بالله من الشيطان الرجيم فإنهم يرون ولا ترون فافعلوا ما تؤمرون[٤].

١٣ ـ عند دخول الصباح:

عن النبي ﷺ: إذا أردت أن لا يصيبك شرهم أي الشياطين ولا يبدأك مكرهم فقل إذا أصبحت: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» فإن الله يعيذك من شرهم[٥].

١٤ ـ عند المساء:

ـ عن الإمام الصادق عليه السلام الدعاء قبل طلوع الشمس وقبل غروبها سنة

---

(١) دار السلام، ج٤، ص ١٩٨.
(٢) دار السلام، ج٤، ص ١٩٨ ـ ١٩٩.
(٣) دار السلام، ج٤، ص ١٩٨ ـ ١٩٩.
(٤) دار السلام، ج٤، ص ١٩٨ ـ ١٩٩.
(٥) دار السلام، ج٤، ص ١٩٨ ـ ١٩٩.

واجبة، ثم ذكر بعد التهليل المعروف. وتقول: «أعوذ بألله السميع العليم من همزات الشياطين وأعوذ بالله أن يحضرون إن الله هو السميع العليم» (عشر مرات)[1].

وعن أبي جعفر عليه السلام: إن إبليس عليه لعائن الله يبث جنود الليل حين تغيب الشمس وتطلع، فأكثروا ذكر الله عز وجل في هاتين الساعتين وتعوذوا بالله من شر إبليس وجنوده وعوذوا صغاركم في هاتين الساعتين فإنهما ساعتا غفلة[2].

١٥ ـ عند دخول السوق:

ـ عن الإمام الصادق عليه السلام: إذا دخلت سوقك فقل: «اللهم إني أسئلك من خيرها وخير أهلها ـ إلى قوله عليه السلام: اللهم إني أعوذ بك من شر إبليس وجنوده..»[3].

١٦ ـ عند الحكومة بين اثنين، عند الخلوة مع امرأة أجنبية، وعند الغضب وعند النذر والعهد والصدقة، وفي كل أمر وعلى كل حال.

---

(١) دار السلام، ج٤، ص ١٩٨ ـ ١٩٩.
(٢) دار السلام، ج٤، ص ١٩٩.
(٣) دار السلام، ج٤، ص ١٩٩.

الفصل الخامس عشر

نهاية الشيطان والدنيا

ـ كانت أمنية الشيطان الأخيرة أن يعمر في هذه الدنيا ويبقى مخلداً إلى يوم القيامة، فيتمتع بين الدنيا بالعاجل بعدما أيقن بالخسران المبين في الآخرة، ومن ثم تكون الفرصة متاحة له بالكامل في إضلال جميع ذرية آدم وإلى آخر فرد من أفرادهم وآخر نفس من أنفاسهم في هذه الحياة الدنيا. حتى إذا فنيت البشرية بقي وحده في الحياة شامتاً بهم بعد أن شفى قلبه، وبرد غليله وضمن لهم نفس المصير الذي سيؤول إليه هو وذريته في الآخرة.

هذه كانت أمنيته وقد سأل الله ذلك. ولكنه غفل عن أمر مهم وهو أن الله سبحانه وتعالى لم يكن ليدع خلقه لعبة في يد الشيطان يعبث بهم كيف يشاء فهو لم يخلقهم عبثاً ولم يتركهم سداً. بل إن من وراء خلقهم هدفاً سامياً وغرضاً عظيماً وإذا ما أعطي الشيطان هذه الفرصة الطويلة فليس معنى ذلك أنه سيبقى مخلداً إلى الأبد وأن أجله محدود ومعلوم كما هو أجل بقية المخلوقات وهذا الأجل ينتهي قبل يوم القيامة.

ولن يبقى حي على وجه الكون إلا خالق الكون وحده.

﴿كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾(١).

وقد عرفنا في بداية البحث معنى الوقت المعلوم الذي حدده الله سبحانه

---

(١) سورة الرحمن، الآية: ٢٧.

للشيطان فحينما سئل الإمام الصادق عليه السلام عن إبليس وقوله:

﴿**رب انظرني إلى يوم يبعثون قال فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم**﴾ قال: يا وهب أتحسب أنه يوم يبعث الله الناس؟ لا.. ولكن الله عز وجل أنظره إلى يوم يبعث الله قائمنا فيأخذ بناصيته فيضرب عنقه، فذلك اليوم هو الوقت المعلوم[1].

ويكون للشيطان نشاط متميز في ذلك اليوم العظيم حيث يسعى في إضلال البشر بأقصى ما أوتي من قوة وإمكانية وبصورة لم يعثر عليها البشر من قبل.

نداء الشيطان:

ـ عن الثمالي قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: إن أبا جعفر عليه السلام كان يقول: إن خروج السفياني من الأمر المحتوم؟ قال لي: نعم والنداء من المحتوم وطلوع الشمس من مغربها من المحتوم، واختلاف ولد العباس في الدولة من المحتوم وقتل النفس الزكية من المحتوم، وخروج القائم من المحتوم. فقلت: فكيف يكون النداء؟ قال: ينادى مناد بين السماء أول النهار: ألا إن الحق في علي وشيعته ثم ينادي إبليس في آخر النهار: ألا إن الحق في السفياني وشيعته، فيرتاب عند ذلك المبطلون[2].

فهذا النداء من الشيطان يكون لإضلال الناس، وإيقاع الشك والريبة في قلوبهم ولصرفهم عن اتباع الإمام المهدي عليه السلام ونصرته ويدعوهم إلى إتباع السفياني الطاغية الذي ينشر الفساد والظلم ويحارب المهدي ـ عجل الله فرجه الشريف ـ آنئذ ويحرضهم على نصره.

لأن هذين النداءين يقعان عند ظهور الإمام المهدي عليه السلام وانتشار صيته ودعوته. وهما من الأمور العجيبة التي لم يعتد عليها البشر من قبل.

---

(١) البحار، ج٦٣، ص ٢٢١.

(٢) بيان الأئمة، ج٣، ص ١٨.

وجاء في الخبر أن هذين الندائين يكونان لكل الناس كل يسمعه حسب لغته[1].

المؤمنون يبصرون الشيطان ويرجمونه:

ـ إعتاد البشر على عدم رؤية الشيطان لاختلاف جنسه ومادته، وهذا مما كان يساعده على مضاعفة حركته ونشاطه التخريبي بين البشر. ولكن هذه القابلية تنتفي ذلك اليوم فتزول قدرته على الاختفاء ويتمكن المؤمنون خاصة من رؤيته وبالتالي يتمكنون من مطاردته ورجمه.

فعن أبي الحسن علي بن محمد الهادي عليه السلام قال: معنى الرجيم التي هي من صفات الشيطان، أنه مرجوم باللعن، مطرود من مواضع الخير لا يذكره مؤمن إلا لعنه، وأن في علم الله السابق أنه إذا خرج القائم عليه السلام لا يبقى مؤمن في زمانه إلا رجمه بالحجارة، كما كان قبل ذلك مرجوماً باللعن.

نهاية الشيطان على يد الإمام المهدي (عجل الله فرجه الشريف):

فعن إسحاق بن عمار قال: سألته: أي لأبي عبدالله عليه السلام عن انتظار الله تعالى لإبليس وقتاً معلوماً ذكره في كتابه فقال: ﴿**إنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم**﴾[2].

قال: الوقت المعلوم يوم قيام القائم عليه السلام، فإذا بعثه الله كان في مسجد الكوفة وجاء إبليس حتى يجثوا على ركبته، فيقول: يا ويلاه هذا اليوم فيأخذ بناصيته، ويضرب عنقه، فذلك اليوم الوقت المعلوم منتهى أجله[3].

ـ الشيطان الذي يدعو للمعصية هو الذي يخذ أتباعه في ساعة العسرة ويتبرأ منهم بحجة أنه يخاف الله رب العالمين، وقد ورد في الحديث: إن

---

(١) بيان الأئمة، ج٣، ص ١٨.
(٢) سورة الحجر، الآية: ٣٨.
(٣) بيان الأئمة، ج ٣،ص ١٧٨.

الشيطان يتفل - يبصق - في وجوه تابعيه يوم القيامة[1].

وحينما يستقر الشيطان وأولياؤه وأتباعه في جهنم وتطبق عليهم أبوابها حينئذٍ تنتهي قصة الإنسان مع الشيطان.

﴿قال فالحق والحق أقول، لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين﴾[2].

وعن رسول الله ﷺ: أنه إذا جمع الله الخلق وقضي الأمر بينهم يقول الكافر: قد وجد المسلمون من شفع لهم، فمن يشفع لنا؟ ما هو إلا إبليس الذي أضلنا فيأتونه ويسألونه فعند ذلك يقول هذا القول: **﴿إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم﴾**[3].

---

(١) من هدى القرآن.

(٢) سورة ص، الآية: ٨٥.

(٣) البحار، ج ٦٣، ص ١٦١.

«قسم التعليقات»

كلام في الجن

التعليقة رقم (١)

ـ جاء في كتاب الميزان في تفسير القرآن للعلاّمة السيّد محمد حسين الطباطبائي (قدس سره) في المجلد العشرين الصفحة ٣٩ ما يلي:

«الجن نوع من الخلق مستورون من حواسنا يصدق القرآن الكريم بوجودهم ويذكر أنهم بنوعهم مخلوقون قبل نوع الإنسان، وأنهم مخلوقون من النار كما أن الإنسان مخلوق من التراب قال الله تعالى: ﴿**والجان خلقناه من قبل من نار السموم**﴾[1] وأنهم يعيشون ويموتون ويبعثون كالإنسان قال تعالى: ﴿**أولئك الذين حق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس**﴾[2].

وأن فيهم ذكوراً وأناثاً ويتكاثرون بالتوالد والتناسل قال تعالى: ﴿**وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن**. . »[3].

وأن لهم شعوراً وإرادة وأنهم يقدرون على حركات سريعة وأعمال شاقة كما في قصص النبي سليمان عليه السلام وتسخير الجن له وقصة ملكة سبأ.

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٢٧.

(٢) سورة الأحقاف، الآية: ١٨.

(٣) سورة الجن، الآية: ٦.

وأنهم مكلفون كالإنسان، منهم مؤمنون ومنهم كفار، ومنهم صالحون وآخرون طالحون، قال تعالى: **﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾**[١].

وقال تعالى: **﴿إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدي إلى الرشد فآمنا به﴾**[٢].

وقال أيضاً: **﴿وإنا منا المسلمون ومنا القاسطون﴾**[٣]. وقال تعالى: **﴿وإنا منا الصالحون ومنا دون ذلك﴾**[٤]. وقال تعالى: **﴿قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم ياقومنا أجيبوا داعي الله﴾**[٥].

إلى غير ذلك من خصوصيات أحوالهم التي تشير إليها الآيات القرآنية.

ويظهر من كلامه تعالى أن إبليس من الجن وأن له ذرية وقبيلا.

قال تعالى: **﴿كان من الجن ففسق عن أمر ربه﴾**[٦].

وقال تعالى: **﴿أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني﴾**[٧].

وقال تعالى: **﴿إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم﴾**[٨].

ـ كلام حول الديانة الزرادشتية

التعليقة رقم (٢)

ـ لفارس أساطير شائعة متناقلة تشير إلى أن النبي زرادشت (زارا) كان قبل

---

(١) سورة الذاريات، الآية: ٥٤.
(٢) سورة الجن، الآية: ١.
(٣) سورة الجن، الآية: ١٤.
(٤) سورة الجن، الآية: ١١.
(٥) سورة الأحقاف، الآية: ٣١.
(٦) سورة االكهف، الآية: ٥٠.
(٧) سورة الكهف، الآية: ٥٠.
(٨) سورة الأعراف، الآية: ٢٧.

المسيح بأجيال طوال. أوجدته القدرة السماوية بالشكل الآتي: دخل الإلهُ الحارس في نبتة الـ (هاوما، Haoma) ومشى في النسغ إلى جسد راهب، حين كان هذا يقوم بتقديم القربان المقدس. في الآن نفسه دخل في صدر فتاة نبيلة شعاع سماوي ممجد. وحين تزوج الكاهن من تلك الفتاة، اقترن الملاك السجين بالشعاع الحبيس فظهر للوجود (زرادشت) المدعو تخفيفاً (زارا Zaradsht) يوم مولده، أخذ (زارا) بالضحك عالياً فتبعثرت من حوله الأرواح الشريرة، ولدى كبره، اعتزل في جبل بعيد يقتات بالجبن والتمر وحسب. حاول الشيطان إغراءه ففشل.

كان (زارا) مخلصاً للإله (أهو رامزدا) وقد تجلى له، واضعاً بين يديه كتاب الـ (أفستها l'avesta) مجمع العلم والحكمة، موعزاً إليه التبشير في مضمون الكتاب، بالعالم أجمع.

استمرت دعوة (زارا) مغبونة زمناً حتى عهد الملك الإيراني (فيشتاسبا Vishtaspa) الذي أصغى إلى تعاليمه واستوعبها فرحاً بها، وعهد بنشرها، ووفى بعهده. هذا الملك هو والد (داريوس الأول).

ولما كان الفرس يعبدون الآلهة القديمة التي سبقت (إله الخير) فقد ثار عليهم (زارا) بجرأة وبعنف منادياً بـ (أهورامزدا) الإله الحق المنقذ. وكل إله سواه ليس إلا أحد تجلياته.

والأفستها مؤلفة من واحد وعشرين مؤلفاً تسمى (ناشس Nachs) وفي شريعة (زارا) كان (إله الخير) هو الدائرة الكاملة للسماوات: النور جسده، والشمس والقمر عيناه وهو المهيمن على كل المخلوقات الأرضية والسماوية وهذا نشيد موجه لذلك الإله:

«أجبني بصراحة يا أهرمزدا العظيم
من رسم لك الشمس والنجوم
من جعل القمر يشرق ثم يتلاشى
من الذي منع أن يطبق الفضاء على الأرضين.

ومن تعهد المياه والأغراس

ومن؟؟ ومن كل هذا؟

أليست هي الروح الخيرة، يا أهرمزدا».

اعتبر (زارا) تلك الروح الخيرة هي (الكلمة) و(logos) في الديانات الظاهرة وهي العقل الأعظم في الباطنية. وقد تمثل (زارا) بحمورابي فسن قانوناً روحياً دامت ممارسته حتى الفتح الإسلامي. من بنوده البارزة:

١ ـ الـ (ياسنا Yasna) ويتضمن فصولاً حول كهنة زارا وواجباتهم العامة، ثم إظهار نبوءته.

٢ ـ الـ (فانديداد Vendidad) يحوي على اللاهوت والتشريع الخلقي.

٣ ـ الـ (فيسبرد، Vispéred) في تنسيق الطقوس الدينية.

٤ ـ الـ (ياشتس، Yashts) كله تسابيح موجهة للملائكة، ونبوءة حول نهاية العالم.

٥ ـ الـ (خارداه Khardah) يتضمن صلوات لمختلف أوضاع الحياة.

في صلب تشريع (زارا)، صراع مستمر بين قوتي الخير والشر في الكون وللإنسان الحق في إختيار أحد طريقي الخير أو الشر (الصدق أو الكذب).

إن النداء الذي كانت (الأفستها) تعلنه هو: «أن نجعل من العدو صديقاً، ومن الشرير خيراً، ومن الجاهل رجلاً مثقفاً». وعلى رأس الفضائل عندها: التقوى وهي: العبادة والطهارة والقربان والصلاة. رفضت الشريعة كل إيمان بتمثال أو هيكل، ومعابدهم مذابح صغيرة متواضعة.

كان (زارا) مؤمناً بأن (أهرمان) هو الذي خلق الحشرات الضارة وأنمى الآثام واللواط، ليفسد الجنة كذلك كان «ميترا» يعتبر رأس ملائكة إنه: (أهورامزدا) وقد كانت الأناشيد (الأفستها) تمجد إله الخير والصدق والحق (أهورامزدا). وقد أثبت هذا الرأي الأثر البارز الذي نقشه (داريوس الأول) والمسمى بـ (بهشوم Behustum) مضمون هذا الأثر: «ولهذا مدّ (أهورامزدا) لي يد المساعدة.. لأني لم أكن شريراً.. ولم أكن كذوباً.. ولم أكن طاغية». (عن تاريخ الشرق القديم برستد ص ٢٥٩..

ويقول الدكتور (أحمد محمد الخشّاب): كانت تنادي الزرادشتية بالشمس والقمر لا لعبادتهما وإنما لعبادة قوة الخير التي تمثلها وهي في (أهورامزدا).

آمنت الزرادشتية بأن العالم الأرضي يتصل بالعالم الآخر في قنطرة (شنغال، Shingal) وهي جسر الإنفصال، حيث في طرفه الأعلى عذراء جميلة تقود الروح الخيرة إلى حيث الإله الأعظم والسعادة الغامرة. والروح الشريرة لدى مرورها على هذه القنطرة ترتعش وتنهار، وتحطها موبقاتها إلى الدرك الأسفل حيث الأشرار. وكل من قلت سيئاته ورجحت حسناته مقرّه النعيم والجحيم محدد بإثني عشر ألف عام، وفي كلا النعيم أو الجحيم، خلود، خلود»[1].

ويقول «العقاد» في مؤلفه: (الله): «إن زرادشت كان قد آمن بإله واحد منزَّهٍ قد خلق الروح قبل الجسد. وصفات الله، من أرفع ما عرفه أبناء عصره من سمو وعظمة وسلطان. وكان زارا هذا يناجي ربه في (الأفستها) قائلاً: «أنا وحدي صفيك الأمين، وكل من عداي خصيمٌ لدود».

وقال المرجع نفسه: إن مذهب (زارا) يعتبر الأنبياء قد قاموا بدعوة الحق محذرين ومذكِّرين، كيلا تبقى على الله حجة في الناس أجمعين.

أما التاريخ العام للديانات فيوجز الحديث عن (زارا) بهذه العبارات: «يقول هيرودوتس». أنه القرن الخامس (ق.م) كان تشابه بارز بين الديانتين (الڤيدية) و(الأفستيه). أما عقيدة زارا فتؤمن بالوحدانية بـ (السيد العارف أعني أهورامزدا) وبأن حوله ستة خيرين يؤازرونه في محاربة الشر: (أهرمان عنصر كذب).

كان من عداد هؤلاء الخيرين في نظر «زارا»: (ميترا). واستمر معظم الشعب الفارسي يدين بالزرادشتية حتى انبثق وانطلق ضياء الإسلام، فاحتضنها إله الشمس و(أناهينا) إله الخصب و(فرافاسي، Faravasi) أي أرواح الأسلاف الواقية.

أما الأرواح الشريرة مؤازرة (أهرمان) فكانت: (ديافا Deava، اندرا، indra ـ سورو، Sauru).

---

(١) انظر موسوعة الأديان ـ المجلد الأول ـ الصفحة ١٢٣ ـ ١٢٤، الدكتور سامي أبو شقرا.

كلام في اليزيديّة

التعليقة رقم (٣)

ـ فرقة في الإسلام قدست الشيخ «عَديّ» زاعمة أنه يتحمل عنهم الصلاة، منهم من يرى في عَديٍّ إلهاً، ومنهم مستشاراً لله، وبعضهم إنساناً فوق الأنبياء. يؤمنون برؤية الشيطان المدعو (طاوس ملك) وهو بكر الخليفة، كما يؤمنون بالملائكة وبإمكانية رؤيتها.

ويعتقد هؤلاء بالتقمص على الشكل التالي: لدى وفاة الشيوخ اليزيدية تتقمص أرواحهم في الملائكة كما أن الملائكة تتقمص بعد الموت شيوخاً منهم.

ـ البرهان اللمي مطلق وغير مطلق

التعليقة رقم (٤)

ـ جاء في كتاب المنطق للشيخ محمد رضا المظفر ـ ص ٣١٧ ما يلي:

ـ إن البرهان اللمي[١] ما كان الأوسط فيه علة لثبوت الأكبر للأصغر ومعنى ذلك أنه علة للنتيجة. وهذا على نحوين:

١ ـ أن يكون علة لوجود الأكبر في نفسه على الإطلاق، ولأجل هذا يكون كله

---

(١) البرهان اللمي، لأنه يعطي اللمية في الوجود والتصدي معاً فهو معط للمية مطلقاً فسمي به ـ اللمية، بتشديد الميم: هي العلية مصدر صناعي مأخوذ من كلمة (لِمَ) راجع كتاب المنطق ـ الشيخ المظفر، الجزء الأول، ص ١١٠.

لثبوته للأصغر، باعتبار أن المحمول الذي هو الأكبر هنا ليس وجوده إلا وجود لموضوعه وهو الأصغر، وليس له وجود مستقل عن وجود موضوعه، كمثال ـ علية إرتفاع الحرارة لتمدد الحديدة، ويسمى هذا النحو (البرهان اللمي المطلق).

٢ ـ أن لا يكون علة لوجود الأكبر على الإطلاق، وإنما يكون علة لوجوده في الأصغر ويسمى هذا النحو (البرهان اللمي غير المطلق). وإنما صح أن يكون علة لوجود الأكبر في الأصغر وليس علة لنفس الأكبر فباعتبار أن وجود الأكبر في الأصغر شيء وذات الأكبر شيء آخر، فتكون علة وجود الأكبر في الأصغر غير علة نفس الأكبر. والمقتضي لكون البرهان لميّاً ليس إلا علية الأوسط لوجود الأكبر في الأصغر، سواء كان علة أيضاً لوجود الأكبر في نفسه، كما في النحو الأول أي البرهان اللمي المطلق، أو كان معلولاً للأكبر في نفسه، أو كان معلولاً للأصغر، أو ليس معلولاً لكل منهما.

مثال الأول ـ وهو ما كان معلولاً للأكبر ـ قولنا: «هذه الخشبة تتحرك إليها النار. وكل خشبة تتحرك إليها النار توجد فيها النار» فوجود النار أكبر، وحركة النار أوسط، والحركة علة لوجود النار في الخشبة، ولكنَّها ليست علة لوجود النار مطلقاً، بل الأمر بالعكس فإن حركة النار معلولة لطبيعة النار.

ومثال الثاني: وهو ما كان معلولاً للأصغر ـ قلنا: «المثلث زواياه تساوي قائمتين. وكل ما يساوي قائمتين نصف زوايا المربع» فالأوسط (مساواة القائمتين) معلول للأصغر وهو (زوايا المثلث): وهو في الوقت نفسه علة لثبوت الأكبر (نصف زوايا المربع) للأصغر (زوايا المثلث).

ومثال الثالث: وهو ما لم يكن معلولاً لكل من الأصغر والأكبر ـ نحو: «هذا الحيوان غراب. وكل غراب أسود» فالغراب وهو الأوسط ليس معلولاً للأصغر ولا للأكبر، مع أنه علة لثبوت وصف السواد لهذا الحيوان.

انظر كتاب المنطق للشيخ محمد رضا المظفر رحمه الله تعالى.

ـ كلام في الفضل بين الإنسان والملك[1]

التعليقة رقم (٥)

ـ إختلف المسلمون في أن الإنسان والملك أيهما أفضل؟ فالمعروف المنسوب إلى الأشاعرة أن الإنسان أفضل والمراد به أفضلية المؤمنين منهم إذ لا يختلف إثنان في أن من الإنسان من هو أضل من الأنعام وهو أهل الجحود منهم فكيف يمكن أن يفضل على الملائكة المقربين؟ وقد استدل عليه بالآية الكريمة: ﴿**وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً**﴾[2].

على أن يكون الكثير بمعنى الجميع كما هو معروف في مذهب الشيعة، وربما إستدلوا عليه بأن الملك مطبوع على الطاعة من غير أن يتأتى منه المعصية لكن الإنسان من جهة إختباره تتساوى نسبته إلى الطاعة والمعصية وقد ركب من قوى رحمانية وشيطانية وتألف من عقل وشهوة وغضب فالإنسان المؤمن المطيع يطيعه وهو غير ممنوع من المعصية بخلاف الملك فهو أفضل من الملك ومع ذلك فالقول بأفضلية الإنسان بالمعنى الذي تقدم ليس باتفاق بينهم فمن الأشاعرة من قال بأفضلية الملك مطلقاً كالزجّاج ونسب إلى ابن عباس.

ومنهم من قال بأفضلية الرسل من البشر، مطلقاً ثم الرسل من الملائكة على من سواهم من البشر والملائكة ثم عامة الملائكة على عامة البشر.

---

(١) تفسير الميزان، المجلد الثالث عشر، ص ١٦٠.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٧٠.

ومنهم من قال بأفضلية الكروبيين من الملائكة مطلقاً ثم الرسل من البشر ثم الكمّل منهم ثم عموم الملائكة من عموم البشر، كما يقول به الإمام الرازي ونسب إلى الغزالي. وذهبت المعتزلة إلى أفضلية الملائكة من البشر واستدلوا على ذلك بظاهر قوله تعالى: ﴿ولقد كرمنا بني آدم ـ إلى قوله ـ وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً﴾. وقد بالغ الزمخشري في التشنيع على القائلين بأفضلية الإنسان من الملك ممن فسر الكثير في الآية بالجميع فقال في الكشاف في ذيل قوله تعالى: ﴿وفضلناهم على كثير ممن خلقنا﴾ هو ما سوى الملائكة وحسب بني آدم تفضيلاً أن ترفع عليهم الملائكة وهم هم ومنزلتهم عند الله منزلتهم. والعجب من المجبرة كيف عكسوا في كل شيء وكابروا حتى جسرتهم عادة المكابرة على العظمة التي هي تفضيل الإنسان الملك، وذلك بعدما سمعوا تفخيم الله أمرهم وتكثيره مع التعظيم ذكرهم وعلموا أين أسكنهم؟ وأنى قربهم؟ وكيف نزلهم من أنبيائه منزلة أنبيائه من أممهم؟

ثم جرهم فرط التعصب عليهم إلى أن لفقوا أقوالاً وأخباراً منها: قالت الملائكة ربنا إنك أعطيت بني آدم الدنيا يأكلون منها ويتمتعون ولم تعطنا ذلك فأعطناه في الآخرة فقال: وعزتي وجلالي لا أجعل ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له: كن فكان، ورووا عن أبي هريرة أنه قال: المؤمن أكرم على الله من الملائكة الذين عنده.

ومن إرتباكهم أنهم فسروا كثيراً بمعنى جميع في هذه الآية وخذلوا حتى سلبوا الذوق فلم يحسوا ببشاعة قولهم: وفضلناهم على جميع ممن خلقنا على أن معني قولهم: على جميع ممن خلقنا أشجى لحلوقهم وأقذى لعيونهم ولكنهم لا يشعرون فانظر في تمحّلهم وتشبثهم بالتأويلات البعيدة في عداوة الملأ الأعلى كأن جبريل عليه السلام غاظهم حين أهلك مدائن قوم لوط فتلك السخيمة لا تنحل عن قلوبهم.

ومما أشار إليه من رواية سؤال الملائكة أن يجعل لهم الآخرة كما جعل لبني آدم الدنيا رويت عن ابن عمر وأنس بن مالك وزيد بن أسلم وجابر بن عبدالله الأنصاري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لما خلق الله آدم وذريته قالت الملائكة:

يا رب خلقتهم يأكلون ويشربون وينكحون ويركبون الخيل فاجعل لهم الدنيا ولنا الآخرة فقال الله تعالى: لا أجعل من خلقته بيدي كمن قلت له: كن فكان».

ومتن الرواية لا يخلو عن شيء فإن الأكل والشرب والنكاح ونحوها في الإنسان استكمالات مادية إنما يلتذ الإنسان بها لما أنه يعالج البقاء لشخصه أو لنوعه بما جهز الله به بيئته المادية والملائكة واجدون في أصل وجودهم كمال ما يتوسل إلى بعضه الإنسان بقواه المادية وأعماله المملة المتعبة منزهون عن مطاوعة النظام المادي الجاري في الكون فمن المحال أن يسألوا ذلك فليسوا بمحرومين حتى يحرصوا على ذلك فيرجوه أو يتمنوه.

ونظير هذا وارد على ما تقدم من استدلالهم على أفضلية الإنسان من الملك بأن وجود الإنسان مركب من القوى الداعية إلى الطاعة والقوى الداعية إلى المعصية فإذا إختار الطاعة على المعصية وانتزع إلى الإسلام والعبودية كانت طاعته أفضل من طاعة الملائكة المفطورين على الطاعة المجبولين على ترك المعصية فهو أكثر قرباً وزلفى وأعظم ثواباً واجراً.

وهذا مبني على أصل عقلائي معتبر في المجتمع الإنساني وهو أن الطاعة التي هي إمتثال الخطاب المولوي من أمر ونهي ولها الفضل والشرف على المعصية وبها يستحق الأجر والثواب لو استحق إنما يترتب عليها أثرها إذا كان الإنسان المتوجه إليه الخطاب في موقف يجوز له فيه الفعل والترك متساوي النسبة إلى الجانبين، وكلما كان أقرب إلى المعصية منه إلى الطاعة قوي الأثر والعكس بالعكس فليس يستوي في إمتثال النهي عن الزنا مثلاً العنين والشيخ الهرم ومن يصعب عليه تحصيل مقدماته والشاب القوي البنية الذي ارتفع عنه غالب موانعه من لا مانع له عنه أصلاً إلا تقوى الله فبعض هذه التروك لا يعد طاعة وبعضها طاعة وبعضها أفضل الطاعة على هذا القياس.

ولما كانت الملائكة لا سبيل لهم إلى المعصية لفقدهم غرائز الشهوة والغضب ونزاهتهم عن الهوى كان إمتثالهم للخطابات المولوية الإلهية أشبه بامتثال العنين والشيخ الهرم لنهي الزنا وكان الفضل للإنسان في طاعته عليهم.

وفيه أنه لو تم ذلك لم يكن لطاعة الملائكة فضل أصلاً إذ لا سبيل لهم

إلى المعصية ولا لهم مقام استواء النسبة ولم يكن لهم شرف ذاتي وقيمة جوهرية إذ لا شرف على هذا إلا بالطاعة التي تقابلها معصية، وتسمية المطاوعة الذاتية التي لا تتخلق عن الذات طاعة مجاز، ولو كان كذلك لم يكن لقربهم من ربهم موجب ولا لأعمالهم منزلة. لكن الله سبحانه أقامهم مقام القرب والزلفى وأسكنهم في حظائر القدس ومنازل الأنس، وجعلهم خزان سره وحملة أمره ووسائط بينه وبين خلقه، وهل هذا كله لإرادة منه جزافية من غير صلاحية منهم وإستحقاق من ذواتهم؟ وقد أثنى الله عليهم أجزل الثناء إذ قال فيهم: **﴿بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون﴾**[1].

وقال: **﴿لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾**[2]. فوصف ذواتهم بالإكرام من غير تقييده بقيد ومدح طاعتهم وإستنكافهم عن المعصية. وقال مادحاً لعبادتهم وتذللهم لربهم: **﴿وهم من خشيته مشفقون﴾**[3]. وقال: **﴿فإن استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون﴾**[4].

وقال تعالى: **﴿واذكر ربك في نفسك ـ إلى أن قال ـ ولا تكن من الغافلين الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون﴾**[5]. فأمر نبيه ﷺ أن يذكره كذكرهم ويعبده كعبادتهم.

وحق الأمر أن كون العمل جائز الفعل والترك ووقوف الإنسان في موقف إستواء النسبة ليس في نفسه ملاك أفضلية طاعته بل بما يكشف ذلك عن صفاء طينته وحسن سريرته والدليل على ذلك أن لا قيمة للطاعة مع العلم بخباثة نفس المطيع وقبح سريرته وإن بلغ في تصفية العمل وبذل المجهود فيه ما بلغ كطاعة المنافق ومريض القلب الحابط عمله عند الله الممحوة حسنته عن ديوان الأعمال فصفاء نفس المطيع وجمال ذاته وخلوصه في عبوديته الذي يكشف عنه انتزاعه من المعصية إلى الطاعة وتحمله المشاق في ذلك هو الموجب لنفاسة عمله

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٢٧.

(٢) سورة التحريم، الآية: ٦.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٢٨.

(٤) سورة حم السجدة، الآية: ٣٨.

(٥) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٦.

وفضل طاعته.

وعلى هذا فذوات الملائكة ولا قوام لها إلا الطهارة والكرامة ولا يحكم في أعمالهم إلا ذل العبودية وخلوص النية أفضل من ذات الإنسان المتكدرة بالهوى المشوبة بالغضب والشهوة وأعماله التي قلما تخلو عن خفايا الشرك وشآمة النفس ودخل الطبع.

فالقوام الملكي أفضل من القوام الإنساني والأعمال الملكية الخالصة لوجه الله أفضل من أعمال الإنسان وفيها لون قوامه وشوب من ذاته، والكمال الذي يتوخاه الإنسان لذاته في طاعته وهو الثواب أوتيه الملك في أول وجوده كما تقدمت الإشارة إليه.

نعم لما كان الإنسان إنما ينال الكمال الذاتي تدريجاً بما يحصل لذاته من الإستعداد سريعاً أو بطيئاً كان من المحتمل أن ينال عن استعداده مقاماً من القرب وموطناً من الكمال فوق ما قد ناله الملك ببهاء ذاته في أول وجوده، وظاهر كلامه تعالى يحقق هذا الإحتمال كيف وهو سبحانه يذكر في قصة جعل الإنسان خليفة في الأرض فضل الإنسان وإحتماله لما لا يحتمله الملائكة من العلم بالأسماء كلها، أنه مقام من الكمال لا يتداركه تسبيحهم بحمده وتقديسهم له، ويطهره مما سيظهر منه من الفساد في الأرض وسفك الدماء كما قال تعالى: **﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعلٌ في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون﴾**(١). إلى آخر الآيات من سورة البقرة ـ ثم ذكر سبحانه وتعالى أمر الملائكة بالسجود لآدم ثم سجودهم له جميعاً فقال عز وجل: **﴿فسجد الملائكة كلهم أجمعون﴾**(٢).

ـ إن السجود كان خضوعاً منهم لمقام الكمال الإنساني ولم يكن آدم عليه السلام إلا قبلة لهم ممثلاً للإنسانية قبال الملائكة. فهذا ما يفيده ظاهر كلامه تعالى، وفي الأخبار ما يؤيده، وللبحث جهة عقلية يرجع فيها إلى مظانه.

---

(١) سورة البقرة، الآيات: ٣٠، ٣١، ٤٢، ٣٣.

(٢) سورة الحجر، الآية: ٣٠.

ـ قصة آدم وحواء في المصادر السريانية ومقارنتها بالعهد القديم والقرآن الكريم

التعليقة رقم (٦)

ـ تعتبر قصة آدم وحواء من القصص الديني المشترك في كل من التراث اليهودي والمسيحي والإسلامي. فهي تكوِّن جزءاً من قصة الخلق في الديانات التوحيدية وإستناداً إليها بنت هذه الديانات نظرتها إلى الإنسان من حيث طبيعته وعلاقته بالكون والطبيعة وعلاقته أيضاً بخالقه. وعلى الرغم من إتفاق الديانات التوحيدية على البناء العام لقصة آدم وحواء وعلى معظم الأحداث الخاصة بها إلا أن هناك بعض الإختلافات التشكيلية في تفاصيل أحداث القصة. كما أن هناك أيضاً بعض الاختلافات الجوهرية التي نشأت بسبب إختلاف الرؤية العامة لكل دين من الديانات التوحيدية عن الدين الآخر. فقد نشأت تفسيرات جديدة لقصة آدم وحواء تتناسب مع الفكر الديني الجديد الذي تعرض القصة من خلاله على الرغم من الاتفاق على كثير من الأحداث الواردة فيها.

أولاً: قصة آدم في المصادر السريانية:

ـ من المعروف أن المصدر الديني المسيحي الأساسي وهو العهد الجديد لم يشتمل على قصة الخلق تشبه تلك التي بدأ بها كتاب اليهود المقدس وهو العهد القديم. وبالتالي فالعهد الجديد لم يعط قصة لخلق آدم وحواء كما فعلت التوراة التي تمثل القسم الأول من العهد القديم. ولهذا نجد أن المفسرين المسيحيين للكتاب المقدس اعتمدوا اعتماداً كلياً في فهمهم وتفسيرهم للخلق

عامة وخلق الإنسان خاصة على ما ورد في العهد القديم من أخبار عن هذين الموضوعين. وبهذا يعتبر العهد القديم المصدر الأساسي لكتاب المسيحيين فيما يتعلق بقصة الخلق. وطبيعي أن يتأثر الكتّاب السريان بهذا الوضع فيعتمدوا على رواية العهد القديم اعتماداً تاماً بالإضافة إلى إعتمادهم أيضاً على التفاسير المسيحية الأولى التي وجدوها للكتاب المقدس. وربما يعتبر تعدد مصادر الكتّاب السريان السبب الرئيسي في الاختلافات التي وردت في كتاباتهم عن قصة الخلق عامة وخلق الإنسان خاصة.

وقد انقسمت هذه المصادر إلى قسمين رئيسيين أولهما المصادر اليهودية لقصة الخلق وعلى رأسها العهد القديم الذي احتفظ بالقصة الأساسية. وبالإضافة إلى العهد القديم هناك المصادر اليهودية الأخرى كالتلمود والشروح والتفسيرات اليهودية الخاصة بالعهد القديم.

والقسم الثاني من مصادر الكتّاب السريان خاص بمصادرهم المسيحية أولها العهد الجديد وإن لم يشتمل على قصة للخلق. ولكن اشتمل بالتأكيد على رؤية خاصة بالإنسان معتمدة على رؤية العهد القديم ومختلفة عنها في نفس الوقت. وبالإضافة إلى التفاسير السريانية والكتابات التاريخية والدينية للكتّاب السريان الذين اهتموا بتسجيل أحداث العالم منذ بداية الخليقة.

١ ـ خلق آدم في المصادر السريانية:

ـ يعتبر ابن العبري عن أهم المؤرخين السريان الذين اهتموا بكتابة تاريخ العالم. وقد ترك في هذا الموضوع مؤلفه الهام «تاريخ الأزمنة» الذي سجّل فيه تاريخ العالم منذ بداية الخليقة وحتى عام ١٢٩٦م. وقد بدأ ابن العبري بآدم عليه السلام ذاكراً بأنه أبو البشرية جمعاء وقد خلقه الرب يوم الجمعة ـ وهو سادس أيام الخليقة بعد خلق السموات والأرض والنور والحيوانات والطيور والأسماك وكل مخلوقات الأرض.

خلق الرب ذلك كله على امتداد خمسة أيام، وفي اليوم السادس خلق الرب آدم أول مخلوقات الجنس البشري: «خلق آدم أبو البشر يوم الجمعة وهو

يوم العروبة (عروبتا) في اليوم السادس من الشهر الأول وهو شهر نيسان من السنة الأولى للعالم»[١]. وتذكر المصادر أن الرب قبل خلقه لآدم خاطب الملائكة قائلاً لهم: «هلموا نخلق إنساناً بصورتنا يشبهنا وعارفاً مثلنا بالخير والشر مستطيعاً لفعلها فظهرت يمين مبسوطة فيها أجزاء من العناصر الأربعة ونفخ فيها نسيم الحياة فوجد آدم شاباً»[٢].

هذا وقد رفضت بعض المصادر[٣] فكرة مخاطبة الرب للملائكة واعتقدت أن الرب إنما يخاطب ذاته الإلهية وتمَّ تبرير استخدام صيغة الجمع في كلام الرب على أنها تشير إلى وجود الأقانيم الثلاثة في وحدانية الطبيعة[٤] ومن الواضح في تفسير ابن العبري لخلق آدم تأثره بما ورد في العهد القديم من فكرة خلق الإنسان على صورة الإله: «وقال الإله نهل الإنسان على صورتنا كشبهنا»[٥]. والمقصود بهذا كما يقول يعقوب الرهاوي ـ أحد المؤرخين ـ في مخطوطته: «أن الرب حينما دعا إلى خلق إنسان يشبهه وعارفاً مثله بالخير والشر كان المقصود أن يشبه الله من حيث نفسه وروحه فقط لا من حيث جسده لأن الله لا جسد له»[٦]. أو كما أشارت بعض التفاسير الحديثة أن المقصود من خلق الإنسان على صورة الإله هو خلق مخلوق طاهر بريء وهي الصفات التي فقدها آدم بعد الخطيئة»[٧]. هذا ونجد في بعض المصادر السريانية الأخرى تأييداً لابن العبري فالمؤرخ

---

(١) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير محمد عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني ـ الجزء الأول، دار الكتاب العربي ـ بيروت.

(٢) أوضح التفاسير ـ ابن الخطيب ـ المطبعة المصرية.

(٣) تاريخ مختصر الدول، ابن العبري أبو الفرج جريجوريوس ـ مطبعة الراهب انطوان الصالحاني سنة ١٨٩٠م.

(٤) ابن كثير: الحافظ عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي.

(٥) البداية والنهاية ـ الطبعة السادسة، الجزء الأول، مكتبة المعارف ـ بيروت ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

(٦) قصص الأنبياء ـ تحقيق مصطفى عبد الواحد ـ الطبعة الثانية، الجزء الأول، دار الكتب العلمية.

(٧) المختصر في أخبار البشر، أبو الفداء عماد الدين اسماعيل، الجزء الأول ـ دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت.

«ميخائيل السرياني الكبير» يؤيد رأي ابن العبري المأخوذ عنه العهد القديم ولكنه يستخدم كلمة «هيئة» بدلاً من كلمة «صورة» حيث يقول: «إن آدم الرجل أبا البشرية خلق على هيئة الرب»[1].

أما عن كيفية خلق آدم فقد ذكر ابن العبري «إن آدم خلق من اليد اليمنى للرب التي تحمل أجزاء العناصر الأربعة»[2]. وقد حدد العناصر الأربعة وهي الهواء والماء والتراب والنار ليظهر لنا قدرة الرب على خلق عبده من مزيج الطبيعة وليس من عنصر واحد.

وبذلك ظهر أبناء الإنسان الأول مختلفين في أشكالهم وأفرجتهم وطبيعتهم فكل واحد منهم كان فيه جزء من هذه العناصر الأربعة ولكن بنسب متفاوتة، كما أنه قصد أن يذكر أن اليد اليمنى هي التي خلق منها الرب الإنسان ليوضح لنا أن الإنسان مبارك من الرب بدليل أنه خلقه من يده وهي جزء من جسم الرب، وحدد اليمنى ليكون دليلاً على مباركته.

٢ ـ خلق حواء في المصادر السريانية:

عاش آدم في الجنة وحيداً لا يؤنس وحدته أحد من جنسه «وحدث أن ألقى الرب الرقاد على آدم وانتزع أحد أضلاعه من جانبه الأيمن وخلق منه حواء أم البشر»[3]. وهنا نجد ابن العبري يحدد الضلع الذي خلق الرب منه حواء. فقد ذكر أنه الضلع الأيمن بالذات. وذلك ليظهر لنا أن الرب قد خلق حواء من جزء من جسم الإنسان رمزاً إلى أن المرأة جزء من الرجل. وقد اعتمدت الكنيسة على هذا التفسير في تحريم الطلاق الذي حددته الكنيسة بأنه «انفصال الزوجين عن بعضهما أي إنفصال الروحين»[4]. كما أنه بتحديده للجانب الأيمن من آدم إنما

---

(١) قصص الآباء والأنبياء ـ بولس برسوم، الطبعة الثانية، مطبوعات الفرنسيسكان ـ الجيرة.

(٢) أسطورة النظرية السامية ـ الطبعة الأولى ـ الجزء الأول، دار دمشق، سوريا، ١٩٨٢م.

(٣) عرائس المجالس ـ الثعلبي ـ أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري، شركة الشمولي للطبع والنشر.

(٤) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د. جواد علي ـ الجزء الأول ـ دار العلم للملايين.

يقصد أن يكون ذلك من باب التبارك كما سبق وجعل آدم قد خلق من اليد اليمنى للرب. وإذا كان ابن العبري قد ركز على الضلع قد أخذ من الجانب الأيمن للرجل فإن ميخائيل السرياني لم يتعرض لتلك الحادثة. ولم يعطها أهمية كبرى. بل ذكر الخبر مختصراً دون تحديد بذكر للجانب الأيمن. أو لوضع آدم حين أخذ منه الضلع، وهل كان ذلك أثناء نومه أو في يقظته. وإهمال هذه التفاصيل من جانب ميخائيل السرياني لا تعبر عن عدم اهتمامه بكيفية خلق آدم وحواء. فقد ذكر في مكان آخر أن الأحداث الخاصة بخلق آدم وحواء واردة في الكتب الكهنوتية وفي كنونتية وفي كتب التاريخ التي تناولت الموضوع في دقة نظراً لأهميته[١].

وعن علاقة آدم بحواء يذكر أنيانوس الراهب أنه جاء في تاريخ أخنوخ «إن آدم عرف حواء بعد أن أخرج من الجنة وكان يبلغ من العمر وقتذاك سبعين عاماً»[٢].

وقد أظهر أنيانوس الراهب أن حواء خلقت في الأرض أي أنها لم تكن مع آدم في الجنة فهي تعد من مخلوقات الأرض. وهذا القول يقلل من مكانة المرأة. حيث أراد أن يجعلها مخلوقة أرضية كسائر البشر. ومعنى هذا أن حواء تأثيره على فهم مسألة الخطيئة فحسب رأي انيانوس الخطيئة من فعل آدم وحده. وحواء لم تشترك معه فيها لأنها لم تكن في الأصل موجودة مخلوقة معه في الجنة. فآدم هو الوحيد المسؤول عن الخطيئة والسقوط. وفي هذا تعارض واضح مع قصة التوراة ومع معظم المصادر السريانية التي اعتمدت عليها والتي اعتقدت أن حواء خلقت بعد آدم في الجنة. وأنها طردت معه بعد أن وقعت معه في الخطيئة من خلال دورها في حث آدم على الأكل من الشجرة المحرمة. ويلاحظ أن بعض المصادر الأخرى لم تتعرض لحواء وحياتها بل أهملتها فيما يتعلق بحياتها مع آدم في الجنة فنجد متوديوس يقول: بعد ثلاثين عاماً من خروجها من الجنة أنجبا أي آدم وحواء قايين وقليميا اخته وبعد ثلاثين عاماً

---

(١) موسوعة تاريخ الأقباط ـ الطبعة الثانية ـ الجزء الأول، مطابع البلاغ بالقاهرة، زكي شنودة.

(٢) الكشاف ـ الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، الجزء الأول.

أخرى أنجيا هابيل ولبوذا أخته[1] ويبدو ان متوديوس متفق مع أنيانوس في أن آدم وحواء لم يتقابلا في الجنة. وأن تعارفهما قد تم في الأرض ويتفق معهما أيضاً ديونيوس التلمحري[2] حيث نجده هو الآخر قد أشار إلى وجود حواء مع آدم في الأرض وذلك بعد نزول آدم. وأشار إشارة طفيفة إلى حواء وطريقة خلقها وبدأ في التحدث عن أبناء آدم وحواء مباشرة.

ثانياً: قصة آدم وحواء في العهد القديم:

ـ يعتبر العهد القديم المصدر الأول لقصة آدم وحواء والتي وردت في سفر التكوين كجزء من قصة الخلق التي تبدأ مع الإصحاح الأول. وقد اعتمدت المصادر اليهودية الأخرى والمصادر المسيحية ـ بما فيها المصادر السريانية ـ على الوصف التوراتي لخلق آدم وحواء، والتفاصيل المرتبطة بحياتها، وعلاقتهما بالكون وبالمخلوقات وبالإله الخالق. وقد أشارت الدراسات المقارنة إلى أن قصة الخلق التوراتية متأثرة بقصص الخلق الواردة في أدب بلاد ما بين النهرين وإن قصة خلق الإنسان لها أصولها في أدب الشرق الأدنى القديم عامة وأدب بلاد ما بين النهرين خاصة. ولعل الفارق الأساسي يكمن في ورود القصة في أدب الشرق الأدنى القديم في ظل الوثنية الدينية وتعدد الآلهة. بينما القصة التوراتية وردت في ظل التوحيد وعبادة الإله الواحد. ولهذا بلا شك أثره في توجيه القصة وجعلها متواكبة مع البيئة الدينية التي ظهرت وتطورت فيها. فالقصة التوراتية الخاصة بالخلق عامة وخلق الإنسان خاصة تخلصت من كل العناصر الوثنية وردَّت خلق الكون والإنسان إلى إله واحد حددت علاقته بالإنسان على أساس من الطاعة. بينما خلق الكون والإنسان في البيئات الوثنية عملية معقدة تشترك فيها مجموعة من الآلهة كل فيها مسؤول عن عنصر من عناصر الخلق وكثيراً ما يكون الصراع السمة المميزة لعلاقات هذه الآلهة ببعضها البعض من ناحية وبالإنسان من ناحية أخرى. أما في التوراة فعلاقة الخالق بالمخلوق علاقة

---

(١) كتاب مرشد الطالبين إلى الكتاب المقدس الثمين، الطبعة السابعة ـ المطبعة الأمريكانية.

(٢) تاريخ الرسل والملوك، الطبري: أبو جعفر محمد بن حرير، الجزء الأول ـ دار المعارف.

واضحة ومباشرة وخالية من هذا الصراع والهدف من خلق الإنسان توجيه العباد للإله الواحد وطاعته بدلاً من العمل في خدمة الآلهة كما هو الحال في الديانات الوثنية»[1].

ثالثاً: قصة خلق آدم وحواء في القرآن الكريم:

ـ إعترف الإسلام بالكتب السماوية السابقة على القرآن الكريم. كما اعترف بالأنبياء والرسل السابقين، وأمر المسلمين بالإيمان برسالتهم التي اتخذت من الدعوة إلى التوحيد هدفاً دينياً أساسياً لها. وقد نظر الإسلام إلى آدم عليه السلام على أنه أول الخلق وأول الأنبياء. وهو أيضاً أول المسلمين من وجهة النظر الإسلامية. وقد قبل المسلمون الوصف الذي ورد عن آدم وحواء في الكتب المقدسة السابقة.

ومما لا شك فيه أن القرآن الكريم قد احتوى على مادة دينية غزيرة بالنسبة لقصة آدم وحواء اعتمد عليها المفسرون المسلمون في تكوين صورة واضحة لآدم وطبيعته وقصة خلقه وخلق حواء وحياتهما في الجنة. ودور الشيطان في الوسوسة إليهما. ووقوعهما في معصية الله وطردهما من الجنة وكلها عناصر في القصة تتشابه إلى حد كبير مع قصة التوراة. ولذلك فعندما رغب المفسرون المسلمون في مزيد من التفاصيل عن آدم وحواء نجدهم يرجعون إلى كتب اليهود. فيأخذون منها ما يتناسب مع النظرة الإسلامية الواردة في القرآن الكريم. وقد أدى هذا إلى وجود كثير من وجوه التشابه بالإضافة إلى عدد من الاختلافات بين القصة القرآنية وشرحها في كتب التفسير وبين الوصف الذي وردت عليه في التوراة. كما أنه عند مقارنة القصة القرآنية مع القصة السريانية توجد العديد من وجوه الخلاف الدينية بين الفهم القرآني والفهم المسيحي لقصة آدم وحواء.

ويختلف القرآن الكريم مع العهد القديم ومع المصادر السريانية المعتمدة عليه في كون اليوم السادس للخليقة هو يوم خلق آدم. فالقرآن لم يحدد يوماً

(١) مجلة الغدير ـ المجلد الثالث ـ العدد ١٩، تصدر عن المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى، ص ١٢٩.

معيناً لخلق آدم كما أن القرآن لم يهتم بربط الخلق والمخلوقات حسب ترتيب معين ووفق خطة معينة كما فعل في العهد القديم والمصادر السريانية. والنقطة الوحيدة التي يتفق فيها القرآن الكريم مع العهد القديم والمصادر السريانية هي أن الله خلق الكون بما فيه الإنسان في ستة أيام كما في قوله تعالى: ﴿**الذي خلق السمٰوات والأرض وما بينهما في ستة أيام**﴾. ويختلف القرآن الكريم مع العهد القديم والمصادر السريانية فيما يتعلق بفكرة الراحة الإلهية. فالإله في القرآن الكريم لا يصيبه التعب ولا تتعرض ذاته لما يستوجب الراحة. ونظراً لأن فكرة الراحة الإلهية فيها مساس بالذات الإلهية وتشبيه لها بالذات الإنسانية فيما يتعرض لها من أحداث فقد رفضها الإسلام ولم يقبلها.

أما فيما يتعلق بكيفية خلق آدم فهناك إتفاق بين المصادر السريانية والعهد القديم والقرآن الكريم على الطريقة التي خلق بها الله سبحانه وتعالى آدم وهي أن الله نفخ فيه من روحه فبعث فيه الحياة.

ولكن الخلاف يظهر واضحاً في المادة التي خلق منها الله آدم (راجع المصادر).

أما القرآن الكريم فلم يتعرض لمكان نفخ الروح في آدم. فقد ذكر المفسرون أن الله تعالى بخلقه لآدم أراد فقط إبراز قدرته على الخلق وكيف أنه خلق عبده من الطين.

وعدم تحديده لمكان النفخ ربما يكون من باب إظهاره لعباده أن أي مكان سينفخ فيه الله تعالى ستدب فيه أي أن الله عز وجل قادر على كل شيء.

واتفقت المصادر السريانية والعهد القديم والقرآن الكريم على كيفية خلق حواء فالله خلق حواء من جزء من جسم آدم وهو «الضلع» وذلك أثناء نوم آدم وغفوته في الجنة وذلك ليجعل له الله أنيساً معه ولتشاركه الحياة.

ولكن اختلفت المصادر في تحديد الضلع الذي خلق الله منه حواء..

- المصادر السريانية والعهد القديم قد اتفقت في كثير من الأمور في قصة آدم وحواء إلا أن هناك مسألة واحدة تم فيها الاختلاف الجذري وهي مسألة الخطيئة التي عاقب عليها الرب آدم وحواء بالطرد من الجنة والحياة على الأرض

حسب نظرة العهد القديم ولكن المصادر السريانية أخضعت مسألة الخطيئة للرؤية المسيحية العامة وهي الأخذ باستمرار الخطيئة وباعتبارها أصلية في الإنسان حتى يظل دور المَسيح مستمراً في تحقيق الخلاص منها.

وهنا موقف القرآن الكريم أكثر صراحة من العهد القديم ومضاد لموقف المصادر المسيحية ومنها السريانية. بل لقد كان القرآن الكريم أكثر صراحة من العهد القديم في إعلان توبة آدم وحواء مباشرة ودون تسويف حتى تتضح الطبيعة الحقيقية للإنسان وكونه غير مخطىء بالفطرة وأنه قادر عن طريق التوبة من تحقيق الخلاص لنفسه. وأن الله أيضاً من خلال صفاته الأساسية وهي صفة التواب الرحيم يمنح الإنسان خلاصه من الخطيئة إذا أعلن التوبة النصوحة ووعد بعدم الوقوع في الذنب وأعلن طاعته لله عز وجل.

ـ حول الملائكة

ـ التعليقة رقم (٧)

ـ إن «معرفة العالم» في القرآن الكريم لا تنحصر بالموجودات المحسوسة، لأن هذا الكتاب المجيد يذكر من بين المخلوقات الإلهية ـ التي يشكل كل واحد منها جزءاً من عالم الوجود ـ موجودات لا نستطيع نحن إدراكها بما لدينا من قوى حسّية، ومن تلك الموجودات فئة تسمى بـ «الملائكة». وبسبب أننا لا نستطيع إدراكها بواسطة أجهزتنا الحسية لذا فنحن عاجزون عن معرفة خصائصها الوجودية وماهيتها، ويستثنى من ذلك بعض الجوانب التي بيّنها لنا خالقها في القرآن الكريم.

وتنقسم الآيات الواردة في هذا المضمار إلى فئتين:

فئة تبيّن أوصافها العامة، وفئة أخرى تفصّل أفعال بعض منها وتشرح خصائصها المميزة.

وما يظفر به الباحث من الآيات الشريفة بشكل عام هو: أنها موجودات لا تعصي الله ولا تملّ العبادة، وهي دائماً تسبّح الله وتقدسه، وهي مأمورة من قبل الله ومرسلة منه، فهذه صفاتها العامة.

ويبدو من الآيات أيضاً أنها ليست في مستوى واحد وإنما لبعضها درجات رفيعة. والأفعال التي تنسب إليها في القرآن هي أفعال متنوعة تعكس الأنواع المختلفة في الملائكة (وهو المعنى الأظهر) أو تتعلق بالمراتب المتعددة لوجودها.

وهذه نماذج من الآيات التي تتعلق بكل واحدة من الفئتين:

﴿الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلاً أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء إن الله على كل شيء قدير﴾(١).

فهذه الآية الكريمة تصف الله بأنه الذي جعل الملائكة رسلاً. ولعل ظاهرها يوحي بأن لجميع الملائكة لوناً من الرسالة، ولكن هذا الفهم ليس قوياً جداً فمن الممكن أن يكون مفاد الآية مفاد القضية المهملة(٢) فهناك رسل من بين الملائكة، ولو أننا صادفنا دليلاً يؤكّد أن بعض الملائكة لا رسالة له فإن ذلك عندئذ لا يكون متنافياً مع هذه الآية. **﴿يزيد في الخلق﴾**.

في هذه الجملة إشارة إلى أن أجنحة الملائكة لا تنحصر في الأربعة، وإذا شاء الله فإنه يخلق أجنحة أكثر من ذلك، وقد يفهم من هذه الجملة أن هناك ملائكة تتمتع بأكثر من أربعة أجنحة.

فما هو المقصود من الأجنحة هنا؟ أهي مثل أجنحة الطيور؟ إذن ما معنى أن يكون لها ثلاثة أجنحة؟ أم المقصود شيء آخر؟

من الواضح أنه لو لم يكن لدينا دليل من الخارج فإننا لا نستطيع أن نرفع

---

(١) سورة فاطر (الملائكة): الآية: ١.

(٢) هي تلك القضية التي لا يكون موضوعها شخص معيّن، وليس فيها ذكر للكلية ولا للجزئية ويعتبر هذا اصطلاحاً منطقياً، ومن أحب التوسع في ذلك فليرجع إلى أساس الاقتباس وسائر الكتب المنطقية.

أيدينا عن ظاهر الآية لمجرد استبعاد وجود الأجنحة الثلاثة ولكن بعض القرائن في الآيات الأخرى قد توحي بأن هذا التعبير كنائي أو استعاري، وسوف يذكر ذلك في محله فيما بعد بعون الله.

وبالنسبة لاختلاف رتب الملائكة يقول تعالى: **﴿وما منّا إلاّ له مقام معلوم﴾**[1] أي أن لكل ملك منزلة معينة. ويستفاد من بعض الآيات الأخرى أيضاً أن لبعض الملائكة صفة الأمر بالنسبة للبعض الآخر، من قبيل الأمين جبرائيل عليه السلام يقول جلّ وعلا: **﴿مطاع ثمّ أمين﴾**[2] فأمر جبرائيل مطاع في عالم الملكوت، إذن هناك ما يأمرهم جبرائيل. وكذا الآية المتعلقة بملك الموت:

﴿قل يتوفاكم ملك الموت﴾[3] وفي بعض الآيات الأخرى: **﴿توفته رسلنا﴾**[4].

وقد قيل في الجمع بين هاتين الآيتين (حيث ينسب قبض الروح في إحداهما لملك الموت وفي الأخرى لمجموعة من الملائكة) إن ملك الموت هو المأمور بقبض الأرواح ولكن له أعوانٌ وهو برسالتهم يؤدي هذه المهمة، ولعل بعض الأرواح يقبضها نفس هذا الملك الجليل صلوات الله عليه.

إذن هناك تفاوت في المنزلة بين ملك الموت والرسل الآخرين.

ـ أعمال الملائكة:

إن بعض الآيات تصرح بنسبة أعمال معيَّنة إلى الملائكة، ولكن بعضها الآخر يذكر عناوين تنطق ظاهراً أو بحسب الاحتمال على الملائكة[5]:

---

(١) سورة الصافات، الآية: ١٦٤.
(٢) سورة التكوير، الآية: ٢١.
(٣) سورة السجدة، الآية: ١٢.
(٤) سورة الأنعام، الآية: ٦٢.
(٥) وتوجد روايات تذكر في هذا المجال ولكن لما كانت دراستنا قرآنية فنحن نكتفي بالآيات.

١ ـ هناك آيات تصف الملائكة بأنهم حاملو الوحي ليوصلوه إلى الأنبياء عليهم السلام قال تعالى: **﴿قل نزّله روح القدس﴾**[1]، الظاهر إن المقصود من روح القدس هو جبرائيل عليه السلام وذلك من خلال هذه الآية الكريمة: **﴿من كان عدواً لجبريل فإنه نزّله على قلبك﴾**[2]. ويظهر من بعض الآيات الأخرى أن لبعض الملائكة الآخرين دخلاً في عملية نزول الوحي أيضاً، ومن الممكن أن يكون للوحي مراتب ودرجات بعضها يتم إبلاغه بوساطة جبرائيل عليه السلام، والبعض الآخر بوساطة سائر الملائكة: **﴿بأيدي سفرة كرام بررة﴾**[3]. فهذه من الآيات التي لا تصرح بكون هؤلاء البررة ملائكة وإنما يفهم من لحن الآية أن هؤلاء الرسل لا يمكن أن يكونوا من غير الملائكة.

ولدينا آيات لها نغمة عامة: **﴿ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده﴾**[4]. إن نغمة هذه الآية عامة ولكنه من الواضح أن هؤلاء الذين ينزل عليهم الوحي هم الأنبياء عليهم السلام وأن حاملي ذلك الوحي هم الملائكة.

٢ ـ إن نزول «الأمر الإلهي» (ويبدو من سياق الآية أن المقصود هو الأمر التكويني) يتم على أيدي الملائكة. أي أن للملائكة القوّة التنفيذية في تدبير العالم الذي يتم بأمر الله فهم الذين ينفذون هذا الأمر.

ويتضح هذا الموضوع بالربط بين هاتين الآيتين: **﴿يدبّر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدّون﴾**[5]. وفي آية أخرى ينسب هذا العروج إلى الملائكة: **﴿تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾**[6]. أي أن الملائكة تعرج نحو الله في يوم القيامة.

فمن الربط بين هاتين الآيتين يظهر بوضوح أن «نزول الأمر» كان بوساطة

---

(١) سورة النحل، الآية: ١٠٢.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٩٧.

(٣) سورة عبس. الآية: ١٦.

(٤) سورة النحل، الآية: ٢.

(٥) سورة السجدة، الآية: ٥.

(٦) سورة المعارج، الآية: ٤.

الملائكة ثم عروجه أيضاً كذلك. وليس المقصود هو «الفوقية المحسوسة»، وليس النزول هنا جسمانياً ينزل فيه شيء نحو الأسفل من الكرات الأخرى.

فالله تعالى أنزل من الأنعام ثمانية أزواج، وليس معنى هذا أن الأبقار وسائر الدواب كانت ترعى في الكرات السماوية ثم نقلها الله إلى الأرض وأنزلها إلى هذه الكرة. إنه النزول من الخزائن المعنوية لله سبحانه: **﴿وإن من شيء إلاّ عندنا خزائنه﴾**[١]. وعندما يتحقق في هذا العالم يُعبّر عن ذلك بـ «النزول»، أي أنه قبل ذلك كان في منزلة رفيعة ثم نزل معنوياً، فالملائكة ينزلون أمر تدبير الكون من العالم الذي هو عند الله وفيه خزائن الأشياء.

إذن للملائكة رسالتان: إحداهما الرسالة التكوينية التي بفضلها ينفذون الأمر التكويني الإلهي ويدبّرون شؤون هذا العالم. والأخرى الرسالة التشريعية التي يتم فيها إيصال الشرائع التي يوحيها الله تعالى إلى الأنبياء عليهم السلام. حيث أشار تعالى بقوله: **﴿فالمدبّرات أمراً﴾**[٢]، هم الملائكة، وكذا المقصود من المقسّمات في قوله تعالى: **﴿فالقسّمات أمراً﴾**[٣]. وذلك لأن التقسيم أيضاً من لوازم التدبير، أي كل ما يجعله الله رزقاً للعباد فإن هؤلاء يقسمونه، فهم وسطاء في إيصال لهم كل شخص إليه، وكذا في التقسيمات الأخرى.

٣ و٤ ـ توجد فئة من الملائكة تحمل العرش، وقد تكون هي أو فئة أخرى تشفع للمؤمنين: **﴿الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربّهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا﴾**[٤].. **﴿وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئاً إلاّ من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى﴾**[٥]. **﴿ولا يشفعون إلاّ لمن ارتضى﴾**[٦] وجاء في بعض الروايات: «من ارتضى الله دينه».

٥ ـ ومن أعمال الملائكة صبّ اللعن على الكفار: **﴿أولئك عليهم لعنة الله**

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٢١.
(٢) سورة النازعات، الآية: ٥.
(٣) سورة الذاريات، الآية: ٤.
(٤) سورة المؤمن، الآية: ٧.
(٥) سورة النجم، الآية: ٢٦.
(٦) سورة الأنبياء، الآية: ٢٨.

والملائكة والناس أجمعين﴾[1].

﴿أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله والملائكة﴾[2]

٦ ـ ومن أعمال الملائكة إعطاء البشارة للمؤمنين، ويفهم من القرائن أن هذه البشارة تكون عند الإحتضار: **﴿إن الذين قالوا ربّنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألاّ تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون﴾**[3].

٧ ـ ومن أعمال الملائكة تسجيل أعمال عباد الله: **﴿وإن عليكم لحافظين، كراماً كاتبين﴾**[4] **﴿إن رسلنا يكتبون ما تمكرون﴾**[5].. **﴿ما يلفظ من قول إلاّ لديه رقيب عتيد﴾**[6] **﴿بلى رسلنا يكتبون ما تمكرون﴾**[7].

٨ ـ من الآيات التي تبين عنواناً عاماً ولم تصرح باسم الملائكة ولكن القرائن تشهد بأن المقصود هم الملائكة هذه الآية الكريمة: **﴿له معقّبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله﴾**[8]. وتوجد في هذه الآية بحوث عديدة، ولعل هذا الاحتمال هو الأقوى وهو أن لكل إنسان حراساً من الملائكة يحفظونه حتى يحين قضاء الله الحتمي، ولكنها لم تصرح باسم الملائكة.

٩ ـ إمداد المؤمنين أيضاً أحد أعمال الملائكة: **﴿إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربّكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين، بلى، إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربّكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين﴾**[9].

ويقول تعالى في مجال آخر فيما يتعلق بالنبي الأكرم ﷺ: **﴿وإن تظاهرا**

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٦١.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٨٧.
(٣) سورة فصلت، الآية: ٣٠.
(٤) سورة الانفطار، الآية: ١١.
(٥) سورة يونس، الآية: ٢١.
(٦) سورة ق، الآية: ١٨.
(٧) سورة الزخرف، الآية: ٨٠.
(٨) سورة الرعد، الآية: ١١.
(٩) سورة آل عمران، الآية: ١٢٤ ـ ١٢٥.

عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير﴾[1].

بالإضافة إلى أعمال أخرى يقوم بها بعض الملائكة باعتبار شأنهم وفي موارد معينة وبالنسبة لأشخاص محددين كما حصل عندما نزل الملائكة ضيوفاً على إبراهيم عليه السلام ولوط عليه السلام وزكريا عليه السلام ومريم عليها السلام وفي قصة تابوت بني إسرائيل..

سبب أفضلية آدم عليه السلام على الملائكة من الناحية العلمية

التعليقة رقم (٨)

ـ قال تعالى: **﴿قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ـ إلى قوله: ـ ونقدس لك﴾**.

فشعر بأنهم إنما فهموا وقوع الإفساد وسفك الدماء من قوله سبحانه: إني جاعل في الأرض خليفة، حيث أن الموجود الأرضي بما أنه مادي مركب من القوى الغضبية والشهوية، والدار دار التزاحم، محدودة الجهات، وافرة المزاحمات، مركباتها في معرض الإنحلال، وانتظاماتها وإصلاحاتها في مظنة الفساد ومصب البطلان لا تتم الحياة فيها إلا بالحياة النوعية، ولا يكمل البقاء فيها إلا بالاجتماع والتعاون، فلا تخلو من الفساد وسفك الدماء، ففهموا من هناك أن الخلافة المرادة لا تقع في الأرض إلا بكثرة من الأفراد ونظام إجتماعي بينهم يفضي بالآخرة إلى الفساد والسفك، والخلافة وهي قيام شيء مقام آخر لا تتم إلا بكون الخليفة حاكياً للمستخلف في جميع شؤونه الوجودية وآثاره وأحكامه وتدابيره بما هو مستخلف، والله سبحانه في وجوده مسمى بالأسماء الحسنى متصف بالصفات العليا من أوصاف الجمال والجلال، منزه في نفسه عن النقص ومقدس في فعله عن الشر والفساد جلت عظمته، والخليفة الأرضي بما

---

(١) سورة التحريم، الآية: ٤.

هو كذلك لا يليق بالاستخلاف ولا يحكي بوجوده المشوب بكل نقص وشين الوجود الإلهي المقدس المنزه عن جميع النقائص وكل الأعوام، فأين التراب ورب الأرباب، وهذا الكلام من الملائكة في مقام تعرف ما جهلوه واستيضاح ما أشكل عليهم من أمر هذا الخليفة، وليس من الإعتراض والخصومة في شيء، والدليل على ذلك قولهم فيما حكاه الله تعالى عنهم: إنك أنت العليم الحكيم حيث صدر الجملة بأن التعليلية المشعرة بتسلم مدخولها فملخص قولهم يعود إلى أن جعل الخلافة إنما هو لأجل أن يحكي الخليفة مستخلفه بتسبيحه بحمده وتقديسه له بوجوده، والأرضية لا تدعه يفعل ذلك بل تجره إلى الفساد والشر، والغاية من هذا الجعل وهي التسبيح والتقديس بالمعنى الذي مر من الحكاية حاصلة بتسبيحنا بحمدك وتقديسنا لك، فنحن خلفائك أو فاجعلنا خلفاء لك، فما فائدة جعل هذه الخلافة الأرضية لك؟ فرد الله سبحانه ذلك عليهم بقوله: إني أعلم ما لا تعلمون وعلم آدم الأسماء كلها.

وهذا السياق: يشعر أولاً:

- بأن الخلافة المذكورة إنما كانت خلافة الله تعالى لا خلافة نوع من الموجود الأرضي كانوا في الأرض قبل الإنسان وانقرضوا ثم أراد الله تعالى أن يخلفهم بالإنسان كما احتمله بعض المفسرين، وذلك لأن الجواب الذي أجاب سبحانه به عنهم وهو تعليم آدم الأسماء لا يناسب ذلك، وعلى هذا فالخلافة غير مقصورة على شخص آدم عليه السلام بل بنوه يشاركونه فيها من غير إختصاص، ويكون معنى تعليم الأسماء إيداع هذا العلم في الإنسان بحيث يظهر منه آثاره تدريجاً دائماً ولو اهتدى إلى السبيل أمكنه أن يخرجه من القوة إلى الفعل؛ ويؤيد عموم الخلافة قوله تعالى: **﴿إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح»**[(١)].

وقوله تعالى: **﴿ثم جعلناكم خلائف في الأرض﴾**[(٢)]. وقوله تعالى: **﴿ويجعلكم خلفاء الأرض﴾**[(٣)].

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٦٩.

(٢) سورة يونس، الآية: ١٤.

(٣) سورة النمل، الآية: ٦٢.

ثانياً: إنه سبحانه لم ينف عن خليفة الأرض الفساد وسفك الدماء، ولا كذّب الملائكة في دعواهم التسبيح والتقديس، وقررهم على ما ادعوا، بل إنما أبدى شيئاً آخر وهو أن هناك أمراً لا يقدر الملائكة على حمله ولا تتحمله هذا الخليفة الأرضي فإنه يحكي عن الله سبحانه أمراً ويتحمل منه سراً ليس في وسع الملائكة، ولا محالة يتدارك بذلك أمر الفساد وسفك الدماء، وقد بدل سبحانه قوله: قال إني أعلم ما لا تعلمون. ثانياً بقوله: ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض، والمراد بهذا الغيب هو الأسماء لا علم آدم بها فإن الملائكة ما كانت تعلم أن هناك أسماء لا يعلمونها، لا أنهم كانوا يعلمون وجود أسماء كذلك ويجهلون من آدم أنه يعلمها، وإلا لما كان لسؤاله تعالى إياهم عن الأسماء وجه وهو ظاهر بل كان حق المقام أن يقتصر بقوله: قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم حتى يتبين لهم أن آدم يعلمها لا أن يسئل الملائكة عن ذلك فإن هذا السياق يعطي أنهم ادعوا الخلافة وأذعنوا بإنتفائها عن آدم وكان من اللازم أن يعلم الخليفة بالأسماء فسألهم عن الأسماء فجهلوها وعملها آدم، فثبت بذلك لياقته لها وإنتفائها عنهم، وقد ذيّل سبحانه السؤال بقوله: إن كنتم صادقين، وهو مشعر بأنهم كانوا إدعوا شيئاً كان لازمه العلم بالأسماء.

وقوله تعالى: وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم، مشعر بأن هذه الأسماء أو أن مسمياتها كانوا موجودات أحياء عقلاء، محجوبين تحت حجاب الغيب وأن العلم بأسمائهم كان غير نحو العلم الذي عندنا بأسماء الأشياء وإلا كانت الملائكة بأبناء آدم إياهم بها عالمين وصائرين مثل آدم مساوين معه، ولم يكن في ذلك إكرام لآدم ولا كرامة حيث علمه الله سبحانه أسماء ولم يعلمهم، ولو علمهم إياها كانوا مثل آدم أو أشرف منه، ولم يكن في ذلك ما يقنعهم أو يبطل حجتهم، وأي حجة تتم في أن الله تعالى يعلم رجلاً علم اللغة ثم يباهي به ويتم الحجة على ملائكة مكرمين لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون بأن هذا خليفتي وقابل لكرامتي دونكم؟ ويقول تعالى أنبئوني باللغات التي سوف يضعها الآدميون بينهم للإفهام والتفهيم إن كنتم صادقين في دعواكم أو مسألتكم خلافتي، على أن كمال اللغة هو المعرفة بمقاصد القلوب والملائكة لا تحتاج فيها إلى التكلم،

وإنما تتلقى المقاصد من غير واسطة، فلهم كمال فوق كمال التكلم، وبالجملة فما حصل للملائكة من العلم بواسطة أبناء آدم لهم بالأسماء هو غير ما حصل لآدم من حقيقة العلم بالأسماء بتعليم الله تعالى فأحد الأمرين كان ممكناً في حق الملائكة وفي مقدرتهم دون الآخر، وآدم إنما إستحق الخلافة الإلهية بالعلم بالأسماء دون إنبائها إذ الملائكة إنما قالوا في مقام الجواب: سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا، فنفوا العلم.

فقد ظهر مما مر أن العلم بأسماء هؤلاء المسميات يجب أن يكون بحيث يكشف عن حقائقهم وأعيان وجوداتهم، دون مجرد ما يتكفله الوضع اللغوي من إعطاء المفهوم فهؤلاء المسميات المعلومة حقائق خارجية، ووجودات عينية وهي مع ذلك مستورة تحت ستر الغيب غيب السموات والأرض والعلم بها على ما هي كان أولاً ميسوراً ممكناً لموجود أرضي لا ملك سماوي وثانياً: دخيلاً في الخلافة الإلهية[1].

ـ الحرية الداخلية

التعليقة رقم (٩)

ـ المخلوق العاقل حر في الإسلام، وهو الذي يقرر بحريته وإختياره التام موقفه من الأشياء والأحداث. وإرادة الله تأتي في مرحلة متأخرة عن إختيار العبد.

إن الفعل الإنساني يتم إنجازه نتيجة لإختيار المخلوق وحريته الداخلية مضافاً إليها ـ في مرحلة تالية إرادة الله، وذلك وفقاً للمعادلة التالية:
إرادة الإنسان + إرادة الله = الفعل.

(١) تفسير الميزان ـ الجزء الأول.

فالفعل مخلوق لإرادة الله، ولكن ليس ابتداءً، وإنما بعد أن يريده الإنسان ويقرره بتمام حريته، فهو ـ الفعل ـ نتيجة لعامل الحرية، يتلوه، تدخل الإرادة الإلهية في خلق الموقف الذي قرر الإنسان اتخاذه.

هذا تبسيط لنظرية أهل البيت عليهم السلام في مسألة حرية الإنسان وعلاقتها بالإرادة الإلهية، وذلك في النص الوارد عنهم «لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين الأمرين»[1]، فالمخلوق ليس مجبراً، لأننا بوجداننا ندرك ما نتمتع به من حرية داخلية مطلقة، والمخلوق ليس مفوضاً لا دخل لإرادة الله في خلق أفعاله، وفي تسيير الكون، بل إرادة الله حاضرة دائماً، ولكن في مرحلة لاحقة على قرار العبد الذي يتخذه.

١ ـ الأمر التكويني والأمر التشريعي:

إن الأمر الإلهي ينقسم إلى قسمين: أمر تكويني وأمر تشريعي.

أ ـ الإرادة التكوينية = الأمر التكويني.

إن الأمر التكويني يتعلق بالأفعال والأشياء المنسوبة إلى الله تعالى بصورة مباشرة. وهذا هو المعبر عنه في القرآن في جملة مواضع: **﴿إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾**.

والإرادة التكوينية قد تتعلق بوجود شيء، وقد تتعلق بوجود شيء ما (بمعنى أنه يراد عدمه) وقد يكون شيء لا تتعلق به الإرادة التكوينية من حيث وجوده ولا من حيث عدمه.

ونستطيع أن نفهم هذه الحقيقة إذا لاحظنا مواقفنا نحن من الأشياء والأحداث (وهذا مجرد مثال لتوضيح الفكرة) فثمة أشياء نريدها، فنسعى في سبيل تحقيقها وإيجادها وثمة أشياء لا نريدها (نريد عدمها) فنكافح في سبيل ذلك، ونسد عليها جميع منافذ الوجود بحسب ما نستطيع. والفرق بين إرادتنا وإرادة الله هو أن إرادتنا كثيراً ما تحقق في تحقيق رغباتنا، وإرادة الله تحقق

(١) انظر كتاب البيان في تفسير القرآن ـ السيد الخوئي (قدس سره)، ص ٨٧ ـ ٨٩.

دائماً، وأن ثمة رغبات يستحيل علينا تحقيقها، ولا يستحيل على إرادة الله شيء.

على هذا الضوء:

١ ـ إذا أراد الله وجود شيء تكويناً فلا بد أن يوجد ذلك الشيء.

٢ ـ إذا لم يرد الله وجود شيء تكويناً (أراد عدمه) فلا يمكن أن يوجد ذلك الشيء، لأنه يكون مستحيلاً.

وهذان الموردان هما مجال عمل الإرادة التكوينية المباشرة التي لا تتخلف عن المراد، ويبقى مورد ثالث للإرادة التكوينية تعمل فيه بصورة غير مباشرة، وإنما يتبع إرادة العبد، وهذا المورد يتضح لنا عند بيان الأمر التشريعي:

ب ـ الإرادة التشريعية = الأمر التشريعي:

إن الأمر التشريعي (أو النهي التشريع) هما الأمر والنهي المتعلقان بأفعال العباد (الإنسان والملائكة، الجن، ومنهم إبليس) وفعل العبد (أو تركه) منسوب إلى العبد حقيقة، فهو الذي يفعل، وهو الذي يترك، ويتمتع بالحرية المطلقة في إطاعة الأمر الإلهي والنهي الإلهي وعصيانهما. ولكن العبد عاجز عن خلق أفعاله بنفسه، فهو يمارس حريته بمعونة الإرادة الإلهية، فإذا قرر العبد موقفاً معيناً من شيء (والعبد يمارس حرية مطلقة في إتخاذ قراره بدون تدخل للإرادة الإلهية) حينئذٍ ـ وبعد أن يتخذ العبد قراره يأتي دور الإرادة الإلهية في تحقيق قرار العبد بإعانته على جعل قراره النظري نافذاً في الواقع. وبهذا يتأكد مبدأ الحرية، إذ بدُون تحقيق إرادة العبد تبقى حريته نظرية لا قيمة لها.

وقد بينا هذه الحقيقة في مطلع هذا البحث عند حديثنا عن الحرية الداخلية إن الله كلف العباد، وأمرهم بالطاعة، وإعطاء الحرية، وجعلهم مسؤولين عن كيفية ممارستهم لحريتهم، فإذا قرروا الطاعة فهم أحرار في اتخاذ هذا القرار، وإذا قرروا المعصية فهم أحرار في اتخاذ هذا القرار، ويتحملون مسؤوليته ولأجل أن تتحقق لهم حريتهم الكاملة تتدخل الإرادة الإلهية في تنفيذ قراراتهم التي اتخذوها.

على هذا الضوء نصل إلى النتائج التالية:

١ ـ الإرادة التكوينية، مجال عملها عالم الأشياء.

٢ ـ الإرادة التشريعية (الأمر التشريعي) مجال أفعال العباد، ولا دخل للإرادة التكوينية فيه إلا بالنحو الذي بيناه، وهو كما قلنا لا يتعارض مع مبدأ الحرية، بل يؤكد مبدأ الحرية، ويجعله واقعاً عملياً معاشاً.

٣ ـ لأن الله تعالى جعل الإنسان حراً، فلا يمكن أن يأمره بشيء تشريعاً ويريد منه خلافه تكويناً، بل إذا أمره بشيء تشريعاً يترك له حرية اتخاذ قراره، وينفذ له قراره الذي اتخذه.

خبر اليسع وذي الكفل عليهما السلام

ـ التعليقة رقم (١٠)

ـ ذكر سبحانه اسمهما في كلامه وعدهما من الأنبياء وأثنى عليهما وعدهما من الأخيار وعد ذا الكفل من الصابرين «سورة الأنبياء، الآية: ٧٥» ولهما ذكر في الأخبار.

في خبر طويل رواه الحسن بن محمد النوفلي عن الإمام الرضا عليه السلام فيما احتج به على جاثليق النصارى أن قال عليه السلام: أن اليسع قد صنع مثلما صنع عيسى عليه السلام مشى على الماء وأحيى الموتى وأبرء الأكمه والأبرص فلم يتخذه رباً، الخبر[1].

وعن عبد العظيم الحسني قال: كتبت إلى أبي جعفر الثاني عليه السلام أسأله عن ذي الكفل ما إسمه؟ وهل كان من المرسلين؟

فكتب صلوات الله وسلامه عليه: بعث الله تعالى جلّ ذكره مائة ألف نبيّ وأربعة وعشرين ألف نبيّاً، المرسلون منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، وإنّ ذا

---

(١) بحار الأنوار عن الإحتجاج والتوحيد والعيون ـ الجزء الثاني ـ ص ٤١٥، الخبر.

الكفل منهم صلوات الله عليهم، وكان بعد سليمان بن داود عليه السلام وكان يقضي بين النّاس كما كان يقضي داود، ولم يغضب إلاّ لله عزّ وجلّ، وكان إسمه عويدياً[1]، وهو الّذي ذكره الله تعالى جلّت عظمته في كتابه حيث قال: **﴿واذكر إسماعيل واليسع وذا الكفل وكلّ من الأخيار﴾**[2].

بيان: قال الشيخ أمين الدين الطوسيّ: أمّا ذو الكفل فاختلف فيه فقيل: إنّه كان رجلاً صالحاً ولم يكن نبيّاً، ولكنّه تكفّل لنبيّ صوم النهار، وقيام اللّيل، وأن لا يغضب، ويعمل بالحق فوفى بذلك فشكر الله ذلك له.

وقيل: هو الياس، عن ابن عباس، وقيل: كان نبيّاً وسمّي ذا الكفل بمعنى أنه ذو الضعف فله ضعف ثواب غيره ممّن هو في زمانه، لشرف عمله إلى آخر الخبر[3] والكفل أيضاً الحظ وسمي ذا الكفل لما له من الحظ[4].

وقال البيضاوي[5]: «وذا الكفل» يعني الياس، وقيل: يوشع؛ وقيل زكريا[6].

قال بعضهم: ذو الكفل بشر بن أيّوب الصابر، بعثه الله بعد أبيه رسولاً إلى أرض الروم، فآمنوا به وصدّقوه واتّبعوه، ثمّ إنّ الله تعالى أمرهم بالجهاد فأبوا وقالوا: يا بشر إنّا قومٌ نحب الحياة ونكره الموت، ومع ذلك نكره أن نعصي الله ورسوله، فإن سألت الله تعالى أن يطيل أعمارنا ولا يمتنا إلاّ إذا شئنا لنعبده ونجاهد أعداءه، فقال لهم بشر بن أيّوب: لقد سألتموني عظيماً وكلّفتموني شططاً، ثم إنّه قام وصلى ودعا وقال: «إلهي أمرتني أن نجاهد[7] أعداءك، وأنت تعلم أنّي لا أملك إلاّ نفسي، وإنّ قومي قد سألوني ما أنت أعلم به منّي، فلا

---

(١) الميزان في تفسير القرآن ـ المجلد السابع عشر، الجزء الثالث والعشرون، ص ٢١٦/ ميزان الحكمة، ج٩، ص ٤٨٨.

(٢) سورة ص، الآية: ٤٨.

(٣) مجمع البيان، الطبرسي، ج٧، ص ٥٩ ـ ٦٠، وفيه اسمه عدويا بن ادارين.

(٤) معادن الجواهر ونزهة الخواطر، ص ١٠٨.

(٥) تفسير البيضاوي.

(٦) أنوار التنزيل، ج٢، ص ٨٩.

(٧) في المصدر: قال: إلهي أمرتني بتبليغ الرسالة فبلغتها، وأمرتني أن أجاهد.

تأخذني[1] بجريرة غيري، فإني أعوذ برضاك من سخطك، وبعفوك من عقوبتك».

قال: وأوحى الله تعالى إليه: يا بشر إنّي سمعت مقالة قومك، وإنّي قد أعطيتهم ما سألوني، فطوّلت أعمارهم فلا يموتون إلاّ إذا شاؤوا، فكن كفيلاً لهم مني بذلك فبلّغهم بشر رسالة الله فسمّي ذا الكفل. . إلى آخر الخبر[2].

وقال السيد ابن طاووس، قيل: إنّه تكفّل لله تعالى جلّ جلاله أن لا يغضبه قومه فسمّي ذا الكفل؛ وقيل: تكفّل لنبيّ من الأنبياء أن لا يغضب فاجتهد إبليس أن يغضبه بكلّ طريق فلم يقدر فسمّي ذا الكفل لوفائه لنبيّ زمانه أنه لا يغضب[3].

وقال بعضهم: «سمي ذا الكفل لأنه تكفل بصيام جميع نهاره وقيام جميع ليله وأن يقضي بين الناس ولا يغضب فوفى بذلك وقيل لم يكن نبياً»[4].

وهناك روايات متفرقة أخرى في قصصهما عليهما تركنا إيرادها لضعفها وعدم الإعتماد عليها.

كفر إبليس ونفاقه

ـ التعليقة رقم (١١)

ـ يبدو من دراستنا لعدد من الأحاديث أن إبليس ـ قبل تمرّده وإستكباره عن السجود لآدم ـ كان يعبد الله:

---

(١) في المصدر: فلا تؤاخذني.

(٢) كتاب العرائس ـ الثعلبي، ص ٩٥.

(٣) سعد السعود، ابن طاووس، ص ٢٤١، الطبعة الحيدرية في النجف الأشرف.

(٤) تفسير الجلالين ـ السيوطي.

نرى أن أمير المؤمنين عليه السلام يقول في خطبته القاصعة: «.. إتّعظوا بما فعله الله بإبليس فقد أحبط الله عمله ومسعاه على مدى الدهر، وهو الذي عبد الله ستة آلاف سنة، ولا نعلم أكانت هذه السّنون من سنوات الدنيا أو الآخرة»[1].

ـ ويكتب المرحوم المجلسي توضيحاً للرواية التي ذكرها العياشي في تفسيره حول تصوُّر الملائكة أن إبليس من جنسها: «كانت الملائكة تظن أن إبليس في طاعته وعدم معصيته من جنسها، لأنه كان مواظباً في عمله على عبادة ربه عبر زمان طويل»[2].

والإمام جعفر الصادق عليه السلام قال: «عبَد إبليس ربه في السماء مدة سبعة آلاف سنة بركعتين، والله تعالى كذلك منحه مزايا في مقام مكافأته على عبادته»[3].

ـ وسئل الإمام نفسه عليه السلام: «لماذا قال الله لإبليس: أدَعُك تضلُّ بني آدم إلى يوم الوقت المعلوم؟ فأجاب: لسابق علمه الذي كوفىءَ عليه.. فقال الراوي: وماذا كان هذا العمل؟ قال: ركعتان عبدَ بهما الله عبرَ ألفي أو أربعة آلاف سنة»[4].

ونرى من ناحية أخرى في نهج البلاغة أن مدة عبادة إبليس تبلغ ستة آلاف سنة ربما أن كلمة «سبعة» في نهج البلاغة صُحفت وقرئت «ستة». كما أننا نجد في بعض الروايات أن سجدة إبليس الواحدة طالت مدة أربعة آلاف سنة[5].

ومن خلال هذه الروايات لا نستطيع أن نقول أن إبليس كان في الأصل كافراً، ما لم نحسب عبادته هذه رياءً، ذلك أن بعض الروايات تؤكد أن إبليس كان كافراً ومنافقاً في الأصل. وهذا ما يقودنا إلى البحث حول كفر إبليس ونفاقه.

---

(١) نهج البلاغة: ٢/ ١٦٣ ـ أنظر كذلك البحار: ٦٣/ ٢١٤.

(٢) تفسير العياشي: ١/ ٣٤ ـ البحار ٦٣/ ٢١٨، ٢١٩.

(٣) علل الشرائع: ٢/ ٢١٣ ـ البحار: ٦٣/ ٢٤٠.

(٤) تفسير القمي: ٣٥، علل الشرائع: ٢/ ٢١٢ ـ البحار: ٦٣/ ٢٤٠ و٢٧٥.

(٥) سفينة البحار: ١/ ١٠٢.

وهذا الموضوع أيضاً موضع خلاف بين العلماء، فمنهم من يقول:

أ ـ كان إبليس منافقاً وكافراً في أثناء عبادته وقبل إستكباره:

يورد مؤيدو هذه النظرية عدداً من الأدلة إثباتاً لما ذهبوا إليه:

١ ـ المناظرة التي تمت بين إبليس والملائكة: بعد الأمر بالسجود لآدم وجواب الله تعالى بشأنها تُثبت أن إبليس كان على كفر ونفاق ذكر هذه المناظرة محمد بن عبد الكريم الشهرستاني في مطلع كتابه «الملل والنحل» نقلاً عن «أزماري» ـ شارح الأناجيل الأربعة ـ والذي إستقاها من التوراة، وأجراها بين إبليس والملائكة»[1].

ومما يثبت أن إبليس ذو سابقة في الكفر قوله تعالى: **﴿وكان من الكافرين﴾**[2] ومعناها الظاهري يؤيد كفره ونفاقه القديمين [ولم تكن عبادته إلا نوعاً من مجاراة الملائكة] وخوفاً من أن يفتضح أمره، وهذا يؤيد نفاقه في أعماله.

٢ ـ دليل آخر على قدم كفره ونفاقه: هو مسألة الموافاة. والموافاة ـ هنا ـ أداء المرء حقَّه كاملاً، وهذه تؤيد عمق كفر إبليس وقدم نفاقه.

يقول الفخر الرازي حول هذا الموضوع: «الإيمان يوجب الثواب الدائم، والكفر يوجب العقاب الدائم، والجمع بين الثواب الدائم والعقاب الدائم محال، إذا آمن متأخراً فسيقع في الكفر أو أنه يأتيه لكنه [يعني الثواب الدائم والعقاب الدائم] يظل الكفر يتبعه وهذا فرض مُحال.

أو أن استحقاق العقاب ـ لكفره ـ يمحو استحقاق الثواب، وهذا الفرض محال أيضاً لأن الإعتقاد بالإحباط باطل.

إن شرط الحصول على الإيمان هو أن الفرد لن يبقى كافراً أبداً، لكن إذا إنتهت حياة الإنسان وكان في آخر حياته على الكفر نستنتج أنه لم يكن مؤمناً.

---

(١) راجع هذه المناظرة اللطيفة في التفسير الكبير: ١/٢٣٦ و٢٣٧ ـ الجامع لأحكام القرآن: ١/٢٩٨. ولإختلاف التعبير أنظر: الملل والنحل: ١/١٦ ـ ١٨.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٣٤.

ونحن نعلم أن خاتمة عمل إبليس كانت كفراً، فعلينا أن نقول إنه لم يتحمَّل بالإيمان قط[1].

ب ـ ومنهم من يعطي توجيهات متعلقة بقدم إيمان إبليس قبل الأمر بالسجود لآدم: النظرية الأخرى أن إبليس كان مؤمناً ثم انجرف إلى الكفر. ومؤيدو هذه النظرية يفسرون قوله تعالى: ﴿**وكان من الكافرين**﴾. ويبدون آراء متعددة بهذا الصدد:

١ ـ إن الله كان يعلم منذ الأزل أن إبليس سيتحول إلى كافر [بمعنى أن عِلمَ الله يحدّد منذ بدء الخليقة أن إبليس سيغدو من زمرة الكافرين].

٢ ـ مع أن إبليس كان في وقت ما مؤمناً فإن هذا الإيمان كان مخلوطاً بالكفر وبعد مضي هذا الزمان [وإن كان قصيراً] كان مناسباً أن يستخدم الفعل الماضي «كان» حول موضوع كفره[2].

٣ ـ «كان» بمعنى «صار» بمعنى أن إبليس مع أنه كان مؤمناً فإنه غدا فيما بعدُ كافراً بسبب إستكباره، كقوله تعالى: ﴿**فكان من المغرقين**﴾[3].

حول إبن نوح الذي لم يكن من الغرقى، لكنه صار منهم حين رفض طاعة نوح[4].

﴿**كان من الكافرين**﴾ يعني أن الله سبّب لإبليس الكفر بإستكباره ليسلب منه إيمانه[5].

---

(١) التبيان للطبرسي: ١/ ١٥٤، التفسير الكبير: ١/ ٢٣٧، مجمع البيان: ١/ ٨٣، أنوار التنزيل: ١/ ١٤٢، روح المعاني: ١/ ٢٠٣ و٢٣٢، البحار: ٦٣/ ٣٠٩ و٣١٠.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) سورة هود، الآية: ٤٣.

(٤) أنوار التنزيل: ١/ ١٤١، ١٤٢، الكشاف: ٣/ ٣٨٢، جامع البيان: ١/ ١٨١، الجامع لأحكام القرآن: ١/ ٢٩٨. روح المعاني: ١/ ٢٢٩ و٢٣١ ـ الكافي (أصول) ح: ٢٥٤٨.

(٥) الدر المنثور: ١/ ٥١.

رأي الشيعة حول قدم كفر إبليس:

وقد ذهب علماء الشيعة إلى الرأي الأول، وهو أن إبليس كان من الأساس كافراً إنسجاماً مع ظاهر الآية المباركة، لأن تأويل (كان) بـ (صار) خروج على الظاهر من دون دليل. كما أن لازم القول بإيمانه ثم كفره هو الإحباط وهو باطل عندنا[1].

حول السحت

تعليقة رقم (١٢)

ـ إن الإسلام يقبل حق الإنسان في تحصيل أمتعة الحياة، ويؤمن بحريته الكاملة في طرق التكسب، وتوفير لوازم المعيشة، إلا أن الإسلام لا يسمح أبداً في أن يسلك الإنسان من أجل توفير لوازم المعيشة ـ الطرق التي تفسد أخلاقه وتضعه في معرض السقوط والإنحطاط، أو تجر إلى الضرر بالتمدن الإنساني، وتفسد نظام المدنية.

إن القانون الإسلام لم يحرم فقط المشروبات الكحولية، والمواد المخدرة، وسائر الفواحش والمنكرات، بل حرم كل الطرق التي توصل إلى تلك النتائج، فصنعها والتوسط فيها، وبيعها، وشراؤها، وإستعمالها حرام أيضاً.

الإسلام بنحو عام لا يرى الزنى والفحشاء عملاً إنسانياً، ولا يعد الرقص حرفة مشروعة ولا يعتبر الغناء طريقاً صحيحاً للكسب.

لقد اعتبر الإسلام كل عمل يؤدي إلى منفعة شخص والإضرار بأشخاص آخرين أو بمجتمع بشري كامل جرماً، ويعده ذنباً، أوعد عليه في الدنيا بعقاب شديد في الآخرة بعذاب أليم، وذلك مثل تعاطي الرشوة، السرقة ـ الرسمية وغير

---

(١) راجع روح الجنان: ١/ ٨٨ ـ ٨٩.

الرسمية ـ القمار، الربا وكل معاملة ومعاطاة فيها غش، وهكذا إحتكار المواد الغذائية، والبضائع التي يحتاجها الإنسان، من أجل أن تتصاعد أسعارها بنحو تؤدي إلى الضغط المعيشي، وصعوبة الحياة، وهكذا كل الطرق التي تجر إلى النزاع والحرب والجدل..»[1].

وأخيراً إعرف عَدوَّك:

ـ هذه معلومات عن عدوك اللدود إبليس عليه لعنة الله.
ـ الإسم: إبليس.
ـ اسمه في السماء: الحارث.
ـ البلدة: قلوب الغافلين.
ـ العشيرة: الطواغيت.
ـ المكان الدائم: جهنم وبئس المصير.
ـ مذهبه: الكفر وهو أول من كفر.
ـ جنسه: من الجن.
ـ صفته: الرجيم: وهو المرجوم باللعن المطرود من مواضع الخير ومذبذب حسب المصلحة.
ـ خلقه: من النار. وهي نار السموم.
ـ ميزاته: ١ ـ أول من تغنى.
٢ ـ أول من ناح.
٣ ـ أول من لاط بنفسه.
ـ علمه: السحر.
ـ قراءته: الشعر.
ـ كتابته: الوشم.
ـ طعامه: كل ميتة وما لم يذكر إسم الله عليه.
ـ شرابه: كل مسكر.

---

(١) كتاب الإسلام والمعضلة الاقتصادية ـ السيد أبو علي المودودي.

- سكنه: الحمّام (الكنيف) الخلاء.
- مجلسه: الأسواق.
- الدرجة: فاسق من الدرجة الأولى.
- الأقطار: التي لا يذكر فيها إسم الله.
- طريق الرحلة: عوجا.
- رأس المال: الأماني.
- أعداء الرحلة: المسلمون العاملون بإخلاص.
- الدليل: السراب.
- شعار العمل: النفاق سيد الأخلاق.
- لباس العمل: جميع الألوان كالحرباء فلكل مكان لون.
- زوجة الدنيا: الكاسيات العاريات.
- يحب من؟: الغافلين عن ذكر الله.
- يزعجه: الإستغفار.
- بداية ظهوره: يوم أن رفض السجود لآدم.
- زملاؤه: المنافقون.
- مصدر رزقه: المال الحرام.
- غرفة عملياته: الأماكن النجسة ومحال المعاصي.
- خدماته: يأمر بالمنكر ويرغب فيه.
- أوامره: يأمر بالفحشاء.
- الديانة: الكفر.
- الوظيفة: مدير عام المغضوب عليهم والضالين.
- مدة الخدمة: إلى يوم القيامة.
- جهة السفر: صراط الجحيم.
- أرباح التجارة: هباءً منثوراً.
- رفيق الرحلة: شياطين الجن والإنس.
- رفيق العمل: الساكت عن الحق.
- نوع الركوبة: الكذب.
- الأجرة: مأزور هو وأتباعه.

ـ جهاز الإتصال: الغيبة والنميمة والتجسس.
ـ يخاف ممن؟: المؤمن التقي.
ـ يكره من؟: الذاكرين الله كثيراً والذاكرات.
ـ الدفاع: إن كيد الشيطان كان ضعيفاً.
ـ مصائده: النساء.
ـ هوايته: الغواية والضلال.
ـ أمنيته: أن يكفر الناس جميعاً.
ـ نهايته: يوم الوقت المعلوم.
ـ أفضل عمل له: اللواط والسحاق.
ـ كلمة السر لأتباعه: «أنا» كلمة المتكبرين.
ـ من مطربوه؟: الفنانون والفنانات.
ـ وعوده: يعدكم الفقر.
ـ ما يبكيه: كثرة السجود.

الخاتمة

- إن إبليس لعنه الله موجود مخلوق ذو شعور وإرادة يدعو إلى الشر ويسوق إلى المعصية كان في مرتبة مشتركة مع الملائكة غير متميز منهم إلا بعد خلق الإنسان وحينئذٍ تميز منهم ووقع في جانب الشر والفساد، وإليه يستند نوعاً من الإستناد انحراف الإنسان عن الصراط المستقيم وميله إلى جانب الشقاء والضلال ووقوعه في المعصية والباطل كما أن الملك موجود ذو إدراك وإرادة إليه يستند نوعاً من الإستناد اهتداء الإنسان إلى غاية السعادة ومنزل الكمال والقرب، وإن لإبليس أعواناً من الجن والإنس وذرية مختلفي الأنواع يجرون بأمره إياهم أن يتصرفوا في جميع ما يرتبط به الإنسان من الدنيا وما فيها بإظهار الباطل في صورة الحق، وتزيين القبيح في صورة الحسن الجميل.

وهم يتصرفون في قلب الإنسان وفي بدنه وفي سائر شؤون الحياة الدنيا من أموال وبنين وغير ذلك بتصرفات مختلفة اجتماعاً، وانفراداً وسرعة وبطؤاً، وبلا واسطة ومع الواسطة والواسطة ربما كانت خيراً أو شراً وطاعة أو معصية.

ولا يشعر الإنسان في شيء من ذلك بهم ولا أعمالهم بل لا يشعر إلا بنفسه ولا يقع بصره إلا بعمله فلا أفعالهم مزاحمة لأعمال الإنسان ولا ذواتهم وأعيانهم في عرض وجود الإنسان غير أن الله سبحانه أخبرنا أن إبليس من الجن وأنهم مخلوقون من النار، وكان أول وجوده وآخره مختلفان. وإن مداخل ووسائل وأعمال الشيطان أكثر مما تحصر في هذا البحث ولكنها محاولة أسأل الله عز وجل أن تكون خالصة لوجهه الكريم وأن تكون خالية من الرواية الضعيفة والموضوعة صافية صفاء السنّة المطهرة.

وما أردت في هذه المحاولة أن أجعل القارئ العزيز في حالة يأس متردداً في أعماله، غير واثق من خطاه، ولكنني أؤمن أن الذين عقدوا البيعة مع الله على أن ينصروا دينه أو يموتوا في سبيله هم أحوج الناس لمعرفة دروب إبليس ومداخله، ليخلصوا أنفسهم منها فينطلقون لاستئصال الباطل من أنفس الناس وبناء الحق مكانه.

ومع ذلك فهي محاولة لا تخلو من خطأ أو ضعف في بعض النقاط ولا أعني بذلك سد باب النقد، إنما أردت أن أذكر حقيقة ينساها الكثيرون.

وأختم ما ابتدأت به في المقدمة بأنني على إستعداد لتقبل كل نقد وملاحظة واقتراح، ورحم الله امرءًا أهداني عيوبي، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المصادر والمراجع

١ ـ القرآن الكريم.
٢ ـ نهج البلاغة ـ الشيخ محمد عبده ـ دار التعارف للمطبوعات.
٣ ـ شرح نهج البلاغة ـ إبن أبي الحديد ـ دار مكتبة الحياة.
٤ ـ الميزان في تفسير القرآن ـ السيد محمد حسين الطباطبائي ـ مؤسسة الأعلمي ـ بيروت.
٥ ـ مجمع البيان ـ الطبرسي ـ دار المعرفة.
٦ ـ تفسير القرآن الكريم ـ السيد عبدالله شبر ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت لبنان.
٧ ـ التفسير المبين ـ الشيخ محمد جواد مغنية ـ مؤسسة عز الدين.
٨ ـ التبيان في تفسير القرآن ـ الطوسي محمد بن الحسن ـ المطبعة العلمية ـ النجف الأشرف.
٩ ـ تفسير الكاشف.
١٠ ـ تفسير الكشاف ـ الزمخشري. دار الفكر للطباعة والنشر ـ بيروت ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م.
١١ ـ تفسير البرهان ـ للبحراني.
١٢ ـ تفسير المنار ـ محمد رشيد رضا ـ مطبعة دار المنار القاهرة.
١٣ ـ التفسير المعين ـ للواعظين والمتّعظين ـ محمد هويدي ـ دار البلاغة.
١٤ ـ البيان في تفسير القرآن ـ السيد أبو القاسم الخوئي ـ دار الزهراء، لبنان بيروت.
١٥ ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ـ محمد فؤاد عبد الباقي، دار

إحياء التراث العربي ـ بيروت.
١٦ ـ تفسير الجلالين ـ جلال الدين السيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر).
١٧ ـ بحار الأنوار ـ الشيخ محمد باقر المجلسي ـ المكتبة الإسلامية.
١٨ ـ روح المعاني ـ الآلوسي ـ إدارة الطباعة المنيرية القاهرة (د.ت).
١٩ ـ الكافي (الأصول) ـ الكليني ـ دار الأضواء ـ بيروت.
٢٠ ـ الكافي (الفروع) ـ الكليني ـ دار الأضواء ـ بيروت.
٢١ ـ معاني الأخبار ـ الصدوق ـ جماعة المدرسين.
٢٢ ـ مجمع البحرين ـ الطريحي، أحمد الحسيني ـ مطبعة الآداب النجف الأشرف.
٢٣ ـ القاموس المحيط ـ الفيروزآبادي ـ المطبعة الحسينية القاهرة.
٢٤ ـ لسان العرب ـ ابن منظور ـ دار المعارف.
٢٥ ـ دائرة المعارف ـ البستاني.
٢٦ ـ الجن والشياطين بين العلم والدين.
٢٧ ـ الإنسان والشيطان ـ محمد أمين البقشي ـ مؤسسة دار البيان العربي ـ بيروت.
٢٨ ـ إبليس في القرآن والحديث ـ الدكتور محمد باقر حجتي ـ دار المجتبى ـ بيروت.
٢٩ ـ البيان في مداخل الشيطان ـ عبد الحميد البلالي ـ مؤسسة الرسالة.
٣٠ ـ وقاية الإنسان من الجن والشيطان ـ وحيد عبد السلام بالي ـ دار البشير للطباعة والنشر القاهرة.
٣١ ـ آكام المرجان في غرائب الجان ـ بدر الدين الشبلي ـ مطبعة صبيح.
٣٢ ـ تلبيس إبليس ـ أبو الفرج ابن الجوزي ـ مكتبة المتنبي.
٣٣ ـ الشيطان والإنسان ـ محمد متولي الشعراوي ـ مكتبة الشعراوي الإسلامية.
٣٤ ـ الإتقان في علوم القرآن ـ السيوطي جلال الدين عبد الرحمن ـ مطبعة المشهد الحسيني ـ القاهرة.
٣٥ ـ معارف القرآن ـ محمد تقي المصباح ـ الدار الإسلامية.
٣٦ ـ من هدى القرآن ـ المدرسي ـ دار البيان العربي بيروت.
٣٧ ـ موسوعة كتاب العالم world book Encyclopedia.

٣٨ ـ المصطلحات العلمية.
٣٩ ـ أعلام القرآن.
٤٠ ـ دانشنامه إيران والإسلام.
٤١ ـ سفينة البحار ـ الشيخ عباس القمي.
٤٢ ـ مصباح المتهجد.
٤٣ ـ كشف الأسرار.
٤٤ ـ كلمة الله ـ السيد حسن الشيرازي ـ مؤسسة الوفاء.
٤٥ ـ النهاية في غريب الحديث.
٤٦ ـ روض الجنان.
٤٧ ـ قاموس نفيسي.
٤٨ ـ روح البيان.
٤٩ ـ قصص الأنبياء ـ لابن كثير.
٥٠ ـ المذاهب الكبرى في ص (١١١ ـ ١١٩) قرقوط ١٩٧٢.
٥١ ـ برستد: تاريخ الشرق القديم ص (٢٥٩ ـ ٢٦٧) ط١.
٥٢ ـ عبد الكريم الخطيب: قصة الألوهة ص (٧١ ـ ١١٣) ١٩٦٢.
٥٣ ـ التيارات المذهبية بين الفرس والعرب ـ الدكتور أحمد محمد حسونة ص (٢١ ـ ٣٥).
٥٤ ـ كريسنس: إيران في عهد الساسانيين ص (٤١ ـ ١٤٢) ١٩٥٧.
٥٥ ـ قصة الديانات ـ سليمان مظهر ـ ص (٢٨٠ ـ ٣٢٠).
٥٦ ـ الله ـ عباس محمود العقاد ـ ص (٩٢ ـ ٩٣) ـ و(٩٥ ـ ٩٨) ١٩٦٤.
٥٧ ـ حضارات العالم في العصور القديمة ـ بعلبكي جحا وعثمان ـ ص (٧٢ ـ ٧٣) بيروت ط١.
٥٨ ـ موسوعة الأديان ـ الدكتور سامي أبو شقراء ـ دار الاختصاص للنشر ش.م.ل
٥٩ ـ الإنجيل العهد الجديد.
٦٠ ـ التوراة العهد القديم.
٦١ ـ جامع البيان ـ ابن جرير الطبري.
٦٢ ـ الدر المنثور ـ السيوطي.

٦٣ ـ روح الجنان.
٦٤ ـ الجامع لأحكام القرآن ـ القرطبي محمد بن أحمد الأنصاري ـ مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة.
٦٥ ـ قصص القرآن.
٦٦ ـ التفسير الكبير.
٦٧ ـ قاموس القرآن.
٦٨ ـ أنوار التنزيل وأسرار التأويل ـ البيضاوي عبدالله بن عمر بن محمد.
٦٩ ـ الكافي (الروضة) الكليني.
٧٠ ـ تفسير القمي ـ الشيخ القمي.
٧١ ـ المعجم لفنسينك.
٧٢ ـ مفردات القرآن في مجمع البيان.
٧٣ ـ الهدف السامي للحياة الإنسانية ـ الشهير مرتضى المطهري.
٧٤ ـ المنطق ـ الشيخ محمد رضا المظفر.
٧٥ ـ ميزان الحكمة ـ محمد الري شهري.
٧٦ ـ الصحيفة السجادية ـ للإمام زين العابدين عليه السلام المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية دمشق.
٧٧ ـ الإستعاذة ـ شهيد المحراب آية الله دستغيب ـ الدار الإسلامية.
٧٨ ـ ولاية الإنسان في القرآن ـ الشيخ جواد آملي.
٧٩ ـ مطارحات في الفكر المادي والفكر الديني ـ الشيخ محمد مهدي شمس الدين ـ دار التعارف للمطبوعات.
٨٠ ـ نقد الفكر الديني ـ صادق جلال العظم.
٨١ ـ الإمداد الغيبي في حياة البشر ـ الشهيد مرتضى المطهري.
٨٢ ـ الإحتجاج ـ أحمد بن علي الطبرسي ـ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت.
٨٣ ـ الحوار في القرآن ـ السيد محمد حسين فضل الله ـ دار التعارف للمطبوعات ـ بيروت.
٨٤ ـ ملاحم القرآن ـ الشيخ ابراهيم الأنصاري ـ دار الصفوة.
٨٥ ـ الفتاوى الواضحة ـ السيد محمد باقر الصدر ـ دار التعارف للمطبوعات.

٨٦ ـ منهاج الصالحين ـ السيد علي الحسيني السيستاني ـ دار المؤرخ العربي ـ بيروت ـ لبنان.
٨٧ ـ منهاج الصالحين ـ السيد أبو القاسم الخوئي ـ دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت.
٨٨ ـ تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وآله ـ الحسن بن علي بن الحسين الحرّاني مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.
٨٩ ـ النور المبين في قصص الأنبياء والمرسلين ـ السيد نعمة الله الجزائري ـ قم.
٩٠ ـ الرسائل التّوحيديّة ـ السيد محمد حسين الطباطبائي ـ مؤسسة النعمان للطباعة والنشر والتوزيع.
٩١ ـ سرّ الصلاة أو صلاة العارفين ـ الإمام الخميني ـ مؤسسة الأعلام الإسلامي.
٩٢ ـ تفسير الصافي ـ الكاشاني ـ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.
٩٣ ـ تواريخ الأنبياء ـ السيد حسن اللواساني ـ منشورات لواسان.
٩٤ ـ قصص الأنبياء في القرآن الكريم ـ سميح عاطف الزّين ـ دار الكتاب اللبناني.
٩٥ ـ تاريخ النبي أحمد ـ السيد حسن اللواساني ـ منشورات لواسان.
٩٦ ـ في ظلال القرآن ـ سيد قطب ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.
٩٧ ـ علل الشرائع ـ الشيخ الصدوق ـ دار البلاغة.
٩٨ ـ قصص القرآن ـ محمد أحمد جاد المولى ـ المكتبة الأموية ـ دمشق ـ بيروت.
٩٩ ـ عيون أخبار الرضا عليه السلام ـ ابن بابويه القمي المعروف بالصدوق ـ منشورات الأعلمي للمطبوعات.
١٠٠ ـ آداب النفس ـ السيد محمد العيناثي ـ منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.
١٠١ ـ تفسير البيضاوي ـ مؤسسة الأعلمي ـ بيروت.
١٠٢ ـ العرائس ـ الثعلبي أبو إسحاق أحمد النيسابوري ـ شركة الشمرلي للطبع والنشر سنة ١٩٨٢.

١٠٣ ـ سعد السعود ـ إبن طاووس ـ طبع المطبعة الحيدرية النجف الأشرف.
١٠٤ ـ معادن الجواهر ونزهة الخواطر ـ السيد محسن الأمين.
١٠٥ ـ التوحيد ـ الصدوق ـ جماعة المدرسين.
١٠٦ ـ مجالس ابن الشيخ.
١٠٧ ـ وسائل الشيعة ـ الحر العاملي ـ دار إحياء التراث العربي.
١٠٨ ـ الذنوب الكبيرة ـ السيد عبد الحسين دستغيب ـ الدار الإسلامية ـ بيروت.
١٠٩ ـ وسيلة النجاة ـ السيد الأصفهاني.
١١٠ ـ الخصال ـ الشيخ الصدوق ـ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت.
١١١ ـ دروس في العقيدة الإسلامية ـ محمد تقي مصباح اليزدي ـ دار الروضة.
١١٢ ـ عصمة الأنبياء ـ السيد علي حسين محمد مكي ـ الدار الإسلامية ـ لبنان بيروت.
١١٣ ـ العدل الإلهي ـ الشهيد مرتضى المطهّري ـ الدار الإسلامية.
١١٤ ـ الملل والنحل ـ محمد بن عبد الكريم الشهرستاني.
١١٥ ـ تفسير العياشي ـ لابن عياشي ـ المكتبة العلمية، طهران.
١١٦ ـ زاد المعاد ـ ابن القيم.
١١٧ ـ الكشكول فيما جرى على آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ـ السيد حيدر بن علي الحسيني الآملي ـ منشورات الرضى ـ قم.
١١٨ ـ صحيح الكافي ـ محمد بن يعقوب الكليني الرازي ـ الدار الإسلامية.
١١٩ ـ جهاد النفس ـ الأستاذ مظاهري ـ دار الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم.
١٢٠ ـ إحياء العلوم ـ الشيخ أبي حامد الغزالي ـ دار القلم بيروت.
١٢١ ـ جامع السعادات ـ العلاّمة النراقي ـ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.
١٢٢ ـ غرر الحكم ودرر الكلم ـ للآمدي.
١٢٣ ـ أمالي الشيخ ـ الصدوق.
١٢٤ ـ تنبيه الخواطر.
١٢٥ ـ مكارم الأخلاق ـ الشيخ الطبرسي.
١٢٦ ـ كنز العمال.
١٢٧ ـ مفاتيح الجنان ـ الشيخ عباس القمي.
١٢٨ ـ كشف الريبة ـ الشهيد الثاني زين الدين علي بن أحمد.

١٢٩ ـ شرائع الإسلام ـ المحقق الحلّي.
١٣٠ ـ المسالك ـ الشهيد الثاني زين الدين علي بن أحمد.
١٣١ ـ الخمر حرمتها وتأثيرها على الإنسان ـ عبد العظيم نصير المشيخص ـ دار البيان العربي.
١٣٢ ـ ولا تقربوا الزنا ـ الشيخ حسن مكي الخويلدي ـ دار البيان العربي.
١٣٣ ـ العروة الوثقى ـ محمد كاظم اليزدي ـ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.
١٣٤ ـ الخمر أم الخبائث ـ عبدالله الأنصاري.
١٣٥ ـ الطائفة سلاح العدو الأول والأخير.
١٣٦ ـ الأمراض الجنسية للدكتور البار.
١٣٧ ـ الشاب بين العقل والعاطفة ـ الشيخ محمد تقي الفلسفي ـ مؤسسة البعثة.
١٣٨ ـ العلوم الجنائية (علوم جنائي) ـ للدكتور كي نيار عن الفارسية.
١٣٩ ـ صحيفة اطلاعات الإيرانية ـ العدد ١٤٠٦٠.
١٤٠ ـ الأفكار والرغبات بين الشيوخ والشباب ـ الشيخ محمد تقي فلسفي ـ مؤسسة الأعلمي.
١٤١ ـ الطفل بين الوراثة والتربية ـ الشيخ محمد تقي فلسفي ـ مؤسسة الأعلمي.
١٤٢ ـ بلاغة علي بن الحسين عليه السلام ـ الشيخ عباس الحائري.
١٤٣ ـ أحكام في القرآن والسنة ـ عبد العظيم عيناني ود. أحمد الغندور.
١٤٤ ـ مستدرك الوسائل ـ الحر العاملي.
١٤٥ ـ إعجاز التحليل النفسي ـ (إعجاز روان كاوى) باللغة الفارسية ـ معرّب.
١٤٦ ـ تفسير نور الثقلين ـ الحويزي ـ إسماعيليان.
١٤٧ ـ الغناء في الإسلام ـ علي العُسيلي العاملي ـ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.
١٤٨ ـ بلغة الطالب في شرح المكاسب للعاملي.
١٤٩ ـ كتاب الغدير ـ عبد الحسين أحمد الأميني ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت.
١٥٠ ـ التاج الجامع للأصول ـ الشيخ منصور ناصيف.
١٥١ ـ تاريخ المسعودي الموسوم بـ (مروج الذهب ومعادن الجوهر).
١٥٢ ـ الإسلام والعرب، روم لاندوت منير البلعبكي.
١٥٣ ـ دنيا الشباب في حوار مع السيد محمد حسين فضل الله ـ مؤسسة العارف

للمطبوعات.
١٥٤ ـ المسائل الفقهية ـ السيد محمد حسين فضل الله ـ دار الملاك.
١٥٥ ـ الحلال والحرام في الإسلام ـ الدكتور يوسف القرضاوي ـ دار التعارف للمطبوعات.
١٥٦ ـ المسائل المنتخبة ـ السيد أبو القاسم الخوئي ـ دار الزهراء للطباعة والنشر.
١٥٧ ـ نهج الفصاحة.
١٥٨ ـ الإسلام والمعضلة الاقتصادية ـ السيد أبو علي المودودي.
١٥٩ ـ الترغيب والترهيب ـ الحافظ المنذري ـ دار الفكر.
١٦٠ ـ مستدرك الوسائل ـ للمحدث النوري.
١٦١ ـ كيف نعرف أعداءنا ـ الشهيد مرتضى المطهري ـ دار الهادي.
١٦٢ ـ في ظلال الصحيفة السجادية ـ الشيخ محمد جواد مغنية ـ دار التعارف للمطبوعات.
١٦٣ ـ آداب من القرآن ـ السيد عبد الحسين دستغيب ـ الدار الإسلامية.
١٦٤ ـ الأربعون حديثاً ـ الإمام الخميني ـ دار التعارف للمطبوعات.
١٦٥ ـ اللهو هدر للطاقة ـ بصائر من التشريع الإسلامي ـ محمد العليوات وعبد اللطيف الشبيب ـ دار الصفوة.
١٦٦ ـ نهج السعادة.
١٦٧ ـ مصطلحات قرآنية ـ الدكتور صالح عضيمة ـ الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية ـ لندن. دار النصر.
١٦٨ ـ دار السلام ـ العالم ميرزا حسين النوري الطبرسي ـ مؤسسة الوفاء.
١٦٩ ـ المواعظ العددية.
١٧٠ ـ الإستغفار أمان أهل الأرض ـ حسن مكي الخويلدي ـ دار البيان العربي.
١٧١ ـ علم النفس الإسلامي.
١٧٢ ـ مصباح الشريعة.
١٧٣ ـ مرآة العقول.
١٧٤ ـ المدهش ـ إبن الجوزي.
١٧٥ ـ قصص الأنبياء ـ تحقيق مصطفى عبد الواحد ـ دار الكتب العلمية.

١٧٦ ـ أوضح التفاسير ـ ابن الخطيب ـ المطبعة المصرية ـ القاهرة.
١٧٧ ـ الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير محمد عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني ـ دار الكتاب العربي.
١٧٨ ـ البداية والنهاية ـ مكتبة المعارف ـ بيروت ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.
١٧٩ ـ تاريخ مختصر الدول ـ ابن العبري أبو الفرج جريجوريوس ـ مطبعة الراهب انطوان الصالحاني، سنة ١٨٩٠م.
١٨٠ ـ المختصر في أخبار البشر ـ أبو الفداء عماد الدين إسماعيل ـ دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت.
١٨١ ـ قصص الآباء والأنبياء ـ بولس برسوم ـ الطبعة الثانية ـ مطبوعات الفرنسيسكان ـ الجيزة.
١٨٢ ـ أسطورة النظرية السامية ـ د. توفيق سليمان ـ الطبعة الأولى ـ دار دمشق ـ سوريا ١٩٨٢م.
١٨٣ ـ المفصل في التاريخ العرب قبل الإسلام ـ د. جواد علي. دار العلم للملايين بيروت ـ سنة ١٩٧٦م.
١٨٤ ـ موسوعة تاريخ الأقباط ـ زكي شنودة ـ الطبعة الثانية ـ مطابع البلاغة بالقاهرة سنة ١٩٦٨.
١٨٥ ـ القرآن في أحاديث الرسول وأهل بيته.
١٨٦ ـ من وحي القرآن ـ السيد محمد حسين فضل الله ـ من دروس التفسير ـ دار الزهراء للطباعة والنشر ـ بيروت.
١٨٧ ـ العوائق ـ محمد أحمد الراشد.
١٨٨ ـ الزهد ـ أحمد بن حنبل.
١٨٩ ـ سمعان كلهون: (كتاب مرشد الطالبين إلى الكتاب المقدس الثمين) المطبعة الأمريكانية ١٩٣٧م.
١٩٠ ـ تاريخ الرسل والملوك ـ الطبعة الرابعة ـ دار المعارف ـ القاهرة سنة ١٩٧٩م.
١٩١ ـ مجلة الغدير ـ المجلد الثالث ـ العدد ١٩ ـ تصدر عن المجلس الشيعي الأعلى.
١٩٢ ـ الرحمن الرحيم.

١٩٣ ـ بيان الأئمة.
١٩٤ ـ القصص العجيبة ـ السيد عبد الحسين دستغيب.
١٩٥ ـ شورى الفقهاء.
١٩٦ ـ الصواعق المحرقة ـ ابن حجر العسقلاني.
١٩٧ ـ ثواب الأعمال.
١٩٨ ـ مسند أحمد.
١٩٩ ـ سنن الدارمي.
٢٠٠ ـ صحيح مسلم.
٢٠١ ـ مفتاح كنوز السنة.
٢٠٢ ـ تهذيب الأحكام.
٢٠٣ ـ منية المريد.

العنوان	الصفحة

الفصل التاسع